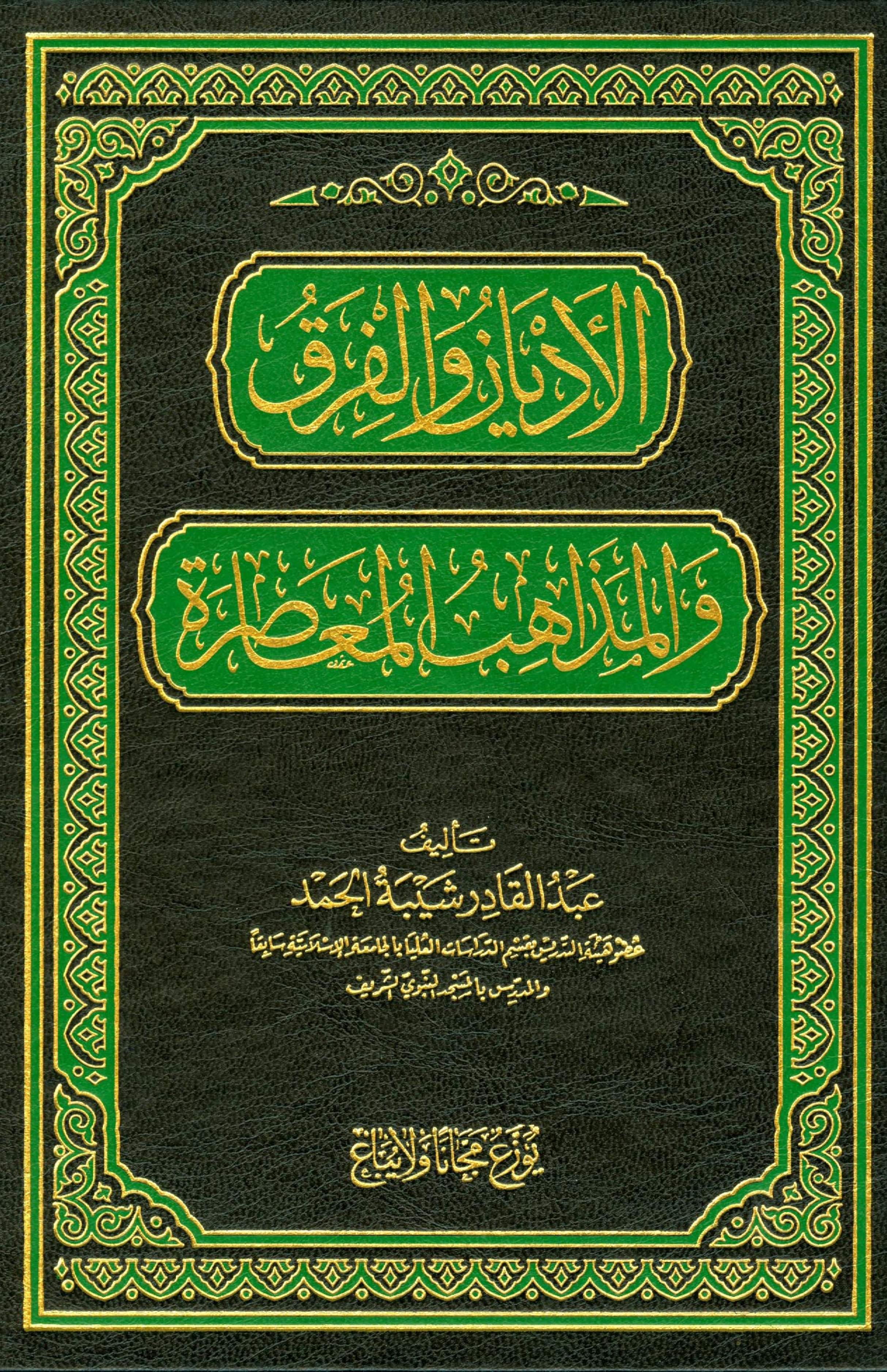
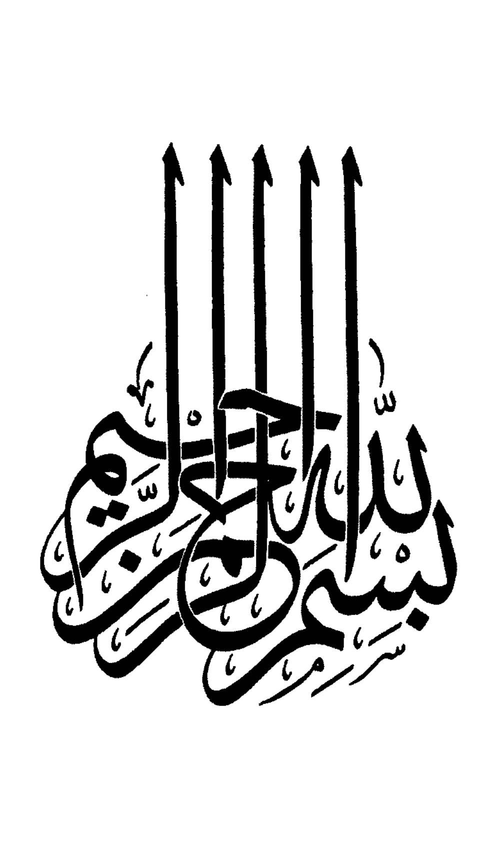

الأديان والفرق
والمذاهب المعاصرة
تأليف
عبد القادر شيبة الحمد
عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات العليا بالجامعة الإسلامية سابقاً
والمدرس بالمسجد النبوي الشريف
يوزع مجاناً ولا يباع

الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة

عبد القادر شيبة الحمد
عضو هيئة التدريس بقسم الدراسات العليا
بالجامعة الإسلامية سابقاً
والمدرس بالمسجد النبوي الشريف


بسم الله الرحمن الرحيم


رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا
إِنَّكَ أَنتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ

ⓒ عبد القادر شيبة الحمد، ١٤٣٣هـ
فهرسة مكتبة فهد الوطنيّة أثناء النشر
شيبة الحمد، عبد القادر
الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة./عبد القادر شيبة الحمد
ط٦.- الرياض،١٤٣٣هـ
١٤٣٢هـ
٣٥٠ص؛ ٢٤سم
ردمك٠-٩٨١٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

١-الديانات - كتب دراسية ٢- الفرق الدينية - كتب دراسية ٣-
الفرق الإسلامية - كتب دراسية أ.العنوان
ديوي٢٤٥،٠٧١١ ١٤٣٣/٣٦٠٩
رقم الإيداع: ١٤٣٣/٣٦٠٩
ردمك٠-٩٨١٧-٠٠-٦٠٣-٩٧٨

الطَّبعةُ الرَّابِعة
١٤٣٣هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

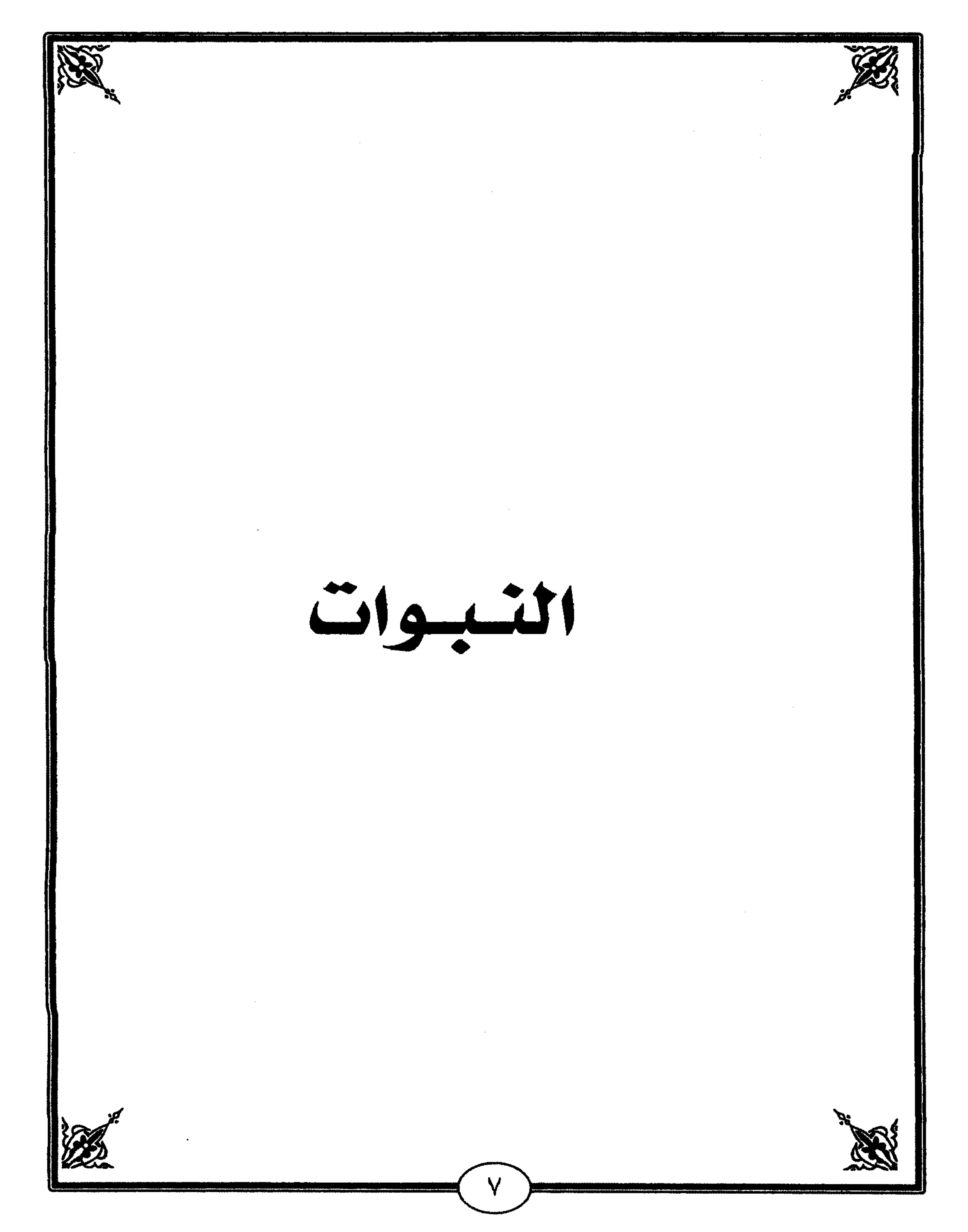
الحمد لله رب العالمين والعاقبة للمتقين والصلاة والسلام الأتمان الأكملان على خير النبيين وسيد المرسلين وعلى آله وصحابته الطيبين الطاهرين ومن سلك سبيلهم وترسم خطاهم ونهج مناهجهم إلى يوم الدين . أما بعد :

فهذه مذكرة في (**الأديان والفرق والمذاهب المعاصرة**)

وفق المنهج المقرر على طلاب الشهادة العالية بكليتي الشريعة وأصول الدين بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

توخيت فيها سهولة الأسلوب ووضوح القصد .

والله وحده المستعان .



النبوات



النبــوات

تعريـف:

النبي في اللغة: قيل: مأخوذ من النبأ وهو الخبر العظيم.

وقيل: من النبوة «بفتح النون وسكون الباء»، أو النباوة وهي المكان المرتفع.

ولا مانع أن يكون المعنيان جميعاً قد لوحظا في هذا الوضع اللغوي فالنبي آت بالخبر العظيم عن الله وهو كذلك رفيع القدر عند الله وعند المؤمنين وهو كذلك يكون من أشراف قومه، ولذلك جاء في حديث هرقل «وكذلك الرسل تبعث في نسب قومها».

والرسول في اللغة: هو المبعوث بالرسالة والموجَّهُ لغيره.

أما في الاصطلاح: فالنبي من بعثه الله بشريعة جديدة يدعو إليها أو بعثه لتقرير شريعة سابقة.

والرسول: من بعثه الله بشريعة جديدة يدعو إليها.

فكل رسول نبي وليس كل نبي رسولاً، فالنسبة بينهما العموم والخصوص المطلق، والنبي أعم مطلقاً.

وقيل: النبي من أوحى إليه بشرع ولم يؤمر بتبليغه.

والرسول من أوحى إليه بشرع وأمر بتبليغه.

وهذا تعريف عجيب فإن الله تبارك وتعالى قد أخذ الميثاق على أهل العلم ألا يكتموه وعاب أولئك الذين يكتمون العلم وفي ذلك يقول تعالى:

﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عمران: ١٨٧].

على أن الله تبارك وتعالى يبين وظيفة أنبياء بني إسرائيل، إذ يقول في شأن التوراة: ﴿يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلرَّبَّٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٤٤] وكذلك قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلْمَلَإِ مِنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰٓ إِذْ قَالُوا۟ لِنَبِىٍّ لَّهُمُ ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٤٦].

كما أن قوله تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢].

يدل على أن كل نبي وكل رسول تلا على قومه أو اشتهى هداية قومه، فليست إذن وظيفة النبي قاصرة على نفسه منعزلة عن قومه.

حاجة الناس إلى النبيين والمرسلين:

من القواعد المقررة أن الإنسان مدني بالطبع، ومعنى ذلك أن الله تعالى خلقه على طبيعة تجعله لا يستغني عن غيره من الناس في طعامه ولباسه وحاجاته، إذ قد ركّبه الله تعالى على صورة لا بقاء لها إلا بالغذاء، وقد هداه إلى ابتغائه بفطرته، غير أن قدرة الواحد من البشر قاصرة عن إدراك أقل ما يمكن أن يعيش به الإنسان، فلا يحصل له ما يكفيه إلا بعمل يقوم به الكثير من الناس، فالرغيف الذي يأكله الإنسان لم يصل إليه إلا بعد عمل كثير من حراثة وزراعة وري وحصاد ودياس وطحن وعجن وطبخ، وكل واحد من هذه الأعمال لا يتم إلا بآلات تحتاج إلى العديد من الصناعات، لا يستطيع أن يقوم الإنسان بمفرده بها.

ولما كانت طبيعة الناس متفاوتة المقاصد، متنازعة الرغبات والميول والشهوات، وقد يركب الإنسان الذلول والصعب في سبيل قضاء مآربه،

وتحقيق شهوته، مما قد يتعارض مع شهوات الآخرين وحاجاتهم، وقد يؤدي طلب تحصيلها إلى سفك الدماء وانتهاك الحرمات، إذ قد يأكل القوي الضعيف ويفنى الكثير القليل، ولما كان عقل الإنسان كذلك قاصراً عن وضع نظام شامل لصلاح المعاش والمعاد. إذ قد يرى الإنسان الخير شراً، والشر خيراً، على حد قول الشاعر:

يقضى على المرء في أيام محنته حتى يرى حسناً ما ليس بالحسن

والإنسان قد يعجز في كثير من الأحيان عن معرفة مصلحة نفسه، لذلك كان الناس محتاجين بالضرورة إلى نظام يحمي دماءهم وأعراضهم وأموالهم ويوضح لكل ذي حق حقه، ولو فرضنا أن جماعة من أهل الفكر أرادوا أن يضعوا مثل هذا النظام لعجزوا لتفاوت الأفراد والجماعات والأمم والشعوب والأعصار في تقديرات الأشياء على طبيعتها الصحيحة لأن الإنسان مهما اتسعت مداركه وعظمت ثقافته فإنه من حيث يدري أو لا يدري خاضع لتحكم بيئته ومعارفه وتربيته وسلوكه، ولهذا كانت القوانين التي يضعها البشر لا استقرار لها ولا ثبوت ولا دوام، وكانت دائماً محتاجة إلى التعديل أو التبديل، مع قصورها عن تربية النفس الإنسانية على أحسن المناهج.

لذلك كان الناس محتاجين إلى منهج يضعه أحكم الحاكمين وأرحم الراحمين، الذي لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

وقد اقتضت حكمة الله تبارك وتعالى أن يبعث في كل أمة نذيراً ليرسم لهم الطريق إلى الله وليدلهم على مراسيم سعادتهم الدنيوية والأخروية، ولئلا يقول المنحرفون: ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ﴾ [المائدة: ١٩]. وفي ذلك يقول تبارك وتعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء: ١٦٥] ويقول: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِّمَّا كُنتُمْ تُخْفُونَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَعْفُوا۟ عَن كَثِيرٍ ۚ قَدْ جَآءَكُم مِّنَ ٱللَّهِ نُورٌ وَكِتَٰبٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى

﴿ٱلنُّورِ بِإِذْنِهِۦ وَيَهْدِيهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾﴾ [المائدة: ١٥ ـ ١٦].

أعظم وظائف النبيين والمرسلين:

وكانت أعظم الوظائف التي أسندت للنبيين والمرسلين هي تحذير الناس من الشرك بالله ودعوتهم إلى إخلاص التوحيد بجميع أنواعه لله، وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾ [الأنبياء: ٢٥]. ويقول: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

تتابع النبوات:

ذكر الله تبارك وتعالى أنه بعث في كل أمة نذيراً وفي ذلك يقول: ﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾ [فاطر: ٢٤] وليس معنى هذا أنه كلما مات رسول بعث رسول آخر لنفس القرية أو المدينة، فلا يقول قائل هذه شبه الجزيرة العربية من حضرموت إلى بُصرى والعقبة لم يُعرف لها نذير بعد إسماعيل عليه السلام إلا محمداً ﷺ، لأنا نقول:

إن المراد أن أمة العرب مثلاً من عهد إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لا يزال فيها ذكر هذين النبيين العظيمين، وإن كانت الأمة العربية قد انحرفت بعدهما بزمن عن ملة التوحيد إلى عبادة الأوثان في عهد عمرو بن لحي.

أما قول المشركين: لئن جاءنا نذير لنكونن أهدى من إحدى الأمم الذي حكاه الله عنهم إذ يقول: ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ [فاطر: ٤٢].

فالمراد نذير جديد لأنهم مقرون بإبراهيم وإسماعيل وإن لم يعملوا بالدين الحنيف.

النبوات السابقة:

بعث الله تعالى أنبياء ورسلاً منهم من قصّ على نبينا محمد ﷺ ومنهم

من لم يقصص، وفي ذلك يقول تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾ [غافر: ٧٨].

وجملة من قص الله من النبيين والمرسلين ٢٥ خمسة وعشرون.

وقد اشتمل قوله تبارك وتعالى في سورة الأنعام: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ...﴾ [الأنعام: ٨٣] الآيات الأربع على ثمانية عشر رسولاً وفيها يقول: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ ۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا ۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾﴾ [الأنعام: ٨٣ - ٨٦].

أما باقي الخمسة والعشرين فهم:

آدم، إدريس، هود، صالح، شعيب، ذو الكفل، خاتم النبيين محمد ﷺ.

وقد نظمهم بعض العلماء إذ يقول:

في تلك حجتنا منهم ثمانية ... من بعد عشر ويبقى سبعة وهمو
إدريس، هود، شعيب، صالح وكذا ... ذو الكفل، آدم بالمختار قد ختموا

وقد اختلف في أول رسول أُرسل. فقال قوم من أهل العلم: هو آدم عليه السلام أبو البشر ويستدلون بقوله تعالى: ﴿۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٣﴾﴾ [آل عمران: ٣٣].

وقال قوم من أهل العلم: إن نوحاً عليه السلام هو أول المرسلين، بدليل حديث الشفاعة فقد جاء فيه «يا نوح أنت أول رسول أرسله الله إلى أهل الأرض».

وأصحاب المذهب الأول يقولون إن نوحاً هو أول رسول أنذر قومه

من الشرك إذ لم يكن الشرك قد وقع في ذرية آدم إلا في أمة نوح عليه السلام، فهو أول نذير أنذر قومه عما هم فيه من الشرك، وكانت معاصي بني آدم قبل نوح عليه السلام لا تصل إلى حد الشرك وإنما هي القتل ونحوه. والله أعلم.

الانحراف من التوحيد إلى الوثنية:

عامة المؤرخين غير المسلمين وكذلك مقلدتهم من المؤرخين الإسلاميين يرون أن الوثنية سابقة على التوحيد في تاريخ البشر تطبيقاً لنظرية التطور.

ويزعمون: أن الشمس في أثناء دورانها السريع حول نفسها انفصلت منها قطعة أخذت تبتعد عنها قليلاً قليلاً وتتخذ لنفسها مجرى كمجرى أصلها وهذه القطعة هي الأرض.

ويدعون: أنه بطول الزمن برد سطح الأرض «وإن كان باطنها لا يزال على حرارته» وقد أحاطت بها المياه وأنه بطول الزمن توالدت حيوانات مائية كهذه «الميكروبات» والحيوانات التي تتوالد في أي ماء آسن.

ويرون: أن من جملة هذه الحيوانات البحرية كان الإنسان ويطلقون عليه في هذه الفترة «الإنسان المائي» ثم بمرور الزمن الطويل أخذ هذا الحيوان المائي يخرج إلى شواطىء البحار ويرعى الحشائش النابتة عليها ثم يرجع إلى البحر ليعيش فيه شبيهاً بالتماسيح ويطلقون على الإنسان في هذه الفترة «الحيوان البرمائي»، ثم استطاع هذا الحيوان أن يتطبع بطباع البر وأن يعيش فيه طول حياته وأن يهجر حياة البحر ويطلقون عليه طول هذه الفترة «الانسان البري».

ثم يزعمون: أن هذا الحيوان بعد فترات طويلة من التاريخ استطاع أن يتميز عن كثير من الحيوانات البرية الغابية وأنه صار يستعمل أنواعاً من الآلات كالحجارة ونحوها فارتفع وارتقى عن باقي الحيوانات التي لم تتميز بذلك.

ثم يزعمون: كذلك أن الإنسان عرف الدين في هذه العصور النائية من التاريخ البشري وإن كانوا يختلفون في كيفية تدينهم أول مرة إلا أنهم متفقون على أن الوثنية قد سبقت في تاريخه «أي الإنسان» التوحيد.

والكثير منهم يرى أن أول معرفة الإنسان بالدين كان على الطريقة المعروفة عند بعض الباحثين المتأخرين «بالطوطمية».

وقد اختلفوا في تفسير «الطوطمية» والظاهر أنها عند الكثير منهم، أنها شعار تتخذه القبيلة رمزاً للشيء المقدس عندهم من شجر أو حجر أو قبر أو كوكب أو غير ذلك.

ويزعم بعضهم: أن أول ما عرفت العبادة كان بسبب أحلام منامية يراها الإنسان، كأن يرى قريبه الميت يأتيه في نومه ويقول له اذهب إلى المكان الفلاني ستجد فيه كذا وكذا، فيذهب في يقظته إلى عين المكان فيجد ما أخبره به في منامه فإذا تحقق لواحد من هؤلاء مثل هذه الرؤية أخذ يعظم قبر هذا الميت وصارت تعظمه جماعته كذلك إلى أن صاروا يعبدونه فيسألونه حوائجهم ويتضرعون إليه ويستغيثون به ويعكفون عليه، وقد كثر أمثال هذا القبر لهذا السبب ونحوه حتى كثرت القبور المعظمة واتخذت آلهة تعبدها قبيلة واحدة أو قبائل شتى.

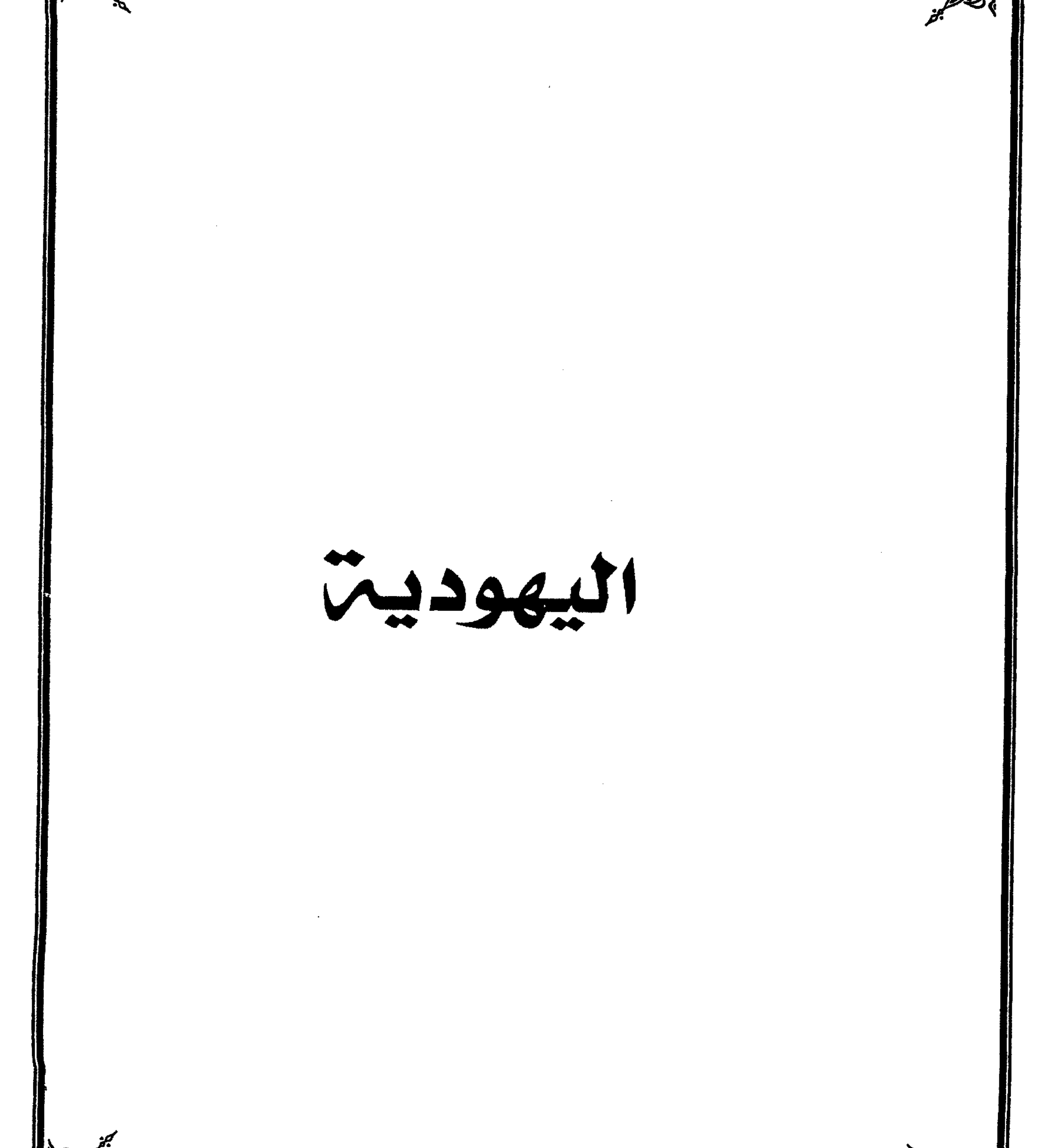
ويزعم هؤلاء كذلك أنه بمرور الزمن أخذت بعض القبائل ذات المعبود المعين تنازع بعض القبائل الأخرى ذات المعبود الآخر، وبانتهاء المصارعة بغلبة أحدهم يعلو معبود القبيلة الغالبة على معبود القبيلة المغلوبة فصارت تسقط بذلك آلهة وتعتز آلهة أخرى إلى أن انتهى بهم المطاف في بعض البلاد كفارس إلى إلهين اثنين أحدهما يسمونه إله الخير والثاني إله الشر، كما انتهى المطاف في بعض البلاد الأخرى كمصر الفرعونية في بعض أطوارها إلى عبادة إله واحد يسمونه «رع» ورمزوا له بقرص الشمس، ومن هذا التاريخ عرف الناس التوحيد تطبيقاً للنظرية المادية القائلة بالتطور والارتقاء.

وبهذا تكون الوثنية سابقة للتوحيد، وبالنظر المجرد لهذه الآراء نرى أن أصحاب هذه النظريات لا يؤمنون بفاطر السمٰوات والأرض ولا يصدقون بأي كتاب سماوي إذ الكتب السماوية المؤيدة بالمعجزات الحسية والعقلية قد قررت أن الله خلق الأرض وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها ثم خلق السمٰوات وزين السماء الدنيا بمصابيح وأنه خلق الملائكة المكرمين ثم خلق الجان من نار السموم ثم خلق آدم أبا البشر من تراب فسواه بيده على هذه الصورة الكريمة المستوية وأن طوله يوم خلقه الله كان ستين ذرعاً وأنه أسجد له ملائكته وأخرج له من ضلعه زوجة له هي أمنا حواء وأنه أمره أن يسكن هو وزوجه الجنة قائلاً: ﴿وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ٣٥] وقال له: ﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾ فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ ٱلشَّيْطَٰنُ قَالَ يَٰٓـَٔادَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ ٱلْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ ﴿١٢٠﴾ فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَعَصَىٰٓ ءَادَمُ رَبَّهُۥ فَغَوَىٰ ﴿١٢١﴾ ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١١٨ - ١٢٢].

وقال له آنذاك: ﴿ٱهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًۢا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ﴾ [طه: ١٢٣] فهبط آدم أبو البشر إلى الأرض نبياً كريماً مؤمناً بالله وحده يعبده لا شريك له ويدعو إلى إخلاص التوحيد له.

وقد استمر هذا التوحيد الحق هو دين ذرية آدم إلى الأمة التي بعث إليها نوح عليه السلام، فقد انحرفت هذه الأمة عن التوحيد إلى عبادة الأوثان، وقد ثبت أنهم انتقلوا إلى الوثنية على التدريج فقد كان في أوائلهم رجال صالحون مؤمنون بالله فلما ماتوا عظموا قبورهم وأوحى إليهم الشيطان أن يصوروهم ليكون ذلك أدعى إلى تذكيرهم والاقتداء بهم، ثم بعد طول الزمن أوحى إليهم الشيطان أن أسلافكم كانوا يعبدون هذه القبور فعكفوا عندها وتوجهوا إلى أصحابها بالضراعة والاستغاثة والاستعانة والسؤال فيما لا يقدر عليه إلا فاطر السمٰوات والأرض.

وصاروا يخافون منهم خوف السر ويحبونهم كمحبة الله أو أشد وأشركوا هؤلاء الموتى مع الحق تبارك وتعالى، فكان أول انحراف من التوحيد إلى الوثنية فبعث الله لهم نوحاً عليه السلام يقول لهم: ﴿أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ﴾ [المؤمنون: ٣٢]، وتتابعت النبوات والرسالات إلى أن ختمت بسيد المرسلين وإمام المتقين محمد عليه الصلاة والسلام.



اليهودية



اليهودية

تعريف:

يمكن أن تكون اليهودية مأخوذة من الهود بمعنى التوبة على حد قول موسى عليه السلام ﴿إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦].

ويمكن أن تكون مأخوذة من التهويد وهو الترجيع بالصوت في لين والتطريب، وقد كان أحبار اليهود إذا قرأوا على العامة أتوا بنغمات صوتية خاصة مع غنة شديدة ومد بالخياشيم على حد قوله تعالى فيهم:

﴿يَلْوُۥنَ أَلْسِنَتَهُم بِٱلْكِتَٰبِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمَا هُوَ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧٨].

ويمكن أن يكون لفظ اليهود منسوباً إلى يهوذا أخي يوسف الصديق عليه السلام وأحد أبناء إسرائيل ويكون إطلاقه على جميع بني إسرائيل على سبيل التغليب.

ويمكن أن يكون من المهاودة وهي المواعدة على حد قوله تعالى: ﴿وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ﴾ [الأعراف: ١٤٢].

واليهود هم الزاعمون بأنهم أتباع موسى عليه السلام، ولم نجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ إطلاق اليهود على سبيل المدح، على أننا لا نستطيع أن نحدد بالضبط التاريخ الذي أطلقت فيه هذه الكلمة على هذه الطائفة من الناس.

ونحن نجزم بأنها لم تعرف في عهد موسى عليه السلام.

وإنما كانوا يُعرفون في عهده عليه السلام ببني إسرائيل ويُطلق عليهم كذلك قوم موسى كما يُطلق عليهم كذلك أهل الكتاب.

التـوراة

تعريـف:

هي في اللغة كلمة عبرانية معناها الشريعة أو الناموس، وهي في اصطلاح اليهود: عبارة عن خمسة أسفار يعتقدون أن موسى عليه السلام كتبها بيده وهي:

[١] ـ سفر التكوين.

[٢] ـ سفر الخروج.

[٣] ـ سفر اللاويين أو الأحبار.

[٤] ـ سفر العدد.

[٥] ـ سفر التثنية.

أما التوراة في اصطلاح النصارى: فهي تطلق على جميع الكتب التي يسمونها كتب العهد القديم وهي: كتب أنبياء بني إسرائيل وتاريخ قضاتهم وأخبار ملوكهم قبل المسيح عليه السلام سواء عرفوا كاتبه أو لم يعرفوه.

وقد يطلقون هذه التوراة على مجموع هذه الكتب وعلى الأناجيل أيضاً.

والتوراة في اصطلاح المسلمين: هي الكتاب الذي أنزله الله على موسى نوراً وهدى للناس وألقاه إليه مكتوباً في الألواح.

وقد يطلق بعض المسلمين التوراة على مجموع كتب العهد القديم، ومن ذلك ما رواه البخاري من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله

عنهما أنه وجد صفة رسول الله ﷺ في التوراة «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً وحرزاً للأميين أنت عبدي ورسولي سميتك المتوكل ليس بفظ ولا غليظ ولا صخاب في الأسواق ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملة العوجاء ويفتح عيوناً عمياً وآذاناً صُماً وقلوباً غلفاً بأن يقولوا لا إله إلا الله». الحديث رقم (٢٠٧٢) والآية (٨) من الفتح

فهذا الوصف الذي وجده عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما ليس موجوداً في نفس التوراة المنزلة على موسى وإنما هو في نبوات بعض أنبياء بني إسرائيل من بعد موسى عليه السلام.

التوراة وما اعتراها من تحريف:

اتفق المسلمون على أن التوراة قد دخلها تحريف وتغيير وتبديل، غير أن بعض العلماء يذهب إلى أن هذا التحريف لم يكن تحريفاً في حروف التوراة وإنما كان في صرف المعاني التي جاءت بها التوراة إلى غير وجهها، وحملِها على غير ما وضعت له.

وسائرُ علماء المسلمين على أن التوراة قد دخلها تحريف في ألفاظها ومعانيها وقد جاء التصريح بذلك في كتاب الله تعالى حيث يقول:

﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٥﴾ [البقرة: ٧٥]. ويقول: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾ [البقرة: ٧٩].

ويقول في حقهم كذلك: ﴿وَإِنَّ مِنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلْوُونَ أَلْسِنَتَهُم بِالْكِتَابِ لِتَحْسَبُوهُ مِنَ الْكِتَابِ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَمَا هُوَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۝٧٨﴾ [آل عمران: ٧٨]. ويقول فيهم: ﴿يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ مِن بَعْدِ مَوَاضِعِهِ﴾ [المائدة: ٤١] إلى غير ذلك.

على أن الشواهد على ذلك من واقع الأسفار الخمسة التي تتكون منها مجموعة التوراة عندهم كثيرة لا تكاد تحصر ولا يستطيع أن ينكرها اليهود ولا غيرهم. ففي بعض هذه الكتب وصفُ موتِ موسى عليه السلام وهذا لا يدعي عاقل أن موسى عليه السلام كتبه بيده.

ففي الفصل «الإصحاح» الحادي والثلاثين من سفر التثنية ما نصه:

(٢٤) فعندما كمل موسى كتابة كلمات هذه التوراة في كتاب إلى تمامها. (٢٥) أمر موسى اللاويين حاملي تابوت عهد الرب قائلاً. (٢٦) خذوا كتاب التوراة هذا وضعوه بجانب تابوت عهد الرب إلهكم ليكون هناك شاهداً عليكم. (٢٧) لأني عارف تمردكم ورقابكم الصُلبة هوذا وأنا بعد حي معكم اليوم قد صرتم تقاومون الرب فكم بالحري بعد موتي. (٢٨) اجمعوا إليّ كلّ شيوخ أسباطكم وعرفاءكم لأنطق في مسامعهم بهذه الكلمات وأشهد عليهم السماء والأرض. (٢٩) لأني عارف أنكم بعد موتي تُفسدون وتزيغون من الطريق الذي أوصيتكم. (٣٠) ويصيبكم الشر في آخر الأيام لأنكم تعملون الشر أمام الرب حتى تُغيظوه بأعمال أيديكم. (٣١) فنطق موسى في مسامع كل جماعة إسرائيل بكلمات هذا النشيد إلى تمامه.

وهنا في الفصل «الإصحاح» الثاني والثلاثين من سفر التثنية ذكر النشيد ثم قال:

(٤٤) فأتى موسى ونطق بجميع كلمات هذا النشيد في مسامع الشعب هو ويشوع بن نون. (٤٥) ولما فرغ موسى من مخاطبة جميع بني إسرائيل بهذه الكلمات. (٤٦) قال لهم وجهوا قلوبكم إلى جميع الكلمات التي أنا أشهد عليكم بها لكي تُوصُوا بها أولادكم ليحرصوا أن يعملوا بجميع كلمات هذه التوراة. (٤٧) لأنها ليست أمراً باطلاً عليكم بل هي حياتكم وبهذا الأمر تطيلون الأيام على الأرض التي أنتم عابرون الأردن إليها لتمتلكوها. (٤٨) وكلم الرب موسى في نفس ذلك اليوم قائلاً. (٤٩) اصعد إلى جبل

عباريم هذا جبل نبو الذي في أرض موآب الذي قبالة أريحا وانظر أرض كنعان التي أنا أعطيها لبني إسرائيل ملكاً. (٥٠) ومت في الجبل الذي تصعد إليه وانضم إلى قومك كما مات هارون أخوك في جبل هور وضُم إلى قومه.

ثم يقول في الإصحاح الرابع والثلاثين: (٥) فمات هناك موسى عبد الرب في أرض موآب حسب قول الرب. (٦) ودفنه في الجواء في أرض موآب مقابل بيت فغور ولم يعرف إنسان قبره إلى هذا اليوم.

وبهذه الكلمات يتبين بما لا مجال للشك فيه أن هذا السفر مكتوب بعد موسى عليه السلام فقد نص في الآية ٢٤ من الإصحاح الحادي والثلاثين من سفر التثنية على إكمال كتابة التوراة فالآيات التي بعدها إذن ليست من التوراة مع أن اليهود متفقون على أنها من التوراة. على أنه قد جاء في الفصل «الإصحاح» الرابع والثلاثين من أخبار الأيام الثاني أن حَلْقِيا الكاهن وجد سفر شريعة الرب وسلمه إلى شأفان الكاتب فجاء به شأفان إلى الملك.

فدل هذا على أن التوراة كانت قد فقدت وأن الذي جاء بها هو حلقياً الذي سلمها لشأفان الكاتب وسلمها هذا بدوره إلى الملك. على أن فقد التوراة أمر متفق عليه عند جميع بني إسرائيل فقد أقر الجميع أنها فقدت مع التابوت لما خرب بُختُنصر الهيكل. وفي بعض الأخبار أنه حرق جميع نسخ التوراة.

على أنه قد جاء في سفر عزرا في الفصل السابع منه أنه كتب لهم هذه الشريعة بأمر ارتحششتا ملك فارس الذي أذن لبني إسرائيل بالعودة إلى أورشليم وقد أمر هذا الملك بأن تقام شريعتهم وشريعته، وجاء في هذا السفر أن عزرا قد هيأ قلبه لطلب شريعة الرب والعمل بها وليعلم إسرائيل فريضة وقضاء، فتبين بذلك أن التوراة التي عند أهل الكتاب قد كتبت بعد السبي في عهد ارتحششتا ملك فارس ولذلك جاءت فيها ألفاظ كثيرة بابلية.

ونحن المسلمين نعتقد أن التوراة لم تحرف تحريفاً كلياً وإنما وقع التحريف في بعض ألفاظها وأن بعض الأحكام التي شرعها الله لبني إسرائيل في التوراة لم تتبدل كرجم الزناة والقصاص، وإن كان اليهود قد انحرفوا عن العمل بهذه الأحكام فبدلوا الرجم بتسويد وجه الزاني وتشهيره وكذلك بعض صفات رسول الله ﷺ قد بقيت في التوراة وإن حاول اليهود كتمان كل صفة تدل عليه ﷺ.

ولهذا المعنى يطلب الله من بني إسرائيل العمل بالتوراة وتحكيمها، إذ أن هذا موافق لما جاء به محمد ﷺ.

ونعتقد أن من التحريف ادعاءهم أن العزير ابن الله وقولهم: ﴿لَيْسَ عَلَيْنَا فِي ٱلْأُمِّيِّـۧنَ سَبِيلٌ﴾ [آل عمران: ٧٥] وكذلك ما وصفوا به بعض الأنبياء عليهم السلام كوصفهم ليعقوب بأنه صارع الرب وكذكرهم أن لوطاً شرب الخمر وزنا بابنتيه بعد نجاته إلى جبل صوغر وكوصفهم لداود بأنه قبح في عين الرب إلى غير ذلك والله أعلم.

التلمود

تعريف:

معناه في العربية النظام. وهو كتاب فقه اليهود ويتكون من مجموعة من التعاليم التي قررها أحبار اليهود شرحاً للتوراة واستنباطاً من أصولها وقد يخالف بعض نصوص التوراة وهو مقسم إلى كتابين من القرن الحادي عشر «م» وهما:

[١] ـ تلمود أورشليم.

[٢] ـ وتلمود بابل.

ولكن طائفة اليهود القرّائين لا يخضعون لأحكام التلمود مدعين أنهم أحرار الفكر في شرح التوراة.

مبادىء التلمود:

يقول التلمود إن اليهود أحب إلى الله من الملائكة وأنهم من عنصر الله كالولد من عنصر أبيه. ومن يصفع اليهود كمن يصفع الله.

والموت جزاء الأممي إذا ضرب اليهودي «الأممي عند اليهود يطلق على كل من ليس بيهودي فالناس عندهم قسمان يهودُ وأمميون».

ولولا اليهود لارتفعت البركة من الأرض واحتجبت الشمس وانقطع المطر.

واليهود يفضلون الأمميين كما يفضل الإنسان البهيمة.

والأمميون جميعاً كلاب وخنازير.

وبيوتهم كحظائر البهائم نجاسة.

ويحرم على اليهودي العطف على الأممي لأنه عدوه وعدو الله.

والتقية أو المداراة معه جائزة للضرورة تجنباً لأذاه.

وكل خير يصنعه يهودي مع أممي فهو خطيئة عظمى وكل شر يعمله معه فهو قربان لله يثيبه عليه.

والربا غير الفاحش جائز مع اليهودي كما شرع موسى وصموائيل «في رأي واضعي التلمود».

والربا الفاحش جائز مع غيره. وكل ما على الأرض ملك لليهود. فما تحت أيدي الأمميين مغتصب من اليهود وعليهم استرداده بجميع الوسائل.

وأشار التلمود إلى أن اليهود ينتظرون مسيحاً ينقذهم من الخضوع للأمميين على شرط أن يكون ملكاً من نسل داود يعيد الملك إلى إسرائيل ويخضع الممالك كلها لليهود لأن السلطة على شعوب العالم من اختصاص اليهود حسب وعد الله.

وسرقة اليهودي أخاه حرام ولكنها جائزة بل واجبة مع الأممي لأن كل خيرات العالم خلقت لليهود فهي حق لهم وعليهم تملُّكها بأي طريقة.

هذه المبادىء التلمودية التي اعتقد اليهود بناءً عليها:

أنهم شعب الله المختار وأنهم أبناء الله وأحباؤه وأن الله لا يسمح بعبادته ولا يقبلها إلا أن يكون العابد يهودياً.

وأن نفوسهم مخلوقة من نفس الله وأن عنصرهم من عنصره فهم وحدهم أبناؤه الأطهار جوهراً.

ويعتقدون أن الله منحهم الصورة البشرية أصلاً تكريماً لهم على حين أنه خلق غيرهم «الأمميين» من طينة شيطانية أو حيوانية نجسة.

ولم يمنحهم الصورة البشرية إلا محاكاة لليهود لكي يسهل التعامل بين

الطائفتين إكراماً لليهود.

إذ بغير هذا التشابه الظاهري مع اختلاف العنصرين لا يمكن التفاهم بين السادة المختارين والعبيد المحتقرين.

فالإنسانية والطهارة قاصرة على اليهود بحكم عنصرهم المستمد من عنصر الله.

أما غيرهم فحيوانات وأنجاس وإن كانوا في شكل الإنسان.

الذات الإلهية في التوراة المحرفة:

قامت البراهين العقلية القطعية والحجج الدينية النقلية أن الله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ولكن اليهود في توراتهم المحرفة يشبهون الله بخلقه تشبيهاً صريحاً ومن ذلك تقول التوراة التي بأيديهم في الإصحاح الأول من سفر التكوين:

«وقال الله نعملُ الإنسان على صورتنا كشبهنا».

ويعتقد اليهود أن الله، تعالى عما يقولون، قد تعب واحتاج إلى الراحة حينما خلق السمٰوات والأرض ولذلك استراح في اليوم السابع وهو يوم السبت وفي ذلك تقول التوراة التي بأيديهم في الإصحاح الثاني من سفر التكوين:

«فأكملت السمٰوات والأرض وكل جندها».

«وفرغ الله في اليوم السابع من عمله الذي عمل فاستراح في اليوم السابع من جميع عمله الذي عمل».

«وبارك الله اليوم السابع وقدسه لأنه فيه استراح من جميع عمله الذي عمل الله خالقاً».

مع أنه قد قامت الأدلة العقلية والبراهين النقلية القطعية على أن الله منزه عن اللغوب والتعب وقد رد القرآن الكريم على اليهود هذه العقيدة

الفاسدة في ذات الله.

إذ يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ۝٣٨﴾ [ق: ٣٨].

على أن خلق الله للسموات والأرض كخلقه لغيرهما إنما يكون بالكلمة كن: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ۝٨٢﴾ [يس: ٨٢].

كما يعتقد اليهود أن الله يلحقه الحزن والندم على ما فات وفي ذلك تقول التوراة التي بأيديهم كما جاء في سفر التكوين في «الإصحاح» السادس ما نصه:

(٥) «ورأى الرب أن شر الإنسان قد كثر في الأرض وأن كل تصور أفكار قلبه إنما هو شرير كل يوم».

(٦) «فحزن الرب أنه عمل الإنسان في الأرض وتأسف في قلبه».

وهذا المعتقد رغم قبحه فإنه يدل كذلك على أن الله لم يحط علمه بالمخلوقات قبل وجودها ويؤدي إلى القول بالبداءة على الله، تعالى عما يقولون علواً كبيراً.

النبوات في التوراة المحرفة:

يعتقد اليهود أن الأنبياء غير معصومين من الخطايا والذنوب، بل جوزوا عليهم أن يرتكبوا المنكرات كالزنا وشرب الخمر وسلب النساء من أزواجهن، وأنهم كانوا يقبحون في عين الرب.

واليهود في هذا يعتمدون على نصوص التوراة التي بأيديهم وأسفار النبوات الملحقة بها، فقد جاء في «الإصحاح» التاسع من سفر التكوين ما نصه:

(٢٠) «وابتدأ نوح يكون فلاحاً وغرس كرماً».

(٢١) «وشرب من الخمر فسكر وتعرى داخل خبائه».

(٢٢) «فأبصر حام أبو كنعان عورة أبيه وأخبر أخويه خارجاً».

(٢٣) «فأخذ سام ويافث الرداء ووضعاه على أكتافهما ومشيا إلى الوراء وسترا عورة أبيهما ووجهاهما إلى الوراء فلم يبصرا عورة أبيهما».

(٢٤) «فلما استيقظ نوح من خمره علم ما فعل به ابنه الصغير».

(٢٥) «فقال ملعون كنعان عبد العبيد يكون لأخوته».

كما جاء كذلك في «الإصحاح» التاسع عشر من سفر التكوين ما نصه:

(٣٠) «وصعد لوط من صُوغر وسكن في الجبل وابنتاه معه لأنه خاف أن يسكن في صُوغر فسكن في المغارة هو وابنتاه».

(٣١) «وقالت البكر للصغيرة: أبونا قد شاخ وليس في الأرض رجل ليدخل علينا كعادة كل الأرض».

(٣٢) «هلم نسقي أبانا خمراً ونضطجع معه فنحيي من أبينا نسلاً».

(٣٣) «فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة ودخلت البكر واضطجعت مع أبيها ولم يعلم باضطجاعها ولا بقيامها».

(٣٤) «وحدث في الغد أن البكر قالت للصغيرة إني قد اضطجعت البارحة مع أبي نسقيه خمراً الليلة أيضاً فادخلي اضطجعي معه».

(٣٥) «فسقتا أباهما خمراً في تلك الليلة أيضاً وقامت الصغيرة واضطجعت ولم يعلم بإضطجاعها ولا بقيامها».

(٣٦) «فحبلت ابنتا لوط من أبيهما».

وجاء في «الإصحاح» الحادي عشر من سفر صموائيل الثاني الذي بأيديهم:

(٢) «وكان في وقت المساء أن داود قام عن سريره وتمشى على سطح بيت الملك فرأى من على السطح امرأة تستحم وكانت المرأة جميلة المنظر جداً».

(٣) «فأرسل داود وسأل عن المرأة فقال واحد: أليست هذه «بثشبع» بنت أليعَام امرأة أوريا الحِثي».

(٤) «فأرسل داود رسلاً وأخذها فدخلت إليه فاضطجع معها وهي مطهرة من طمثها ثم رجعت إلى بيتها».

(٥) «وحبلت المرأة فأرسلت وأخبرت داود وقالت إني حبلى».

وبعد أن يسوق سفر صموائيل الثاني محاولة داود التخلص من أوريا زوج المرأة وإرساله إلى الحرب ليقتل، بعد ذلك يقول السفر:

(٢٦) «فلما سمعت امرأة أوريا أنه قد مات أوريا رجُلُها ندبت بعلها».

(٢٧) «ولما مضت المناحة أرسل داود وضمها إلى بيته وصارت له امرأة وولدت له ابناً، وأما الأمر الذي فعله داود فقبح في عيني الرب».

ثم يتابع السفر سردَ معاتبة الرب لداود وأماتة الله للولد الذي جاءت «بثشبع» به ثم توبة داود وصيامه ثم دخوله على امرأة أوريا واضطجاعه معها فتحبل وتلد ولداً اسمه سليمان، وبهذا النصوص نعرف مقدار منزلة أنبياء بني إسرائيل في نفوس اليهود.

النصرانية

النصرانية

النصرانية في الأصل: نسبة إلى نصرانة وهي قرية المسيح عليه السلام من أرض الجليل «وتسمى هذه القرية ناصرة ونصورية» والنصرانية والنصرانة كذلك واحدة النصارى.

أما في الإصطلاح: فالنصرانية دين النصارى وهم المنتسبون للإنجيل. ولا أعرف على التحديد متى صارت النصرانية علماً على دين أهل الإنجيل، وقد وجدت هذه اللفظة بهذا المعنى في أوائل القرن الثاني الميلادي إذ كتب «بلين» وكان والياً في آسيا إلى الإمبراطور «تراجان» الموجود عام ١٠٦م كتاباً يشرح فيه طريقة تعذيبه للمسيحيين فقال:

«جربت مع من اتهموا بأنهم نصارى على الطريقة الآتية وهي أني أسألهم إذا كانوا مسيحيين فإذا أقروا أعيد عليهم السؤال ثانية وثالثة مهدداً بالقتل فإذا أصروا أنفذ عقوبة الإعدام فيهم» ثم يقول بلين: «وقد وجهت التهمة إلى كثيرين بكتب لم تذيل بأسماء أصحابها فأنكروا أنهم نصارى».

وقد يفهم من القرآن أنهم أحدثوا هذا الاسم إذ يقول الله تبارك وتعالى: ﴿الَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّا نَصَٰرَىٰٓۚ﴾ [المائدة: ٨٢].

أما المسيحية فهي كذلك تطلق على أتباع المسيح عليه السلام، على أنه لا ينبغي إطلاقها الآن على النصارى لأن هؤلاء في الواقع لا يتبعون المسيح عليه السلام، ولذلك لم نجد في كتاب الله تعالى ولا في سنة رسوله ﷺ تسميتهم مسيحيين وقد أطلق عليهم القرآن أنهم نصارى كما سماهم كذلك أهل الكتاب، وأهل الإنجيل.

المسيحية وما اعتراها من تحريف:

الثابت أن المسيح عليه السلام ولد من مريم ابنة عمران من غير أب وقد قص الله تبارك وتعالى في القرآن العظيم قصة ولادته فقال: ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ مَرْيَمَ إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾ فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنْتُ نَسْيًا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَنَادَاهَا مِنْ تَحْتِهَا أَلَّا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا ﴿٢٤﴾ وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾ فَكُلِي وَاشْرَبِي وَقَرِّي عَيْنًا فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي نَذَرْتُ لِلرَّحْمَٰنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِّمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا ﴿٢٧﴾ يَا أُخْتَ هَارُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ امْرَأَ سَوْءٍ وَمَا كَانَتْ أُمُّكِ بَغِيًّا ﴿٢٨﴾ فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نُكَلِّمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾ قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ آتَانِيَ الْكِتَابَ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدْتُ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾﴾ [مريم: ١٦ - ٣٣].

كما تواترت الأخبار أن عيسى عليه السلام بُعث بعد أن تجاوز الثلاثين من عمره وقد أوضح القرآن العظيم دعوة عيسى عليه السلام إذ يقول:

﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُحْيِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَةً لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ

مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ ۚ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٥٠﴾ إِنَّ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۗ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ ۞ فَلَمَّآ أَحَسَّ عِيسَىٰ مِنْهُمُ ٱلْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَٱشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾ رَبَّنَآ ءَامَنَّا بِمَآ أَنزَلْتَ وَٱتَّبَعْنَا ٱلرَّسُولَ فَٱكْتُبْنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكَرُوا۟ وَمَكَرَ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوْقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ ۖ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَأُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ ۖ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَٰلِكَ نَتْلُوهُ عَلَيْكَ مِنَ ٱلْـَٔايَٰتِ وَٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْقَصَصُ ٱلْحَقُّ ۚ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦٢﴾﴾ [آل عمران: ٤٩ - ٦٢].

وقد ثبت أن اليهود والرومان حاربوا المسيح على حد سواء وحاولوا قتله ولكن الله تبارك وتعالى ألقى شبهه على أحد أعدائه فقتلوه وصلبوه زعماً أنه المسيح أما المسيح عليه السلام فقد نجاه الله منهم فما قتلوه وما صلبوه. وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى:

﴿وَبِكُفْرِهِمْ وَقَوْلِهِمْ عَلَىٰ مَرْيَمَ بُهْتَٰنًا عَظِيمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيْهِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾﴾ [النساء: ١٥٦ - ١٥٩].

غير أنه بعد رفع عيسى عليه السلام وقع على أتباعه اضطهاد عظيم فَشُرِّدوا وعُذِّبوا وقُتِّلوا وصُلِّبوا حتى كادت تختفي معالم المسيحية من الأرض بسبب تلك الاضطهادات التي كان يتولاها أباطرة الرومان وعُمّالهم وكذلك اليهود. وأشد ما نزل بهم من الأذى كان في عهد الإمبراطور نيرون (٦٤م) ثم في عهد الإمبراطور تراجان (١٠٦م) ثم الإمبراطور ديسيوس (٢٥١م) ثم في عهد الإمبراطور دقلديانوس (٢٨٤م) فأما نيرون فقد اتهمهم بأنهم هم الذين أحرقوا مدينة روما وتفنن في تعذيبهم إذ كان يأمر أتباعه بوضع النصارى في جلود الحيوانات ثم يطرحونهم للكلاب فتنهشهم كما كانوا يلبسون بعض النصارى ثياباً مطلية بالقار ثم يجعلونهم مشاعل يستضيئون بنارها.

كما كتب بطريرك الإسكندرية يصف بعض ما عاين من ديسيوس إذ يقول: «عم الخوف الجميع وفر بعضهم بدينهم وقد أُبعد كل مسيحي من خدمة الدولة مهما يكن ذكاؤه، وكل مسيحي يُرشد عنه يُؤتى به على عجل ويقدم إلى هيكل الأوثان ويُطلب منه تقديم ذبيحة للصنم. وعقاب من يرفض تقديم الذبيحة أن يكون هو الذبيحة بعد أن يجتهدوا في حمله بالترهيب» ثم يقول البطريرك: «ومن ضعاف الإيمان من أنكر مسيحيته واقتدى به البعض، ومنهم من تمسك بأذيال الفرار أو من زج في غياهب السجون».

أما دقلديانوس فقد جاء إلى مصر وأنزل بها البلاء وأمر بهدم الكنائس وإحراق الكتب. وأصدر أمراً بالقبض على الأساقفة وزجهم في غياهب السجون وقهر المسيحيين على إنكار دينهم وقتل منهم حوالي ثلاثمائة ألف.

شاؤل اليهودي وتحريفه للمسيحية:

كان «شاؤل» أحد اليهود المغرمين بتعذيب النصارى وفتنتهم عن دينهم، ويجمع علماء النصرانية على أنه كان راضياً بقتل المسيحيين، وكان يسطو على الكنيسة ويدخل البيوت ويجر الرجال والنساء ويسلمهم إلى السجن، وأنه تقدم إلى رئيس الكهنة اليهودي وطلب منه رسائل إلى دمشق

إلى الجماعات حتى إذا وجد أناساً من الطريق رجالاً أو نساءً يسوقهم موثقين إلى أورشليم وقد كان ذلك عام ٣٨م.

ويقول شاؤل عن نفسه: «سمعتم بسيرتي قبلاً في الديانة اليهودية أني كنت أضطهد كنيسة الله بإفراط وأتلفها وكنت أتقدم في الديانة اليهودية على كثيرين من أترابي في جنسي إذ كنت أوفر غيرة في تقليدات آبائي».

شاؤل يدخل المسيحية لتحريفها:

وفجأة وبينما كان شاؤل في طريقه إلى دمشق للمساهمة في تعذيب المسيحيين عام ٣٨م إذ زعم أنه رأى يسوع المسيح وأنه آمن به، وتسمى «بولس»، ويذكر لوقا صاحب الإنجيل هذه القصة في «أعمال الرسل» فيقول: «وعندما كان بولس قريباً من دمشق فبغتة أبرق حوله نور من السماء فسقط على الأرض وسمع صوتاً قائلاً: شاؤل شاؤل لماذا تضطهدني؟ فقال: من أنت يا سيد؟ فقال الرب: أنا يسوع الذي تضطهده، فقال وهو مرتعد متحير: يا رب ماذا تريد أن أفعل؟ فقال له: «قم وكرز بالمسيحية». ثم يقول لوقا: «وللوقت جعل يكرز في المجامع بالمسيح أن هذا هو ابن الله».

ولم تكن فكرة هذه البنوة قد عرفت من قبل للمسيحيين، وقد كان الحواريون لا يزالون أحياء فلما جاءهم بولس (شاؤل) بهذه الدعوة أنكروه وتشككوا في هذه القصة التي ادعاها ولم ينسوا أنه أكبر أعدائهم في اليهود، لكن برنابا دافع عنه وأحسن تقديمه إلى هؤلاء، بيد أن برنابا كذلك لم يستقم على موالاته فلم يمض قليل وقت حتى انفصلت عرى المودة بينهما بل نفر منه عامة التلاميذ ولم يبق على صحبته له سوى لوقا الذي اعتبر نفسه أخص تلاميذ بولس، والذي كان بولس يلقبه بعد ذلك بالطبيب الحبيب.

وقد صار بولس يبشر بمسيحية لم يعرفها الحواريون إذ لم يتلق أي نوع من التعليم على أيدي هؤلاء الحواريين بل صار يدعي أنه يتلقى من يسوع مباشرة وبلا واسطة وأنه لا يجوز لأحد أن يقبل تعليماً آخر غير ما

يجيء هو به، وفي ذلك يقول في كتاب بعث به إلى مريده تيموثاوس:

«طلبت إليك أن تمكث في إفسس إذ كنت أنا ذاهباً إلى مكدونية لكي توصي قوماً ألا يعلموا تعليماً آخر ولا يصغوا إلى خرافات وأنساب لا حد لها تسبب مباحثات دون بنيان الله الذي في الإيمان، وأما غاية الوصية فهي المحبة من قلب طاهر وضمير صالح وإيمان بلا رياء، الأمور التي إذا زاغ قوم عنها انحرفوا إلى كلام باطل يريدون أن يكونوا معلمي الناموس وهم لا يفهمون ما يقولون ولا ما يقررون».

ويقول: «إن كان أحد يعلم تعليماً آخر فقد تصلف وهو لا يفهم شيئاً».

وقد راح بولس يدعي أنه معلم المسيحية الوحيد وصار ينشر تعاليم جديدة يستمدها من مذاهب الهندوس والبوذيين وفلسفة الإغريق وبعض تعاليم اليهود، فقد جاء لأول مرة بفكرة التثليث وبفكرة أن المسيح ابن الله وأنه نزل ليضحي بنفسه تكفيراً عن خطيئة البشر، وأنه صعد ليجلس على يمين أبيه ليحكم ويدين البشر، تعالى الله عما يقول علواً كبيراً.

وقد انتشرت أفكار بولس في الغرب بين الوثنيين واليونان في الوقت الذي حوربت فيه بالمشرق وفي ذلك يقول بولس في رسالة إلى تلميذه تيموثاوس: أنت تعلم أن جميع الذين في آسيا ارتدوا عني.

ومع ذلك فقد أخذ بولس في التطواف في الأقاليم ينشىء الكنائس ويلقي الخطب ويبعث بالرسائل التي صارت عماد المسيحية حتى قتل في اضطهادات نيرون سنة ٦٦ أو ٦٧م.

الإنجيل وتحريفه

الإنجيل كلمة يونانية معناها البشارة.

أما في الاصطلاح فيطلق على كتاب الله تعالى المنزل على عيسى عليه السلام.

وقد وصف الله تبارك وتعالى هذا الإنجيل بقوله عز وجل:

﴿وَقَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ ۖ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾﴾ [المائدة: ٤٦].

بيد أن هذا الإنجيل لا وجود له عند النصارى ولم يذكر أحد من علماء التاريخ أنه رأى نسخة منه، ويبدو أن عيسى عليه السلام لم يكتبه وإنما كان يبشر به في بني إسرائيل وقد ورد ذكره في الأناجيل التي أُلفت بعد رفع المسيح عليه السلام، فقد ذكره متّى في إنجيله في الإصحاح الرابع منه إذ يقول:

«وكان يسوع يطوف كل الجليل يعلم في مجامعهم ويكرز ببشارة الملكوت ويشفي كل مرض وكل ضعف في الشعب».

فكلمة بشارة الملكوت التي وردت في هذه الفقرة هي الإنجيل، إذ أن معنى الإنجيل هي البشارة.

كما ذكره مرقص في إنجيله في الإصحاح الأول منه إذ يقول:

«وبعدما أسلم يوحنا جاء يسوع إلى الجليل يكرز ببشارة ملكوت الله ويقول: قد كمل الزمان واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل».

تحريف الإنجيل:

وبعد رفع المسيح عليه السلام ونزول البلاء بأتباعه حتى تفرقوا شذر مذر جاء بولس «شاؤل اليهودي» وأعلن أنه دخل المسيحية وأنه صار يتلقى التعاليم من يسوع بلا واسطة وأخذ يشيع في الناس أفكاراً جديدة عن المسيح عليه السلام فذكر أنه إله وأنه ابن الله وأنه صلب ليكفر خطايا البشر وحرم على الناس أن يسمعوا تعاليم أخرى، فكان هذا أول تحريف حقيقي للإنجيل ولديانة المسيح عليه السلام.

الأناجيل وتناقضها:

أجمع مؤرخو النصرانية على أنه كانت في العصور الغابرة أناجيل شتى قد أخذت بها فرق مسيحية قديمة وأن كل فرقة من هذه الفرق لم تكن تتمسك إلا بإنجيلها وأن الكنيسة قامت في أوائل القرن الثالث الميلادي بالإبقاء على أربعة أناجيل فقط، هي إنجيل متى وإنجيل مرقص وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا وحرمت الكنيسة ما عداها من الأناجيل، على أنه قد ذكر بعض المؤرخين أن هذه الأناجيل الأربعة لا ذكر لها قبل آخر القرن الثاني الميلادي، وأول من ذكر هذه الأناجيل الأربعة هو أرينيوس سنة ٢٠٩م ثم جاء من بعده كليمنس إسكندريانوس في سنة ٢١٦م وأظهر أن هذه الأناجيل الأربعة واجبة التسليم، غير أنه لم ينقطع النزاع بين أصحاب الأناجيل الأخرى وبين الكنيسة حتى دخل الامبراطور قسطنطين في النصرانية وقد رأى النصارى في غاية التنازع فمنهم من يعتقد أن المسيح عبد الله ورسوله، ومنهم من يدعي أنه ابن الله له صفة القدم والأزلية، وكان آريوس أحد المسيحيين المصريين داعية قوي الدعاية قد أخذ على نفسه مقاومة كنيسة الإسكندرية التي كانت تنشر بين الناس القول بألوهية المسيح فأخذ آريوس يحارب هذه الكنيسة ودعاتها مقراً بوحدانية الله منكراً لما جاء في الأناجيل التي تؤيدها الكنيسة مما يوهم ألوهية المسيح، وكان يذيع ويشيع أن المسيح

مصنوع مخلوق خلقه الله تبارك وتعالى وليس إلهاً ولا ابن إله. ويقول كتاب تاريخ الأمة القبطية:

«الذنب ليس ذنب آريوس بل على فئات أخرى سبقت في إيجاد هذه البدع فأخذ هو عنها ولكن تأثير تلك الفئات لم يكن شديداً كما كان من تأثير آريوس الذي جعل الكثيرين ينكرون سر الألوهية حتى انتشر هذا التعليم وعم وقد كانت كنيسة أسيوط على رأي آريوس تعتقد أن المسيح عبد الله ورسوله، وكذلك كانت أسقفية مقدونية وأسقفية فلسطين يؤيدان مذهب آريوس».

وقد أخذت الكنيسة في الإسكندرية تعمل كل حيلة للقضاء على آريوس ومذهبه وزعم البطريرك بطرس أن المسيح لعن آريوس وأنه يحذرهم منه، وقال بطرس: إني رأيت المسيح في النوم مشقوق الثوب فقلت له: يا سيدي من شق ثوبك؟ فقال لي: آريوس فاحذروا أن تدخلوه معكم.

ولما دخل قسطنطين إمبراطور الرومان في النصرانية ووجد هذا التنازع وهو حديث عهد بهذه الديانة غير عارف لحقيقتها حاول إيقاف هذا التنازع بالحسنى وصار يكاتب آريوس وخصومه لوقف هذه الخصومات فلما لم يفلح أمر بعقد مجمع في نيقية عام ٣٢٥م، ويقول ابن البطريق النصراني في وصف المجتمعين وعددهم ومذاهبهم:

بعث الملك قسطنطين إلى جميع البلدان فجمع البطاركة والأساقفة، فاجتمع في مدينة نيقية ثمانية وأربعون وألفان من الأساقفة وكانوا مختلفين في الآراء والأديان فمنهم من كان يقول: إن المسيح وأمه إلٰهان من دون الله. ومنهم من كان يقول: إن المسيح من الآب بمنزلة شعلة نار انفصلت من شعلة نار فلم تنقص الأولى بانفصال الثانية عنها.

ومنهم من كان يقول: لم تحبل به مريم تسعة أشهر وإنما مر في بطنها كما يمر الماء في الميزاب لأن الكلمة التي دخلت في أُذنها وخرجت من حيث يخرج الولد من ساعتها.

ومنهم من كان يقول: إن المسيح إنسان خلق من اللاهوت كواحد منا في جوهره وأن ابتداء الابن من مريم وأنه اصطفى ليكون مخلصاً للجوهر الإنسي صحبته النعمة الإلٰهية وحلت فيه بالمحبة والمشيئة، ولذلك سمي ابن الله.

ويقولون: إن الله جوهر قديم واحد وأقنوم واحد ويسمونه بثلاثة أسماء ولا يؤمنون بالكلمة ولا بروح القدس.

ومنهم من كان يقول: إنهم ثلاثة آلهة لم تزل: صالح وطالح وعدل بينهما.

ومنهم من كان يقول بألوهية المسيح وهي مقالة بولس الرسول (شاؤل اليهودي).

وهكذا أورد ابن البطريق صورة واضحة لعدد ومذاهب المجتمعين في مؤتمر نيقية عام ٣٢٥م ولتقرير الديانة النصرانية.

وقد نصر المذهب الأخير وهو القول بألوهية المسيح الذي كان ابتدعه بولس ثمانية عشر وثلاثمائة أسقف وخالفهم ثلاثون وسبعمائة وألف أسقف، والعجيب الغريب أن الإمبراطور قسطنطين لم يلتفت إلا لقول القائلين بألوهية المسيح وعقد مجلساً خاصاً لأصحاب هذا الرأي يصفه ابن البطريق إذ يقول:

«وضع الملك للثلاثمائة والثمانية عشر أسقفاً مجلساً خاصاً عظيماً وجلس في وسطهم وأخذ خاتمه وسيفه وقضيبه فدفعه إليهم وقال لهم: قد سلطتكم اليوم على مملكتي لتصنعوا ما ينبغي لكم أن تصنعوا مما فيه قوام الدين وصلاح المؤمنين. فباركوا الملك وقلدوه سيفه وقالوا له: أظهر دين النصرانية وذب عنه. ووضعوا له أربعين كتاباً فيها السنن والشرائع منها ما يصلح للملك أن يعلمه ويعمل به ومنها ما يصلح للأساقفة أن يعملوا به. ومن هذا التاريخ حرمت مخالفة هذا المذهب وحورب مخالفوه وأُلغيت رسمياً جميع الأناجيل عدا الأناجيل الأربعة وهي إنجيل متى وإنجيل مرقص وإنجيل لوقا وإنجيل يوحنا».

إنجيل متّى:

مؤلف هذا الإنجيل هو متّى الحواري أحد تلاميذ المسيح الإثني عشر ويعرف بمتى العشار، إذ كان قبل اتصاله بالمسيح عليه السلام من جباة الضرائب للرومان وكان جباة الضرائب يعرفون آنذاك بالعشارين، وقد كان عمله في كفر ناحوم من أرض الجليل بفلسطين. وقد ذكر متّى في إنجيله كيفية دخوله في دين المسيح إذ يقول في الإصحاح التاسع من إنجيله:

وفيما يسوع مجتاز من هناك رأى إنساناً جالساً عند مكان الجباية اسمه متّى فقال له: اتبعني فقام وتبعه وبينما هو متكىء في البيت إذا عشارون وخطاة كثيرون قد جاؤوا واتكأوا مع يسوع وتلاميذه، فلما نظر الفريسيون قالوا لتلاميذه: لماذا يأكل معلمكم مع العشارين والخطاة؟ فلما سمع يسوع قال لهم: لا يحتاج الأصحاء إلى طبيب بل المرضى، فاذهبوا وتعلموا ما هو، إني أريد رحمة لا ذبيحة لأني لم آتِ لأدعو أبراراً بل خطاة إلى التوبة.

وقد اختلف النصارى في تاريخ تدوين هذا الإنجيل، فبعضهم يدعي أنه ألف عام ٣٩م وبعضهم يدعي أنه ألف عام ٤١م، وبعضهم يقول أنه ألف في عهد الإمبراطور قلوديوس ولم يحدد السنة التي ألف فيها علماً بأن قلوديوس حكم أربع عشرة سنة. ويقول هورن إنه ألف عام ٣٧ أو ٣٨ أو ٤١ أو ٤٣ أو ٤٨ أو ٦١ أو ٦٢ أو ٦٣ أو ٦٤م.

وقد تنازعوا كذلك في اللغة التي كتب بها الإنجيل وفي البلد الذي ألف فيه فمنهم من يقول أنه كتب بالعبرية ومنهم من يقول أنه كتب بالسريانية ومنهم من يقول أنه كتب في أورشليم ومنهم من يقول أنه كتب باليونانية، وأجمعوا على أنه لم يعرف إلا باليونانية واختلفوا في مترجمه إلى اليونانية. والمعروف أن متّى لم يبق طويلاً في فلسطين بعد رفع المسيح عليه السلام بل جال في بلاد كثيرة يبشر بالمسيحية واستقر بأرض الحبشة حتى مات عام ٧٠م ببلاد الحبشة على أثر ضرب مبرح أنزله به أحد أعوان ملك الحبشة.

وبعضهم يقول أنه طُعن برمح سنة ٦٢م بأرض الحبشة بعد أن قضى بها نحو ثلاث وعشرين سنة.

إنجيل مرقص:

مؤلف هذا الإنجيل أصله من اليهود وكانت أسرته تقيم بأورشليم في وقت ظهور المسيح عليه السلام لكنه ليس من الحواريين بل هو تلميذ لبطرس كبير الحواريين كما أنه تتلمذ على خاله برنابا أحد الحواريين كذلك، وقد كتب هذا الإنجيل باللغة اليونانية بطلب من أهالي رومية في عهد الإمبراطور نيرون.

وقد ذكر ابن البطريق أن هذا الإنجيل كتبه بطرس رئيس الحواريين عن مرقص في مدينة رومية ونسبه إلى مرقص. وهذا أمر عجيب غريب فكيف يروي رئيس الحواريين عن تلميذه هذا الإنجيل ثم ينسبه إلى التلميذ، على أن بعض الرواة يقررون أن مرقص ما كتب إنجيله إلا بعد وفاة بطرس. وقد ذكر كتاب مروج الأخبار في تراجم الأبرار: أن مرقص كان ينكر ألوهية المسيح هو وأستاذه بطرس الحواري. وقد جاء في هذا الكتاب عن مرقص أنه «صنف إنجيله بطلب من أهالي رومية وكان ينكر ألوهية المسيح».

وقد انتقل مرقص من بلد إلى بلد يبشر بالمسيحية حتى دخل مصر في منتصف القرن الأول فأقام بها وأخذ يدعو إلى المسيحية فدخل فيها عدد كبير من المصريين، وقد كان يسافر من مصر أحياناً إلى رومية، وأحياناً إلى شمال أفريقية غير أنه آثر الاستقرار في مصر إلى أن ائتمر به الوثنيون فسجنوه وعذبوه ثم قتلوه في عام ٦٢م.

إنجيل لوقا:

مؤلف هذا الإنجيل ليس من الحواريين ولا من تلاميذ الحواريين، وإنما تتلمذ لبولس (شاؤل اليهودي) وأخلص له وصار أخص أصدقائه وقد اختلف فيه فقيل إنه إنطاكي ولد بإنطاكية وقيل: بل روماني نشأ في إيطاليا، وبعضهم يقول أنه كان طبيباً وبعضهم يقول أنه كان مصوراً.

وقد أشار لوقا إلى سبب تأليفه إنجيله فبدأ هذا الإنجيل بقوله:

إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب على التوالي إليك أيها العزيز ثاوفيلس لتعرف صحة الكلام الذي عُلّمت به.

وقد تنازع مؤرخو النصرانية في تاريخ تدوين هذا الإنجيل فقيل أنه ألف عام ٥٣ أو ٦٣ أو ٨٤م وقيل غير ذلك.

إنجيل يوحنا:

مؤلف هذا الإنجيل محل نزاع عميق بين علماء النصارى، فالكثير منهم يدعي أنه أحد الحواريين وهو يوحنا بن زيدي الصياد، وبعضهم يدعي أنه يوحنا آخر لا يمت إلى الأول بصلة. وقد أنكر بعض علماء النصارى آخر القرن الثاني الميلادي نسبة هذا الإنجيل إلى يوحنا الحواري في الوقت الذي كان يعيش فيه أرينيوس تلميذ بوليكارب تلميذ يوحنا الحواري، ولم ينقل أحد أن أرينيوس سمع من أستاذه صحة تلك النسبة.

وقد قال بعض علماء النصارى: «إن كافة إنجيل يوحنا من تصنيف طالب من طلبة مدرسة الإسكندرية».

كما جاء في دائرة المعارف البريطانية التي اشترك في تأليفها خمسمائة من علماء النصارى: «أما إنجيل يوحنا فإنه لا مرية ولا شك كتاب مزور أراد صاحبه مضادة اثنين من الحواريين بعضهما لبعض وهما القديسان يوحنا ومتى، وقد ادعى هذا الكاتب المزور في متن الكتاب أنه هو الحواري الذي يحبه المسيح فأخذت الكنيسة هذه الجملة على علاتها وجزمت بأن الكاتب هو يوحنا الحواري ووضعت اسمه على الكتاب نصاً مع أن صاحبه غير يوحنا يقيناً ولا يخرج هذا الكتاب عن كونه مثل بعض كتب التوراة التي لا رابطة بينهما وبين من نسبت إليه، وإنا لنرأف ونشفق على الذين يبذلون

منتهى جهدهم ليربطوا ولو بأوهى رابطة ذلك الرجل الفلسفي الذي ألف هذا الكتاب في الجيل الثاني بالحواري يوحنا الصياد الجليل فإن أعمالهم تضيع عليهم سدى لخبطهم على غير هدى».

على أن بعض الباحثين يرى أن هذا الإنجيل كتب سنة ٩٥م أو ٩٦م أو ٩٨م وبعضهم يدعي أنه كتب سنة ٦٨ أو ٦٩ أو ٧٠ أو ٨٩م.

وعامة مؤرخي النصرانية يقررون أن إنجيل يوحنا هو وحده الذي نص فيه على أُلوهية المسيح مما يدل على أنه أُلف لتقرير هذه الألوهية وهذا يؤكد مذهب من يقول: «إن مؤلفه أحد طلبة مدرسة الإسكندرية التي كانت تتزعم القول بألوهية المسيح مقررة لما آثرته عن بولس (شاؤل اليهودي)».

تناقض هذه الاناجيل:

هذه الأناجيل الأربعة التي أقرها رسمياً مجمع نيقية عام ٣٢٥م متناقضة في كثير من أشكالها وموضوعاتها.

فمن تناقضها الشكلي أنها غير متفقة في المبدأ ولا في الختام ولا في نظامها العام، كما أنها متعارضة كذلك في المسائل المعينة.

فأول إنجيل متى:

(١) كتاب ميلاد يسوع المسيح ابن داود بن إبراهيم.

(٢) إبراهيم ولد إسحق وإسحق ولد يعقوب ويعقوب ولد يهوذا وإخوته الخ.

وأول إنجيل مرقص:

(١) بدء إنجيل يسوع المسيح ابن الله.

(٢) كما هو مكتوب في الأنبياء، ها أنا أرسل أمام وجهك ملاكي الخ.

أما إنجيل لوقا فأوله:

(١) إذا كان كثيرون قد أخذوا بتأليف قصة في الأمور المتيقنة عندنا.

(٢) كما سلمها إلينا الذين كانوا منذ البدء معاينين وخداماً للكلمة.

(٣) رأيت أنا أيضاً إذ قد تتبعت كل شيء من الأول بتدقيق أن أكتب الخ.

وأما إنجيل يوحنا فأوله:

(١) في البدء كان الكلمة والكلمة كان عند الله.

(٢) هذا كان في البدء عند الله.

(٣) كل شيء به كان وبغيره لم يكن شيء مما كان... الخ.

أما اختلاف الأناجيل في مظهرها العام فإن إصحاحات (فصول) إنجيل متّى ٢٨ إصحاحاً، ومرقص ١٦ إصحاحاً، ولوقا ٢٤ إصحاحاً، ويوحنا ٢١ إصحاحاً.

أما تناقض هذه الأناجيل في حقيقة المسألة الواحدة فيظهر فيما يلي:

فإنجيل متّى يقرر أن عيسى من أولاد سليمان بن داود.

وإنجيل لوقا يقرر أن عيسى من أولاد ناثان بن داود.

وإنجيل متّى يقرر أن سلتائيل بن يكنيا.

وإنجيل لوقا يقرر أن سلتائيل بن نيري.

وإنجيل متّى يقرر أن من داود إلى يسوع ستة وعشرين جيلاً.

وإنجيل لوقا يقرر أن من داود إلى يسوع واحداً وأربعين جيلاً.

كما أن إنجيل متّى يقرر أن المرأة التي لحقت يسوع عند انصرافه إلى نواحي صور وصيدا، كانت كنعانية كما جاء في الإصحاح الخامس عشر منه.

وإنجيل مرقص يقرر أن هذه المرأة كانت أممية وفي جنسها فينيقية سورية كما جاء في الإصحاح السابع منه.

كما أن إنجيل متّى يقرر في الإصحاح السادس والعشرين في الخبر الذي ادعى فيه القبض على المسيح عليه السلام ومحاكمته يقرر هذا الإنجيل خلاف ما يقرره إنجيل يوحنا في الإصحاح الثامن عشر منه في نفس الموضوع.

إنجيل برنابا:

مؤلف هذا الإنجيل وصف في الإصحاح الرابع عشر منه بأنه أحد الحواريين الإثني عشر، كما وصف في رسالة أعمال الرسل المنسوبة إلى لوقا في الإصحاح الرابع منها: «بأنه من الرسل وفيها يقول: ويوسف الذي دعى من الرسل برنابا الذي يترجم ابن الوعظ وهو لاوي قبرصي الجنس إذ كان له حقل باعه وأتى بالدراهم ووضعها عند أرجل الرسل».

كما تحدثت عنه رسالة أعمال الرسل هذه في أكثر من موضع ومن ذلك ما جاء في الإصحاح التاسع منها: «ولما جاء شاؤل (بولس) إلى أورشليم حاول أن يلتصق بالتلاميذ، فكان الجميع يخافونه غير مصدقين أنه تلميذ فأخذه برنابا وأحضره إلى الرسل. . .» الخ. وهو كذلك خال مرقص أحد أصحاب الأناجيل الأربعة.

وقد أشار برنابا في مقدمة إنجيله إلى السبب الذي دعاه إلى تأليفه، وأنه إنما ألفه ليرد على أولئك الذين يدعون أُلوهية المسيح أو أنه ابن الله وفي ذلك يقول:

«أيها الأعزاء إن الله العجيب العظيم قد افتقدنا في هذه الأيام بنبيه يسوع المسيح برحمة عظيمة للتعليم، والآيات التي اتخذها الشيطان ذريعة لتضليل كثيرين بدعوى التقوى مبشرين بتعليم شديد الكفر داعين المسيح ابن الله ورافضين الختان الذي أمر الله به دائماً مجوزين كل لحم نجس الذي ضل في عدادهم أيضاً بولس (شاؤل اليهودي) الذي لا أتكلم عنه إلا مع الأسى وهو السبب الذي لأجله أسطر ذلك الحق الذي رأيته».

متى عثر على هذا الإنجيل؟

لم تذكر الكتب التاريخية أو النصرانية شيئاً عن هذا الإنجيل غير ما ورد في أمر أصدره البابا جلاسيوس الأول الذي جلس على الكرسي البابوي عام ٤٩٢م، فقد أصدر هذا البابا أمراً يعدد فيه أسماء الكتب التي تحرم مطالعتها وكان من بين هذه الكتب «إنجيل برنابا».

وكانت النسخة الوحيدة المعروفة الآن في العالم إنما هي نسخة إيطالية وجدت في مكتبة بلاط ڤينا، وقد عثر على هذه النسخة كريمر أحد مستشاري ملك بروسيا وقد اقترضها سنة ١٧٠٩م، من أحد وجهاء أمستردام وقد أهدى ذلك الوجيه هذه النسخة سنة ١٧١٣م إلى البرنس أيوجين سافوي الذي كان مولعاً بالعلوم والآثار التاريخية، ثم انتقلت هذه النسخة مع مكتبة البرنس كلها إلى مكتبة البلاط الملكي في ڤينا حيث لا تزال باقية إلى الآن.

ويذكر أن هذه النسخة كانت في الأصل في مكتبة البابا سكتس الخامس حوالي نهاية القرن السادس عشر وأن راهباً اسمه فرامرينو عثر على رسائل لإيريانوس وفيها رسالة يندد فيها بما كتبه بولس ويسند تنديده إلى إنجيل برنابا وأنه أخذ يبحث عن إنجيل برنابا، وقد تقرب إلى البابا سكتس الخامس حتى أمنه البابا على مكتبته الخاصة وأنه عثر في هذه المكتبة على نسخة هذا الإنجيل فأخفاه بين ثيابه وطالعه وكان سبباً في اعتناقه الإسلام. ولعل هذه النسخة هي عين النسخة التي عثر عليها بعد ذلك كريمر سنة ١٧٠٩م.

على أنه قد عثر حوالي سنة ١٧٨٤م على نسخة أخرى لهذا الإنجيل قد كتبت باللغة الإسبانية وقد ترجمها المستشرق سايل إلى اللغة الإنجليزية، بيد أن هذه النسخة قد فقدت بعد ذلك.

وقد ترجم هذا الإنجيل إلى اللغة العربية في مطلع القرن العشرين الميلادي الدكتور خليل سعادة ونشره الشيخ محمد رشيد رضا صاحب مجلة المنار.

وهذا الإنجيل لا يكاد يختلف عن الإسلام في التوحيد وفي المسيح ابن مريم. ففي مقدمته التي أشرنا إليها تكفير من يقول إن المسيح ابن الله.

وفي الإصحاح السبعين منه يقول:

«أجاب يسوع وما قولكم أنتم فيّ؟ أجاب بطرس: إنك المسيح ابن الله. فغضب حينئذٍ يسوع وانتهره بغضب قائلاً: اذهب وانصرف عني لأنك أنت الشيطان وتريد أن تسيء إليّ».

وفي الإصحاح الثالث والتسعين منه يقول:

«أجاب الكاهن أن اليهودية قد اضطربت لآياتك وتعليمك حتى إنهم يجاهرون بأنك أنت الله فاضطررت بسبب الشعب إلى أن آتي إلى هنا مع الوالي الروماني والملك هيرودس فنرجوك من كل قلبنا أن ترضى بإزالة الفتنة التي ثارت بسببك لأن فريقاً يقول: إنك الله وآخر يقول: إنك ابن الله».

ويقول فريق: إنك نبي. أجاب يسوع: «وأنت يا رئيس الكهنة لماذا لم تخمد الفتنة وهل جننت أنت أيضاً؟ وهل أمست النبوات وشريعة الله نسياً منسياً. أيتها اليهودية الشقية التي ضللها الشيطان». ولما قال يسوع هذا عاد فقال: «إني أشهد أمام السماء وأشهد كل ساكن على الأرض أني بريء من كل ما قال الناس عني من أني أعظم من بشر لأني بشر مولود من امرأة وعرضة لحكم الله، أعيش كسائر البشر».

موقف النصارى عند اكتشاف هذا الإنجيل:

وقد أنكر النصارى هذا الإنجيل ولم يعترفوا به وزعم بعضهم أنه من عمل المسلمين ونحن لا نرى رداً عليهم إلا أن نقول: إنه اكتشف في جو نصراني ولم يعثر عليه المسلمون ولا تزال نسخته الإيطالية باقية في مكتبة فينا إلى اليوم كما يذكر الدكتور خليل سعادة النصراني. على أن إنكار النصارى المعاصرين لهذا الإنجيل ليس بدعاً فإن أسلافهم الذين نقلوا دينهم عنهم قد قرروا في مجمع نيقية عام ٣٢٥م ألا يعترفوا بمثل هذا الإنجيل.

عقائد النصرانية المنتشرة في العصر الحاضر:

ينقسم النصارى في الجملة إلى ثلاث طوائف كبار:

[١] ـ الكاثوليك.

[٢] ـ الأرثوذكس.

[٣] ـ البروتستانت.

وهذه الطوائف كلها متفقة على القول بألوهية المسيح ابن مريم وعلى القول بالتثليث وعلى القول بالصلب فهم جميعاً يعتقدون أن الله أوصى آدم ألا يأكل من الشجرة فأكل منها بإغواء إبليس فاستحق هو وذريته الفناء ولكن الله رحم عباده فجسد كلمته وهي ابنه الأزلي تجسداً ظاهراً فأرسل الله ملاكه جبريل إلى مريم العذراء وبشرها بالمسيح المخلص وأنها تلد الكلمة الأزلية وتصير والدة الإله.

وأنه رضي بموته على الصليب وهو غير مستحق لذلك ليكون فداء الخطيئة الأولى.

غير أن هذه الطوائف الثلاث تختلف عن بعضها في بعض الفروع ونلخصها فيما يلي:

الكاثوليك:

هم أتباع الكنيسة الكاثوليكية: ومعنى الكاثوليكية: العامة وإنما سميت بذلك لادعائهم أنها أم الكنائس ومعلمتهم وأنها وحدها هي التي تنشر النصرانية في العالم.

وتسمى كذلك الكنيسة الغربية أو اللاتينية لأنها غلبت على الغرب اللاتين خاصة فصارت لها السيطرة في إيطاليا وبلجيكا وفرنسا وإسبانيا والبرتغال وقد تشمل غيرها من البلدان.

كما تسمى كذلك الكنيسة البطرسية أو الرسولية لأن أتباعها يدعون أن

مؤسسها الأول هو بطرس الرسول كبير الحواريين والرئيس العام للكنائس الكاثوليكية هو بابا روما.

ومن أهم ما تميز به الكاثوليك أنهم اعتقدوا أن روح القدس نشأ عن الله الآب وعن الله الإبن معاً، كما أنهم يعتقدون بالمساواة الكاملة بين الله الأب والله الابن، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

وقد أباح الكاثوليك أكل الدم والمخنوق وأباحوا للرهبان أكل دهن الخنزير.

الأرثوذكس:

وتسمى كنيستهم كنيسة الروم الأرثوذكسية أو الكنيسة الشرقية أو اليونانية. لأن أكثر أتباعها من الروم الشرقيين ومن البلاد الشرقية كروسيا والبلقان واليونان وكان مقرها الأصلي القسطنطينية.

وقد كانت في الأصل تابعة للكنيسة الكاثوليكية ثم انفصلت عنها في عهد ميخائيل كارولاريوس بطريرك القسطنطينية سنة ١٠٥٤م وأهم ما تتميز به هذه الكنيسة أن أتباعها يعتقدون أن روح القدس نشأ عن الله الأب فقط ولم ينشأ عن الإبن.

كما يعتقدون أن الإله الآب أفضل من الإله الابن. وليس للكنائس الأرثوذكسية رئيس عام بل كل كنيسة تعتبر مستقلة عن الأخرى وإن اتفقت جميعاً في المعتقد.

البروتستانت:

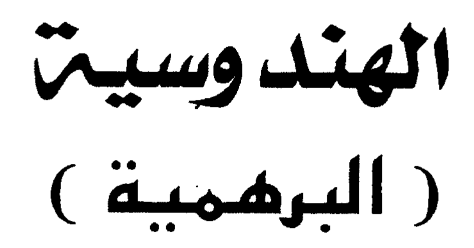
هم أتباع مارتن لوثر الذي ظهر في أوائل القرن السادس عشر الميلادي ومعنى البروتستانت أي المحتجين وتسمى كنيستهم الكنيسة الإنجيلية لدعواهم أنهم إنما يتبعون الإنجيل دون غيره ويفهمونه بأنفسهم دون الحاجة إلى البابوات.

وينتشر هذا المذهب في ألمانيا وإنجلترا والدانمارك وهولندا وسويسرا والنرويج وأمريكا الشمالية.

غير أن الإنجليز لا يزالون يطلقون على كنيستهم «الكنيسة الكاثوليكية» ويطلقون على الكنائس الأصلية اسم الكنيسة الرومانية الكاثوليكية.

ومن أهم ما تميز به البروتستانت أنهم جعلوا الإنجيل هو المصدر الوحيد للنصرانية. وأنهم يرون أنه ليس للكنيسة حق غفران الذنوب ولا يرون ضرورة للرهبنة كما أباحوا الزواج لرجال الدين ويحرمون اتخاذ الصور والتماثيل في الكنائس للسجود لها مستدلين بأن هذا عمل وثني وليس لكنائس البروتستانت رئيس عام فهم في هذه الناحية كالأرثوذكس.





الهندوسية
(البرهمية)




الهندوسية
(البرهمية)

في القرن الثامن قبل الميلاد أطلق على الديانة الهندوسية اسم «البرهمية» نسبة إلى «برهما» وهو في اللغة السنسكريتية معناه «الله» ورجال دين الهندوس يعتقدون أنه الإله الموجود بذاته الذي لا تدركه الحواس وإنما يدرك بالعقل وهو الأصل الأزلي المستقل الذي أوجد الكائنات كلها ومنه يستمد العالم وجوده. ويعتقد الهندوس أن رجال هذا الدين يتصلون في طبائعهم بعنصر «البرهما» ولذلك أطلق عليهم اسم «البراهمة».

أصل الهندوسية:

والهندوسية دين الجمهرة العظمى من سكان الهند وهي مجموعة من التقاليد والعادات والعقائد ولا يعرف على التحديد متى ظهرت هذه الديانة ولا يُعرف لها كذلك مؤسس تنتمي إليه ولكن يغلب على الظن أنها من تنظيم الآريين الذين هاجروا إلى الهند واستوطنوها ونقلوا إليها بعض عاداتهم وتقاليدهم وأشياء من ديانتهم. وأصلهم من بلاد الدانوب بأوربا أو من بلاد التركستان بالقرب من نهر جيحون.

والهندوسية أسلوب في الحياة أكثر مما هي مجموعة من العقائد وليست لها صيغ محدودة المعالم ولذا تشمل من العقائد ما يهبط إلى عبادة الأشجار والأحجار والقرود والمروج والفروج والأبقار بل إلى عبادة كل شيء. فقد يصلي الهندوسي إلى النمر الذي يفترس أنعامه ولجسر الخط الحديدي الذي يصنعه الإنجليزي ثم يصلي للإنجليزي نفسه إذا اقتضى الحال.

وقد حظيت البقرة في الديانة الهندوسية بأسمى مكانة ولا تزال كذلك على مر الدهور والعصور وقد كتب «غاندي» مقالاً بمجلة تصدر في بومباي يفلسف عبادة البقرة جاء فيه:

«عندما أرى بقرة لا أعدني أرى حيواناً لأني أعبد البقرة وسأدافع عن عبادتها أمام العالم أجمع.. وأمي البقرة تفضل أمي الحقيقية من عدة وجوه. فالأم الحقيقية ترضعنا مدة عام أو عامين وتتطلب منا خدمات طول العمر نظير هذا. ولكن أمنا البقرة تمنحنا اللبن دائماً ولا تتطلب منا شيئاً مقابل ذلك سوى الطعام العادي. وعندما تمرض الأم الحقيقية تكلفنا نفقات باهظة ولكن أمنا البقرة تمرض فلا نخسر لها شيئاً ذا بال. وعندما تموت الأم الحقيقية تتكلف جنازتها مبالغ طويلة. وعندما تموت أمنا البقرة تعود علينا بالنفع كما كانت تفعل وهي حية لأننا ننتفع بكل جزء من جسمها حتى العظم والجلد والقرون».

أطوار الديانة الهندوسية:

[١] ـ مرحلة ما قبل تدوين الويدا (كتاب الهندوس المقدس) والويدا كلمة سنسكريتية معناها الحكمة والمعرفة. وفي هذه المرحلة كانت تنتشر الأفكار البدائية وعبادة قوى الطبيعة سواء في ذلك ما أحدثه الآريون أو الطورانيون الذين هاجروا إلى الهند كذلك أو كان نابعاً من البيئة الهندية وبعض الباحثين يحدد بدء هذا الطور بالقرن الخامس عشر قبل الميلاد.

[٢] ـ مرحلة تدوين الويدا وتأويلها على أيدي رجال الدين «البراهمة» وقد سمي تأويل الويدا «البراهمانات» وقد بدأت هذه المرحلة في القرن الثامن قبل الميلاد إذ ظهر في ذلك العصر جماعة من أهل الفكر اهتموا بالشؤون الدينية وفكروا في عقائدهم فرأوا ضرورة تنظيمها وتدوينها وقد أدى هذا التفكير إلى آراء مغايرة لبعض ما ورثوه من عقائد. وكوّنوا مذهباً جديداً أطلقوا عليه اسم «البرهمية».

[٣] ـ مرحلة تلخيص الويدا في أسفار مقدسة تسمى «الأوبانيشادات» وتبدأ هذه المرحلة من القرن السادس قبل الميلاد.

كتاب الهندوس المقدس:

أشرنا في البحث السابق إلى أن كتاب الهندوس المقدس يسمى الويدا، وهذا الكتاب لا يعرف له واضع معين وهو عبارة عن أربعة كتب:

[١] ـ الريج ويدا.

وهو أشهر الأربعة وبعض الناس يزعم أنه يرجع إلى ما قبل الميلاد بثلاثة آلاف سنة وهو يشتمل على ١٠١٧ أنشودة دينية يتضرع بها الهندوس أمام آلهتهم.

ولا يزال الهندوس يتغنون إلى الآن ببعض هذه الأناشيد ويرتلونها في صلواتهم وحفلات زواجهم.

[٢] ـ ياجور ويدا.

وهي عبارات نثرية يرتلها رجال الدين عند تقديم القرابين.

[٣] ـ ساما ويدا.

وهي عبارة عن بعض الأغاني التي يتغنون بها عند الصلاة والدعاء.

[٤] ـ آثار ويدا.

وهي عبارة عن عمليات في السحر والرقي كما أن فيها تصويراً للحياة الهندية ويصور آثار ويدا هذه الحياة بأنها مملوءة بالآثام وأن الكون مملوء بالشياطين والأغوال، كما قد يصور آثار ويدا الآلهة عندهم بأنها كفت أيديها عن الخير ولم تعد تدفع الشر وأن الناس قد لجؤوا إلى الرقي والسحر لحماية أنفسهم.

الإله عند الهندوس:

أشرنا فيما مضى إلى أن الهندوس قد يعبدون كل شيء وقد كثرت عندهم الآلهة كثرة عجيبة، فمن معبوداتهم التي وردت في كتبهم المقدسة:

«وارونا» إله السماء و «اندرا» إله الرعد الذي يأتي بالمطر و «أغني» إله النار و «أوشا» إله الصبح و «رودرا» إله العواصف و «بارجانيا» إله الأنهار و «سورية» (الشمس).

وقد كان الهندوس إذا دعوا إلهاً من آلهتهم تناسوا باقي الآلهة فيسمونه بأحسن الأسماء ويخاطبونه برب الأرباب وإله الآلهة. فإذا ذهبوا إلى إله غيره أقاموه مقام الأول ووصفوه بأنه إله الآلهة ورب الأرباب.

وبمرور الزمن أثبتوا هذه الأوصاف لبعض آلهتهم دون الأخرى فصار هو وحده رب الأرباب وصار هذا الوصف لا يطلق على إله سواه.

وفي القرن الثامن قبل الميلاد عند تنظيم هذه الديانة فكر رجال الدين في توحيد الآلهة فجمعوا آلهتهم في إله واحد له ثلاثة أقانيم وأطلقوا عليه ثلاثة أسماء فيسمى «براهما» من حيث هو موجد للعالم ويسمى «فشنو» من حيث هو حافظ للعالم ويسمى «سيفا» من حيث هو مهلك للعالم. وقد جاء في بعض كتب الهندوس المقدسة أن كاهناً توجه إلى الآلهة «براهما» و «فشنو» و «سيفا» وسألهم:

أيكم الإله بحق؟ فأجابوا جميعاً: اعلم أيها الكاهن أنه لا يوجد أدنى فارق بيننا نحن الثلاثة فإن الإله الواحد يظهر بثلاثة أشكال بأعماله من خلق وحفظ وإعدام ولكنه في الحقيقة واحد فمن يعبد أحد الثلاثة فكأنه عبدها جميعاً أو عبد الواحد الأعلى.

وقد أشرت عند الكلام على تحريف المسيحية أن بولس «شاؤل اليهودي» قد اقتبس التثليث من ديانة الهندوس.

من عقائد الهندوس:

[١] ـ قانون الجزاء:

يعتقد الهندوس أنه لا بد من الجزاء على أعمال الخير وأعمال الشر،

وأن هذا الجزاء يكون في هذه الحياة ويسمون قانون الجزاء «الكارما».

[٢] ـ تناسخ الأرواح:

وقد لاحظ الهندوس أن الجزاء قد لا يقع فالظالم قد يموت دون أن يؤخذ بجزاء ظلمه، والمحسن قد يموت دون أن يؤجر على إحسانه، فأدى بهم ذلك إلى القول بتناسخ الأرواح ليقع الجزاء في الحياة القادمة على هذه الأرض إذا لم يقع في الحياة الحاضرة.

وتناسخ الأرواح معناه أن الروح إذا خرجت من جسم صاحبها وعليها ديون أو لها أجور عادت تلك الروح وتقمصت جسداً جديداً فتبدأ بذلك دورة جديدة لهذه الروح فتسعد أو تشقى نتيجة لما قدمت من عمل في دورتها السابقة وتكون تلك الحياة الجديدة هي جنتها أو نارها.

وقد يطلق على تناسخ الأرواح: تكرار المولد أو تجوال الروح، وهم يعتقدون أن الروح في جسمها الجديد تنسى كل ما حدث في جسمها السابق.

[٣] ـ التحرر من رق الأهواء والاتحاد بالبرهما:

كما يعتقد الهندوس أنه لا يزال يتكرر المولد وتتناسخ الأرواح حتى تتوقف الميول والشهوات فيتغلب الإنسان على نفسه وتنقطع ميوله وشهواته وينعدم عنده الخير والشر، فإذا تم له ذلك تخلص من تكرار المولد وامتزج بالبرهما، فالهدف الأسمى للحياة هو التحرر من رق الأهواء وانعدام حقيقة الحواس والاتحاد بالبرهما.

قوانين منو:

ظهرت هذه القوانين في أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الثاني قبل الميلاد كشروح للويدا، وقد نظمت هذه القوانين حياة الهندوس وكان لها أثر عظيم في استقرار معالم ديانتهم، وقد جاء في هذه القوانين:

ـ «إن الذي تغلب على نفسه فقد تغلب على حواسه التي تقوده إلى الشر، إن النفس لأمارة بالسوء والنفس لا تشبع أبداً بل يزداد جشعها بعد أن تنال مشتهاها».

ـ «إن الذي أوتي كل شيء والذي تخلى عن كل ما كان في يده فهذا خير من ذاك».

ـ «على طالب العلم أن يتجنب الحلوى واللحوم والروائح الطيبة والنساء وكذلك يجب عليه ألا يدلك جسده بما له رائحة طيبة ولا يكتحل ولا يلبس حذاء ولا يتظلل بالشمسية وعليه ألا يهتم برزقه بل يحصل على رزقه بالتسول».

ـ «وعندما تدخل في الشيخوخة عليك بالتخلي عن الحياة الأهلية، وبالإقامة في الغابة فليس لك أن تقص شعرك ولحيتك وشواربك ولا أن تقلم أظافرك».

ـ «وليكن طعامك مما تنبته الأرض وتثمره الأشجار ولا تقطف الثمر بنفسك بل كُلْ منه ما سقط من الشجرة بنفسه، وعليك بالصوم، تصوم يوماً وتفطر يوماً وإياك واللحم والخمر».

ـ «عوّد نفسك على تقلبات الموسم فاجلس تحت الشمس المحرقة، وعش أيام المطر تحت السماء وارتد الرداء المبلل في الشتاء».

ـ «لا تفكر في الراحة البدنية، اجتنب سائر الملذات، لا تقرب من زوجتك، نم على الأرض ولا تأنس بالمكان الذي أنت فيه».

ـ «إذا مشيت فامش حذراً حتى لا تتخطى عظماً أو شعراً وحتى لا تدوس نسمة وإذا شربت الماء فاحذر أن تبتلع نسمة».

ـ «لا تفرح للذيذ ولا تحزن على الرديء».

وتذكر قوانين منو بدء الخليقة ونظام الطبقات في الهند فتقول:

«في المبدأ كان الكون مغموراً في غيابة الظلام ولا يمكن إدراكه، وخالياً من كل وصف مميز، لا يستطاع تصوره بالعقل ولا بالوحي كأنه في سبات عميق فلما انقضى أمد هذا الانحلال تعلقت إرادة المولى الموجود بذاته التي لا تدركها الأبصار فجعل هذا العالم مرئياً وعناصره الخمسة وأصوله الأخرى متلألئاً بالنور الأقدس قاشعاً الظلام الحالك فاقتضت حكمة برهما الذي لا يدركه إلا العقل أن يبرز من مادته المخلوقات المختلفة فأوجد الماء أولاً ووضع فيه جرثومة فصارت الجرثومة بيضة لامعة لمعان الذهب وعاشت داخلها الذات الصلبة على صورة برهما وهو جد جميع الكائنات، فبعد أن لبث برهما في البيضة سنة برهمية وهي تعادل ملايين السنين البشرية قسم المولى بمحض إرادته هذه البيضة قسمين وصنع منهما السماء والأرض والكائنات وعين لكل كائن اسمه وخلق عدداً عديداً من الآلهة وخلق طائفة غير مرئية من الجن وخلق الزمان وأقسامه والكواكب والأنهار والبحار والجبال، ثم خلق البرهمي من فمه والكاستريا من ذراعه والويشيا من فخذه والشودرا من رجله فكان لكل من هذه الطبقات منزلته على هذا النحو.

ثم تحدثت شرائع منو بالتفصيل عن وظائف كل طبقة من هذه الطبقات فقالت:

«ولكل طبقة من طبقات المجتمع الهندوسي وظائفها وواجباتها»:

فعلى البرهمي أن يشتغل بالتعلم والتعليم وبإرشاد الناس في دينهم فكان هو المعلم والكاهن والقاضي.

أما كشتريا فكانت وظيفته أن يتعلم ويقدم القرابين وينفق في الصدقات ويحمل السلاح للدفاع عن وطنه وشعبه.

أما ويشيا فعليه أن يزرع ويتجر ويجمع المال وينفق على المعاهد العلمية والدينية.

وأما شودرا فعليه أن يخدم الطوائف الثلاث الشريفة.

وقد نظمت قوانين منو اختصاصات كل طبقة فقالت عن البراهمة:

«ويقوم البراهمة بدرس أسفار الويدا وتعاليمها وتبريك تقديم القرابين التي لا تقبل من الناس إلا عن طريقهم، ويجب أن يحافظ البرهمي على كنز الشرائع المدنية والدينية».

«وإذا ولد برهمي وضع في الصف الأول من صفوف الدنيا».

«والبرهمي محل لاحترام جميع الآلهة بسبب نسبه وحده. وأحكامه حجة في العالم والكتاب المقدس هو الذي يمنحه هذا الامتياز».

«كل ما في العالم ملك البرهمي وللبرهمي الحق في كل موجود».

«والبرهمي إذا ما افتقر حُقّ له أن يمتلك مال الشودري الذي هو عبد له من غير أن يجازيه الملك على ما فعل فالعبد وما يملك لسيده».

«ولن يدنس البرهمي بذنب ولو قتل العوامل الثلاثة».

«ولا ينبغي للملك أن يجبي خراجاً من برهمي عالم بالكتاب المقدس، ولو مات الملك محتاجاً ولا يجوز أن يصبر على جوع برهمي في ولايته».

«وليتجنب الملك قتل برهمي ولو اقترف جميع الجرائم وليطرده - إذا رأى - من مملكته على أن يترك له جميع أمواله وألا يصيبه بأذى».

«وعلى الملك ألا يقطع أمراً مهما كان دون استشارة البراهمة».

أما طبقة الكاشتريا فتقول عنها قوانين منو:

«إن الذين تغذت عقولهم بكتب ويدا وغيرها هم الذين يصلحون لأن يكونوا قواداً أو ملوكاً أو قضاة أو حكام الناس».

«ينصب الملك من الكاشتريا، وللملك على الكاشتريا احترام الجنود لقائدهم».

«ويجب ألا يستخف بالملك ولو كان طفلاً وذلك بأن يقال: إنه إنسان، فالألوهية تتجسم في صورة الملك البشرية».

«ولا يجوز للكاشتري أن يشتغل بغير الجندية، والكاشتري يعيش جندياً حتى في وقت السلم».

«وعلى الكاشترية أن يتجمعوا عند أول نداء، وعلى الملك أن يعد لهم عُدَدَ الحرب وأسنحته».

«لا تبارك موارد الملك ووسائله ولو نال كنوزاً واكتسب أملاكاً إلا إذا أصبح صديقاً للضعيف».

أما وظائف الويشية فتقول فيها قوانين منو:

«يجب على الويشي أن يتزوج امرأة من طائفته وأن يعني جاداً بمهنته ويربي الماشية على الدوام».

«وعلى التجار منهم معرفة قوانين التجارة ونظام الربا».

«وليعلم الويشي جيداً كيف يبذر الحبوب، وليفرق بين الأرض الجيدة والأرض الرديئة وليطلع على نظام الموازين والمكاييل اطلاعاً كافياً».

«وليعرف أجر الخدم ولغات الناس، وما تحفظ به السلع وكل ما يمت إلى البيع والشراء بصلة».

أما اختصاصات طبقة الشودرا فيقول عنها منو:

«يجب على الشودري أن يمتثل امتثالاً مطلقاً أوامر البراهمة سادة الدار العارفين بالكتب المقدسة والمشتهرين بالفضائل فترجى له السعادة بعد موته ببعث أسمى».

«لا يجوز للشودري أن يجمع ثروات زائدة ولو كان على ذلك من القادرين فالشودري إذا جمع مالاً آذى البراهمة بقحته».

«ويجب نفي ابن الطبقة الدنيا الذي تحدثه نفسه بأن يساوي رجلاً من طبقة أعلى من طبقته وأن يوسم تحت الورك».

«وتقطع يداه إذا علا من هو أعلى منه بيده أو بعصاه وتقطع رجله إذا رفسه برجله».

«وإذا ما دعاه باسمه أو باسم طائفته بدون تقدير أدخل إلى فمه خنجر محمّى مثلوث النصل طوله عشرة قراريط».

«ويأمر الملك بصب زيت حار في فمه وفي أذنيه إذا بلغ من الوقاحة ما يبدي به رأياً للبراهمة في أمور وظائفهم».

البوذية



البوذية

تنسب البوذية لرجل أصله من الهندوس قد لقب ببوذا وينتمي هذا الرجل إلى قبيلة ساكيا التي كان لها السلطان على الأرض الواقعة بين مدينة بنارس وجبال الهملايا شمال نهر الكنج وكان أبوه - ويدعى «سدودانا» - أحد نبلاء هذه القبيلة يملك الضياع الفسيحة والقصور الشاهقة ويتمتع بالجاه العريض وكان هذا النبيل متزوجاً من نبيلة تدعى «مايا» فكان بوذا الثمرة الأولى لهذا الزواج وقد ولد في أوائل القرن السادس قبل الميلاد وأطلق عليه اسم «سذهاتا» وماتت أمه في الأسبوع الأول من ولادته فاحتضنته خالته «مهاياباتي» فترعرع الطفل ونشأ نشأة الأمراء وأبناء الملوك.

وتزوج سذهاتا من ابنة أحد الأمراء واسمها «ياسودهرا» وسرعان ما رزق منها بولد سماه «راهولا».

وقد بلغ سذهاتا آنذاك تسعة وعشرين عاماً وكانت قد لعبت برأسه أفكاراً شتى وصارت تتجاذبه أحاسيس متباينة كانت صدى للحياة الهندوسية التي كان يحياها من جانب ولحياة الترف والنعيم التي كان يحياها من جانب آخر.

وفي الليلة التي ولد فيها ولده راهولا كان القصر يموج بالبشر والفرح بمجيء الطفل الوليد غير أن سذهاتا قد استقر رأيه على أن يدع حياة الترف والنعيم وأن يبدأ حياة الزهادة والتقشف لعله يصل إلى معرفة سر الكون. وحينما هجع القصر بعد المرح والغناء ألقى سذهاتا نظرة وداع على زوجته وطفله وتسلل من القصر وامتطى جواده وأطلق له العنان ولم يأت الصبح إلا

وقد خرج سذهاتا من أرض قبيلته فنزل عن جواده وأزال بسيفه ذوائبه المتهدلة وخلع جميع ما كان يتحلى به ووضعها على متن حصانه مع سيفه وبعثها إلى منزله ثم واصل سيره راجلاً حتى التقى براهبين من البراهمة فصاحبهما دهراً لعله أن يعرف بواسطتهما سر الكون.

وحينما فشل في مقصوده منهما هجرهما وقرر أن يسعى بنفسه لنيل المعرفة وكشف أسرار الكون وبدأ حياة الترهب فصار يسمى من هذا الحين غوتاما أي الراهب.

وفي هذا الطور خلع ثيابه واكتفى برقاع أو أوراق الشجر يستر بها عورته وصار يلقي بجسمه بين الأشواك والحصا وقام بألوان الرياضات النفسية حتى اضمحل جسمه.

وقد صحبه في هذه الفترة خمسة من النساك رأوا فيه مثالاً أعلى للزهادة والتقشف وقد استمر على هذا الحال سبع سنين لم يدرك له وطراً ولم يصل إلى غايته.

فقرر أن يعود إلى طعامه وشرابه واستقر رأيه علي أن يعود إلى أهله فحزن رفاقه النساك وفارقوه آسفين.

وفي طريق عودته إلى أهله مال إلى شجرة في غابة أرويلا ليتناول في ظلها طعامه بيد أنه أحس ببعض السعادة النفسية تحت ظلال هذه الشجرة وبينما هو كذلك إذ هتف به هاتف من نفسه أن يجاهد نفسه هذا اليوم حتى يعرف سر الكون ويقول غوتاما:

فجلست تحت تلك الشجرة وقلت لعقلي وجسدي: اسمعا لا تبرحا هذا المكان حتى أجد ذلك الحق. لينشف الجلد ولتنقطع العروق ولتنفصل العظام وليقف الدم عن الجريان لن أقوم من مكاني حتى أعرف الحق الذي أنشده فينجيني.

ومن هذا التاريخ أطلق على هذا الرجل اسم «بوذا» ومعناه العارف

المستيقظ والعالم المتنور كما أن الشجرة التي كان بوذا يجلس تحتها قد سميت شجرة العلم أو الشجرة المقدسة.

أما غابة أرويلا فقد أطلق عليها من ذلك الحين اسم «بوذاكيا» وقد استقر رأي بوذا على أن ينشر مذهبه الجديد فترك غابة بوذاكيا وذهب إلى مدينة بنارس حيث كان يعيش رفاقه النساك الخمسة فدعاهم إلى مذهبه فأطاعوه ثم أخذ ينشر فكره حتى اجتمع له ستون شاباً فعلمهم مبادئه ولقنهم دعوته وطلب منهم القيام بنشرها وفارقهم ليرى أسرته ويزور أهله وعندما وصل إلى أسرته حاولوا منعه من فكرته وأخبروه أنها خيالات تراءت له فلم يقبل نصح أهله وعاد إلى أتباعه.

فاشتهرت دعوته وصارت تعرف باسم «النظام» أو عجلة الشريعة. وقد عمد بوذا إلى بعث خيرة أتباعه إلى نواح متفرقة من بلاد الهند لبث دعوته وكان لا يبعث الداعية حتى يعقد له اختباراً نفسانياً ليرى مقدار تغلغل الفكرة في نفسه وصلاحيته للقيام بمهمة التبشير، ومن أمثلة هذا الاختبار أنه أراد أن يبعث داعية اسمه بورنا إلى قبيلة معروفة بالشراسة اسمها «سرونا برانتا» فقال له: إن رجال هذه القبيلة قساة سريعو الغضب فإذا وجهوا إليك ألفاظاً بذيئة خشنة ثم غضبوا عليك وسبوك فماذا كنت فاعلاً!

فأجاب بورنا: أقول: لا شك أن هؤلاء قوم طيبون لينو العريكة لأنهم لم يضربوني بأيديهم ولم يرجموني بالحجارة.

قال بوذا: فإن ضربوك بأيديهم ورجموك بالحجارة فماذا كنت فاعلاً؟

قال بورنا: أقول: إنهم طيبون لينون إذ لم يضربوني بالعصي ولا بالسيوف.

قال بوذا: فإن ضربوك بالعصي والسيوف؟

قال بورنا: أقول إنهم طيبون لينون إذ لم يحرموني الحياة نهائياً.

قال بوذا: فإن حرموك الحياة؟

قال بورنا: أقول: إنهم طيبون لينون إذ خلّصوا روحي من سجن هذا الجسد السيء بلا كبير ألم.

فقال له بوذا: أحسنت يا بورنا أنك تستطيع بما أوتيته من الصبر والثبات أن تسكن في بلاد قبيلة سرونا بارانتا فاذهب إليهم وكما تخلصت فخلصهم وكما وصلت إلى الساحل فأوصلهم معك وكما تعزيت فعزهم.

فذهب بورنا فدخل جميع أفراد هذه القبيلة في مذهب بوذا.

وكان بوذا لا يرسل إلى الناحية إلا داعية واحداً.

وقد استمر بوذا ينشر دعوته حتى مات وهو في سن الثمانين من عمره فأحرقت جثته وقسم أتباعه رمادها إلى ثمانية أجزاء بعثوا بكلِ جزء منها إلى ناحية من النواحي التي اتبعته فبنيت فوق الرماد المعابد البوذية الضخمة.

أفكار بوذا:

لا تكاد الأفكار البوذية تخرج في الجملة عن أفكار الهندوس فهم يقولون بالكارما وبتناسخ الأرواح ويسعون للقضاء على الرغبات والتوقف عن الخير والشر تخلصاً من الكارما ومن تكرار المولد، ويرون أن التسول من أبرز أمارات البوذيين غير أن بوذا لا يقرر عقائد ولا يؤسس مذاهب فلسفية بل يقرر أن العقائد قد تكون حاجزاً دون الوصول إلى المعرفة والإشراق.

الألوهية عند بوذا:

كان بوذا في أول أمره يتحاشى الحديث عن الإله وكان ينهى أصحابه وزواره عن البحث في الألوهية، وقد سأله أحد مريديه مرة: هل الذات موجودة؟ فسكت بوذا، فسأله المريد مرة أخرى: هل الذات ليست موجودة؟ فظل بوذا ساكتاً، فسأله مرة ثالثة: هل هذا الكون دائم أو غير دائم؟ فقال بوذا لهذا المريد: هل قلت لك جئني أعلمك عن الذات وعن الكون؟ لا، لم أقل هذا. أيها المريدون: لا تفكروا كما يفكر الناس بل فكروا هكذا: هذا ألم: هذا مصدر الألم. هذا إعدام الألم. هذا سبيل إعدام الألم.

وكان بوذا يقول: إن خلاص الإنسان متوقف عليه لا على الإله، ويرى أن الإنسان صانع مصير نفسه، ويوصي أتباعه قائلاً: كونوا لأنفسكم جزائر قائمة بنفسها وكونوا لأنفسكم موائل وكهوفاً ولا تعتصموا بملاذ خارجي ولا تحتموا بغير أنفسكم.

ثم صار بوذا يحارب معتقدي الألوهية، فقد وقف في إحدى خطبه يسخر ممن يقول بوجود الإله وجاء في خطبته هذه: إن المشائخ الذين يتكلمون عن الله لم يروه وجهاً لوجه فهم كالعاشق الذي يذوب كمداً وهو لا يعرف من هي حبيبته، أو كالذي يبني السلم وهو لا يدري أين يوجد القصر.

أجلى مظاهر البوذي:

إن أجلى مظاهر البوذي عند بوذا هو أن يتنازل البوذي عن أمواله وعقاره ثم يحمل مخلاته أو (كشكوله) ويلتحق بالجماعة البوذية عائشاً على مد اليد للتسول والاستجداء، كما أن البطالة والكسل تعتبر من أبرز أمارات البوذي. كما حارب بوذا نظام الطبقات السائد عند الهندوس وكان يقول:

«اعلموا كما تفقد الأنهار الكبيرة أسماءها عندما تصب في البحر كذلك تبطل الطبقات الأربع عندما يدخل الشخص في النظام ويقبل الشريعة».

البوذية بعد بوذا:

أشرنا إلى أن بوذا كان يحارب العقائد الدينية ولا سيما ما يتصل بالإله، ولكن البوذية تطورت بعد بوذا فدخلتها مسائل الألوهية وأصبح بوذا نفسه معبوداً كآلهة الهندوس وأخذت البوذية تبتعد عن مذهب بوذا كلما بعد بها الزمن أو الوطن.

وقد انقسمت البوذية إلى قسمين:

البوذية القديمة والبوذية الجديدة.

فالبوذية القديمة: هي التي آثر أصحابها أن لا يبتعدوا عن آراء بوذا نفسه مهما كانت الظروف وصار يطلق عليها المذهب الجنوبي إذ انتشرت في بورما وتايلاند وسيلان، وقد سجلت كتبها بلغة هندية قديمة هي اللغة «الباليه».

أما البوذية الجديدة: فقد دخلتها الأفكار الجديدة وأقرت الألوهية وتسمى المذهب الشمالي إذ قد انتشرت في الصين واليابان ونيبال وإندونيسيا، وقد سجلت كتبها باللغة السنسكريتية.

وقد تشعبت البوذية الجديدة بسبب الحضارات التي وفدت هذه البوذية إليها في أقطارها.

فشعبة من هذه الشعب تعتقد بوحدانية الله وأن الله أوجد العالم وأسباب بقائه ثم تركه مكتفياً بهذه الأسباب.

وشعبة ترى أن الله يفرغ الكمالات الإنسانية في كل زمن على إنسان يتجرد لعبادته ويبتعد عن إرضاء الشهوات الحيوانية، وهذا الإنسان المختار يحل محل الإله في إظهار الرضا عن بعض الناس أو الغضب عليهم تبعاً لأعمالهم.

وشعبة تدعي أن الله يحل في أي صورة يختارها من صور أفراد الإنسان ليكملها ويطهرها «كاللاما في بلاد التبت» وبعضهم يدعي أن بوذا ابن الله وأنه جاء ليخلص البشر وينقذهم من الخطايا ويلقبون أم بوذا بأنها والدة الآلهة، تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

أما البوذيون الصينيون فقد جعلوا آلهة البوذية ثلاثة وثلاثين إلهاً على الطريقة التي كانوا عليها قبل البوذية.

الوثنيات في العصر الحاضر
في إفريقيا وآسيا



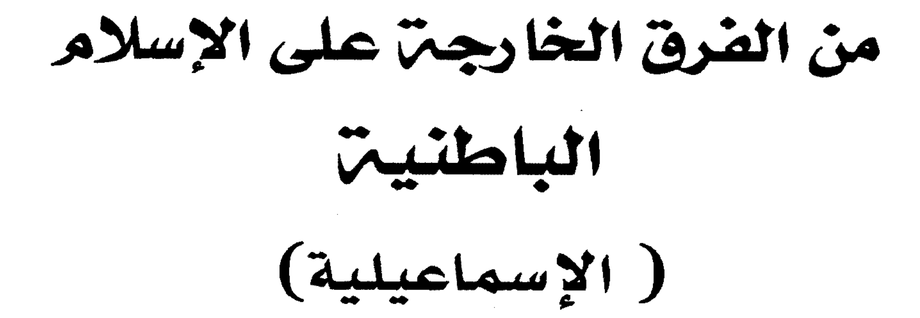



الوثنيات في العصر الحاضر
في إفريقيا وآسيا

لا تزال المناطق البدائية في كل من إفريقيا وآسيا تعج بالوثنيين في تلك الجهات، ففي إفريقيا يوجد عبدة النار (المجوس) في نيجيريا والنيجر وساحل العاج وداهومي وتوجو وغانا وبعض بوادي تشاد، وهؤلاء لا يقتصرون في عباداتهم على النار بل منهم من يعبد بعض الأشجار والأحجار والأشخاص والحيوانات، كما توجد أنواع من هذه العبادات في الغرب من مالي، كما أن بعض هؤلاء البدائيين لا يكادون يستقرون على معبود من هذه المعبودات. كما توجد بعض القبائل في السنغال لا يعرفون معبوداً قط، ومن هذه القبائل قبيلة (سِرير) التي تقطن منطقة السين بالسنغال، وقبيلة (جُولا) التي تقطن المنطقة الجنوبية من السنغال أيضاً والتي تعرف باسم (كاساماس) المتاخمة لغينيا (لبرتغالية).

كما تنتشر في آسيا في المناطق البدائية كذلك ألوان من الوثنيات وبالأخص في بعض الأحراش الموجودة بأواسط أندونيسيا واليابان وجنوب شرقي آسيا.





من الفرق الخارجة على الإسلام

الباطنية

(الإسماعيلية)





من الفرق الخارجة على الإسلام
الباطنية (الإسماعيلية)

الواقع أن الإسماعيلية إحدى مظاهر الدعوة الباطنية، وقد ظهر هؤلاء الباطنيون في صور شتى فعرفوا بالإسماعيلية كما عرفت منهم القرامطة والخرمية والمحمرة والنصيرية والدرزية والقاديانية والبهائية، كما أن بعض هذه الفرق صارت تعرف بأكثر من عنوان، ونشير فيما يلي إلى نشأة الباطنية وأسباب هذه العناوين التي أطلقت على فروع هذه الفرقة:

أصل الباطنية:

حينما أظهر الله الإسلام وبسط رواقه على أرض فارس تشاور جماعة من المجوس والمزدكية وشرذمة من الثنوية وطائفة من ملاحدة الفلاسفة وبعض اليهود في حيلة يدفعون بها في نحر الإسلام ويعملون بها على تشتيت شمل المسلمين فاتفقوا على انتحال مذهب يستمد أصوله من أصول الفلاسفة وقواعد المزدكية وعقائد الثنوية ورأوا أن أنجع الوسائل لتحقيق أهدافهم أن يتمسحوا بالانتساب إلى نصرة آل بيت النبي ﷺ وأن يختاروا رجلاً يزعمون أنه من آل البيت وأنه يجب على كافة الخلق مبايعته وتتعين عليهم طاعته فإنه خليفة رسول الله ﷺ، وهو معصوم عن الخطأ.

وقد تذرعوا بذلك إلى استدراج العامة لينسلخوا من الدين فإن أراد أحد أن يتمسك بظاهر القرآن ومتواتر الأخبار أخبروه أن تلك الظواهر لها أسرار وبواطن وأن أمارة الأحمق الانخداع بظواهرها وأن الفطن هو من لا يرى هذه الظواهر وإنما يتبع الإمام المعصوم في تفسير الباطن.

فكان هؤلاء الباطنيون كما قيل فيهم: ظاهرهم الرفض وباطنهم الكفر المحض.

أسماء الباطنية:

فهؤلاء يطلق عليهم اسم «الباطنية» لزعمهم أن نصوص الدين لها ظاهر وباطن.

كما يطلق عليهم اسم **الإسماعيلية** لأنهم زعموا أنهم ينتسبون إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وقد أجمع علماء النسب على أن إسماعيل مات في حياة والده عام ١٤٥هـ وأنه لم يعقب، غير أن هؤلاء الإسماعيليين يزعمون أن إسماعيل لم يمت وأن أباه قد نص على إمامته ثم كتب محضراً بوفاته وشهد عليه عامل المنصور بالمدينة المنورة حيلة في إخفائه من نقمة الخليفة العباسي بينما توجه إسماعيل سراً إلى السلمية من أرض الشام حيث كان يقيم فيها آنذاك رهط من بني هاشم فزعم أنه منهم، ثم يزعم الإسماعيليون أن الخليفة العباسي علم بمكان إسماعيل في السلمية فخاف إسماعيل على نفسه وغادر السلمية إلى دمشق فكتب الخليفة إلى عامله بدمشق ليقبض عليه ولكن عامله كان من الإسماعيليين فعرض الكتاب على إسماعيل فغادر البلاد متوجهاً إلى العراق حيث شوهد بالبصرة عام ١٥١هـ وأنه لبث عدة سنوات يتنقل بين أتباعه تحت أسماء عديدة وأزياء مختلفة حتى توفي بالبصرة عام ١٥٨هـ.

ويزعمون أنه رزق من الأولاد محمداً وعلياً وفاطمة، وأنه قام بالإمامة من بعده سراً محمد بن إسماعيل ثم أحمد الوفي ثم محمد التقي ثم رضي الدين عبد الله ثم محمد المهدي.

وقد لقب الإسماعيلية أيضاً بالسبعية: إما لاعتقادهم أن أدوار الإمامة سبعة وأن الانتهاء إلى السابع هو آخر الدور وهو المراد بالقيامة وأن تعاقب الأدوار لا نهاية له قط.

وإما سموا سبعية لقولهم إن تدابير العالم السفلي منوطة بالكواكب السبعة التي أعلاها زحل ثم المشتري ثم المريخ ثم الشمس ثم الزهرة ثم عطارد ثم القمر، وهذا المذهب مأخوذ من ملاحدة المنجمين.

كما يطلق على هؤلاء الباطنيين اسم **المحمرة** الذين ظهروا عام ١٦٢هـ برئاسة رجل يقال له عبد القهار وقد استولوا على جرجان وقتلوا خلائق حتى سار إليهم عمرو بن العلاء من طبرستان وقتل زعيمهم عبد القهار وجماعة من أصحابه، وقد أطلق على هؤلاء اسم المحمرة إما لأنهم صبغوا الثياب بالحمرة واتخذوها شعاراً ليتميزوا عن بني العباس وإما لأنهم يطلقون على مخالفيهم اسم الحمير. أو لأن أخلاقهم وطبائعهم صارت شبيهة بطبائع الحمير.

كما أطلق على هؤلاء اسم **«التعليمية»** لزعمهم أنه لا يجوز لأحد أن يأخذ بالرأي أو باستنباط العقل وزعموا أنه لا يجوز لأحد من الخلق أن يأخذ العلم إلا من الإمام المعصوم وأنه لا مدرك للعلوم إلا التعليم من ذلك الإمام.

كما أطلق عليهم اسم **الخرمية** أو **الخرمدينية** وكلمة خرّم أعجمية وهي تدل على الشيء المستلذ المستطاب الذي يفرح الإنسان بمشاهدته ويهتز لرؤيته، وإنما لقبوا بهذا اللقب لأن حاصل مذهبهم هو إسقاط التكاليف وحط أعباء الشرع عن المتعبدين وتسليط الناس على إتباع الشهوات وقضاء الملذات وانتهاك المحرمات.

وقد كان هذا اللقب يطلق في بلاد فارس قبل الإسلام على المزدكية وهم أصحاب الشيوعية الأولى الذين ظهروا في عهد قباذ والد أنو شروان، كما لقب هؤلاء **«بالبابكية»** لأن جماعة منهم بايعوا رجلاً يقال له بابك الخُرّمي، وقد خرج أيام المعتصم في بلاد آذربيجان، وقد عاث هؤلاء في الأرض فساداً وهزموا جيوش المسلمين.

ويذكر ابن الأثير وغيره أن الأفشين صاحب سجن المعتصم توجه لقتالهم واتخذ من الحيل والخديعة ما تمكن معه من أسر بابك فأتى به إلى سامرا في صفر سنة ثلاث وعشرين ومائتين فأمر المعتصم أن تقطع يداه ورجلاه ثم أمر بذبحه وشق بطنه وأنفذ رأسه إلى خراسان وصلب بدنه بسامرا.

وقد كان هؤلاء البابكية يستبيحون كل محرم كما كان لهم ليلة يجتمع فيها رجالهم ونساؤهم ويطفئون سرجهم ثم يتناهبون النساء فيثب كل رجل إلى امرأة فيظفر بها، ويزعمون أن من استولى على امرأة استحلها بالاصطياد وأن هذا الصيد من أطيب المباحات، مع أنهم كذلك كانوا يؤمنون برجل في جاهلية الفرس كان من ملوكهم قبل الإسلام يدعى شروين ويزعمون أنه كان نبياً وأنه أفضل من محمد ومن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام.

ويطلق عليهم كذلك اسم **القرامطة** نسبة إلى رجل منهم يقال له حمدان قرمط وقد كان راعياً من أهل الكوفة مائلاً إلى الزهد في بدء حياته فصادفه أحد دعاة الباطنية في طريق وهو متوجه إلى قريته وبين يديه بقر يسوقها. فقال حمدان قرمط لذلك الداعي وهو لا يعرفه ولا يعرف حاله: أراك سافرت عن موضع بعيد فأين مقصدك؟ فذكر موضعاً هو قرية حمدان فقال له حمدان: اركب بقرة من هذا البقر لتستريح من تعب المشي، فلما رآه مائلاً إلى الزهد والديانة أتاه من حيث رآه مائلاً إليه فقال: إني لم أومر بذلك فقال حمدان: وكأنك لا تعمل إلا بأمر؟ قال: نعم. قال حمدان: وبأمر من تعمل؟ فقال الداعي: بأمر مالكي ومالكك ومن له الدنيا والآخرة فقال حمدان: ذلك إذن هو رب العالمين. فقال الداعي: صدقت ولكن الله يهب ملكه لمن يشاء قال حمدان: وما غرضك في البقعة التي أنت متوجه إليها، قال: أمرت أن أدعو أهلها من الجهل إلى العلم، ومن الضلال إلى الهدى ومن الشقاوة إلى السعادة، وأن أستنقذهم من ورطات الذل والفقر وأملكهم ما يستغنون به عن الكد والتعب، فقال له حمدان: أنقذني أنقذك الله! وأفض

عليّ من العلم ما يحببني به فما أشد احتياجي إلى مثل ما ذكرته فقال الداعي: وما أمرت أن أخرج السر المخزون لكل أحد إلا بعد الثقة به والعهد عليه، فقال حمدان: وما عهدك؟ فاذكره لي فإني ملتزم به، فقال الداعي: أن تجعل لي وللإمام على نفسك عهد الله وميثاقه ألا يخرج سر الإمام الذي ألقيته إليك ولا تفشي سري أيضاً.

فالتزم حمدان سره ثم اندفع الداعي في تعليمه فنون جهله حتى استدرجه واستغواه واستجاب له في جميع ما دعاه.

ثم انتدب حمدان للدعوة، وصار أصلاً من أصول الباطنية، وقد سمي أتباعه القرمطية أو القرامطة وأصل القرمطة قصر الخطو في المشي أو دقة الحروف وتقارب الأسطر في الكتابة، وهؤلاء ولا شك قصار النظر قد التبس عليهم سبيل الحق فضلوا عن سواء السبيل.

وقد صار لهؤلاء دولة وعاثوا في الأرض فساداً واستولوا على البحرين وهجر وأخافوا البلاد وروعوا العباد.

قال ابن كثير رحمه الله في حوادث سنة ثمان وسبعين ومائتين هـ: وفيها تحركت القرامطة وهم فرقة من الزنادقة الملاحدة أتباع الفلاسفة من الفرس الذين يعتقدون نبوة زرادشت ومزدك وكانا يبيحان المحرمات ثم هم بعد ذلك أتباع كل ناعق إلى باطل وأكثر ما يفسدون من جهة الرافضة ويدخلون إلى الباطل من جهتهم لأنهم أقل الناس عقولاً، ويقال لهم الإسماعيلية لانتسابهم إلى إسماعيل الأعرج بن جعفر الصادق، ثم ذكر أن رئيسهم كان يأمر من اتبعه بخمسين صلاة في كل يوم وليلة ليشغلهم بذلك.

وفي سنة ست وثمانين ومائتين هـ تحرك القرامطة برئاسة أبي سعيد الحسن بن بهرام الجنابي واستولوا على هجر وما حولها من البلاد وأكثروا فيها الفساد.

وقد كان أبو سعيد الجنابي هذا سمساراً في الطعام يبيعه ويحسب

للناس الأثمان بالقطيف فجاء بعض الدعاة الباطنيون إلى شيعة القطيف فاستجابوا له، وتأمر عليهم أبو سعيد الجنابي وأصله من بلدة يقال لها جنابة قريبة من القطيف، وعاث في الأرض فساداً وأخافوا أهل العراق والشام، إلى أن هلك أبو سعيد هذا عام ٣٠١هـ.

ثم قام بأمر القرامطة من بعده ولده الملقب بأبي طاهر الجنابي.

وكثر دعاة القرامطة وصار لهم دولة. وفي سنة سبع عشرة وثلاثمائة اشتدت شوكتهم جداً وتمكنوا من الوصول إلى الكعبة والناس يوم التروية فما شعروا إلا والقرامطة برئاسة أبي طاهر الجنابي قد انتهبوا أموالهم وقتلوا كل من وجدوا من الحجيج في رحاب مكة وشعابها وفي المسجد الحرام وفي جوف الكعبة.

وجلس أميرهم أبو طاهر على باب الكعبة والرجال تصرع حوله والسيوف تعمل في المسجد الحرام في الشهر الحرام في يوم التروية ويقول هذا الملعون:

«أنا الله وبالله أنا، أنا أخلق الخلق وأفنيهم أنا». ولم يدع أحداً طائفاً أو متعلقاً بأستار الكعبة إلا قتله، ثم أمر بإلقاء القتلى في بئر زمزم ودفن كثيراً منهم في المسجد الحرام، ثم هدم قبة زمزم وأمر بقلع باب الكعبة ونزع كسوتها عنها، ثم أمر بأن يقلع الحجر الأسود فجاء قرمطي فضرب الحجر بمثقل في يده وهو يقول: أين الطير الأبابيل، أين الحجارة من سجيل، ثم قلع الحجر الأسود وأخذوه معهم فمكث عندهم اثنتين وعشرين سنة.

وفي نفس هذه السنة التي اقتلع فيها القرامطة الحجر الأسود نبغت لهم نابغة في بلاد المغرب عرفت باسم الفاطميين على يد زعيم لهم يقال له أبو محمد عبيد الله بن ميمون القداح، وقد كان يهودياً صباغاً بسلمية فادعى أنه أسلم ثم سافر من سلمية فدخل بلاد المغرب وادعى أنه شريف فاطمي فصدقه طائفة كثيرة من البربر حتى صارت له دولة فملك مدينة سجلماسة ثم

ابتنى مدينة وسماها المهدية. وانتزع الملك من يد أبي نصر زيادة الله آخر ملوك بني الأغلب على إفريقية.

وقد كان هذا الضال يشيع ويذيع أنه من أهل البيت.

وقد اختلف في سياق نسبه فمرة قيل: هو عبيد الله بن الحسن بن محمد بن علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب.

ومرة يقول: إنه من نسل إسماعيل بن جعفر الصادق.

قال ابن خلكان: والمحققون ينكرون دعواه في النسب وينصون على أن هؤلاء المتسمين بالفاطميين أدعياء وأنهم من أصل يهودي من سلمية، وقد لقب أبوه ميمون بالقداح لأنه كان كحالاً يقدح العيون.

وقد هلك عبيد الله بن ميمون القداح هذا سنة ٣٢٢هـ.

وقد تمكن حفيده المعز من الاستيلاء على مصر، وقد استمر ملك العبيديين بها نحو قرنين من الزمان إلى أن قضى عليه بطل الإسلام صلاح الدين الأيوبي في سنة أربع وستين وخمسمائة هـ وأزال منها رسوم هؤلاء العبيديين وأراح الله المسلمين من كثير من شرورهم.

الدروز:

ومن هؤلاء الباطنية طائفة الدروز وهم ينتسبون إلى أحد دعاة الباطنيين الذين قالوا بألوهية الحاكم العبيدي يقال له درزي وقد كان درزي من أصل فارسي واسمه محمد بن إسماعيل، وقد جاء إلى مصر سنة ٤٠٨هـ ودخل في خدمة الحاكم بأمره وكان أول من أعلن ألوهية ذلك الحاكم المجنون، وقد شاركه في تقرير هذه الجريمة رجل فارسي أيضاً يقال له حمزة بن علي من أهالي زوزن (بإيران) وقد كان لباداً ثم قدم مصر واتصل بالحاكم أيضاً.

وقد بدأ درزي في إعلان هذا المبدأ الهدام إذ ألف كتاباً ضمنه

المبادىء الباطنية وأعلن فيه ألوهية الحاكم وقرأه بالجامع الأزهر بالقاهرة فأحدث ضجة بين الناس وأرادوا قتله فهرب من مصر ولجأ إلى جبال لبنان حيث أخذ ينشر هذا المذهب حتى هلك عام ٤١٠هـ.

واستوطن الدروز لبنان وبانياس ومرتفعات جبل حوران الذي سمي باسم جبل الدروز.

النصيرية



النصيرية

ومن هذه الفرقة الباطنية جماعة النصيرية، وقد سماهم الفرنسيون العلويين، وهم في الأصل ينتسبون إلى رجل يقال له محمد بن نصير، كان مولى من موالي بني نمير، كما كان من الملتفين حول الحسن العسكري الذي يدعي الإمامية الاثنا عشرية أنه إمامهم الحادي عشر. وحينما توفي الحسن العسكري سنة ٢٦٠هـ ولم يكن له عقب كما شهد بذلك أخوه جعفر؛ احتال محمد بن نصير فادعى لشيعة الحسن العسكري أن للحسن ولداً اسمه محمد، وأن الإمامية قد انتقلت إليه، وأنه قد اختفى في سرداب دار أبيه، وأنه المهدي المنتظر، وأنه سيعود فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً، ثم زعم محمد بن نصير هذا أنه هو باب المهدي المنتظر، غير أن شيعة الحسن العسكري لم يصدقوا ابن نصير على أنه الباب للمهدي وإن وافقوه على وجود هذا الولد المختفي في السرداب حيلة منهم لبقاء مذهبهم، ثم اختار هؤلاء الشيعة رجلاً كان يبيع الزيت عن باب بيت الحسن العسكري، وادعوا أنه باب المهدي، فهرب منهم محمد بن نصير وأسس فرقة النصيرية مستمداً أصوله من السبئية والخطابية والمجوسية والنصرانية والشيعة الاثني عشرية، وزعم لهم أن إله السماوات والأرض هو علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقال بتناسخ الأرواح، وأحيا أعياد المجوس والنصارى. وهذه الفرقة تسكن في الشام بالبلاد الواقعة غربي نهر العاصي.

وقد اتخذ ابن نصير قرداحة أعلى جبل بانياس مقراً له، واستمر في دعوته الباطلة إلى الإسكندرونة، ومن الجهة الأخرى إلى جبال الشوف التي صارت موطن الدروز، ولم يكن النصيرية يستطيعون النزول إلى السهل حتى شجعهم الفرنسيون على النزول ودخول الجيش، واستطاع حافظ الأسد أن يكون أول هذه الطائفة دخولاً

في الجيش حتى تمكن من الانقلاب وأباد المسـلمين، وقد عمل الفرنسيون على تغيير اسـم النصيرية إلى اسـم العلويين على يد مختار الطويل من أهل الإسكندرونة، وهم يدعون أن آلهة النصيرية خمسة وهم: علي وفاطمة والحسن والحسين ومحسن؛ مع أنه لم يعرف أن لفاطمة ولداً اسـمه محسـن. كما أنهم حينما تمكنوا من الوصول إلى الحكم في سوريا في هذا العصر كان أهم ما يريدونه هو القضاء التام على الإسلام في سوريا وإبادة أهلها المسـلمين، كما أنهم كانوا المقدمـة في جيش اليهود عند احتلالهم لبعض البـلاد العربيـة من الضفة الغربية من نهر الأردن بفلسـطين في الحرب التي دارت في أواخر صفر سنة ١٣٨٧هـ.

القاديانية

القاديانية

القاديانية ويقال لها كذلك الأحمدية فرقة حديثة العهد نشأت في بلاد الهند في فترة اندفع فيها المسلمون في شبه هذه القارة ليطردوا عن بلادهم (كابوس) الاحتلال الإنجليزي الجاثم على صدورهم، وعندئذٍ رأى المحتلون أن أنجح الوسائل لتفريق كلمة المسلمين وإطفاء جذوة صدورهم الإيحاء إلى رجل يقال له غلام أحمد القادياني المنتمي في الأصل إلى أسرة تنتمي للإسلام. ليعلن ديناً جديداً يفارق به إجماع المسلمين، وينقض به أصول الإسلام. وينكر ما علم بالضرورة أنه من هذا الدين.

فزعم أن الوحي لم ينقطع وأنه مرسل من الله لإلغاء الجهاد ووجوب مسالمة المحتلين الإنجليز وأنهم رحمة الله التي بعثها إلى أرض الهند.

مَن هو غُلاَم أحمد القادياني:

يعرّف هذا الغلام نفسه في ص ٧٢ من كتابه (الاستفتاء) المطبوع بمطبعة النصرة بربوة بباكستان سنة ١٣٧٨هـ فيقول: «إني أنا المسمى بغلام أحمد بن ميرزا غلام مرتضى وميرزا غلام مرتضى بن ميرزا عطا محمد» ثم يقول في نفس الصفحة: «وسمعت من أبي أن آبائي كانوا من الجرثومة المغولية. ولكن الله أوحى إليّ أنهم كانوا من بني فارس لا من الأقوام التركية» ثم يقول: «ومع ذلك أخبرني ربي بأن بعض أمهاتي كن من بني الفاطمة» ثم يقول في ص ٧٦: «وسمعت من أبي وقرأت في بعض سوانحهم أنهم كانوا في بدء أمرهم يسكنون في بلدة «سمرقند» قبل أن يرحلوا إلى الهند».

وقد ولد غلام أحمد هذا في قرية قاديان إحدى قرى البنجاب الهندية عام ١٨٣٥م أو عام ١٨٣٩م أو عام ١٨٤٠م. وقد بدأ شبابه بقراءة قليل من الفارسية ونبذ في النحو والصرف. كما قرأ شيئاً قليلاً في الطب غير أن الأمراض التي لازمته منذ طفولته ـ ومنها الماليخوليا (نوع من الجنون) كما تقول دائرة المعارف القاديانية ـ لم تمكنه من متابعة دراسته.

انتقاله إلى سيالكوت:

وفي صدر شبابه طلبت منه أسرته أن يذهب ليتسلم مخصص جده من راتب تقاعده الذي كان الإنجليز قد جعلوه له في نظير خدماته لهم فذهب وفي صحبته صديق له يقال له، إمام الدين، وبعد تسلم المال أغراه صديقه إمام الدين بالذهاب إلى خارج قاديان لقضاء ساعات ممتعة فاستسلم له غلام أحمد وسرعان ما بددا هذا الراتب، وعندما فقدت منهما الدراهم انفض عنه صديقه إمام الدين فاضطر الغلام إلى الفرار من وجه أهله وتوجه إلى مدينة سيالكوت إحدى المدن الواقعة الآن في باكستان الغربية في أقليم البنجاب. وفي سيالكوت اضطر إلى العمل فجلس أمام إحدى المحاكم ليكتب للعوام صور الادعاءات في نظير أجر زهيد يساوي خمس عشرة روبية في الشهر وكان ذلك عام ١٨٦٤م.

وفي أثناء إقامته بسيالكوت فتحت مدرسة ليلية لتدريس اللغة الإنجليزية فالتحق بها الغلام وقرأ بها كتاباً أو كتابين كما يقول عن نفسه، ثم دخل اختباراً في الحقوق ولكنه أخفق فيه.

ثم ترك أعماله في سيالكوت بعد أربع سنوات واشتغل مع والده في القضايا والمحاكمات التي كان أبوه مشتغلاً بها.

ومن ذلك الوقت أخذ يناظر في الإسلام وزعم أنه سيؤلف كتاباً كبيراً سماه (براهين أحمدية) ليحتج فيه على الإسلام وشاع خبره آنذاك.

الحكيم نور الدين البهيروي:

وفي أثناء إقامة غلام أحمد القادياني بسيالكوت اتصل به رجل من كبار

المنحرفين يقال له الحكيم نور الدين البهيروي، وقد ولد نور الدين هذا عام ١٢٥٨هـ الموافق ١٨٤١م في بهيرة من مديرية شاه بور المعروفة الآن باسم (سركودها) في غربي باكستان بالبنجاب، وتعلم الفارسية والخط ومبادىء العربية وعين مدرساً للفارسية في مدرسة حكومية في راولبندي عام ١٨٥٨م. ثم عين مديراً لمدرسة ابتدائية ومكث في هذه الوظيفة أربع سنوات ثم اعتزل هذه الوظيفة وانقطع إلى الدراسة وسافر من رامبور إلى (لكهنؤ) وقرأ فيها الطب القديم على يد طبيبها الحكيم علي حسين. ومكث عنده سنتين ثم رحل إلى الحجاز عام ١٢٨٥هـ واتصل بالشيخ رحمة الله الهندي والشيخ عبد الغني المجددي بالمدينة المنورة ثم رجع إلى بلاده وشاع عنه الجدل والمناظرات وعين طبيباً خاصاً في ولاية (جمون) بمنطقة كشمير الجنوبية ثم عزل عن الوظيفة عام ١٨٩٢م. وفي زمن إقامته بجمون سمع بغلام أحمد القادياني وتوثقت بينهما الصداقة. فلما بدأ الغلام في تأليف «براهين أحمدية»، ألف الحكيم كتاباً سماه «تصديق براهين أحمدية».

ثم أخذ الحكيم يغري الغلام بدعوى النبوة، فقد ذكر في كتاب سيرة المهدي ص ٩٩ أنه قال آنذاك: لو ادعى هذا الرجل يعني الغلام أنه نبي صاحب شريعة ونسخ شريعة القرآن لما أنكرت عليه. ولما انتقل الغلام إلى قاديان لحق به الحكيم هذا وصار فيما يبدو للناس أكبر أتباع الغلام. وقد بدأ الغلام دعواه بأنه مجدد ثم زعم للناس أنه المهدي المنتظر، ثم أوعز إليه الحكيم نور الدين أن يدعي أنه المسيح الموعود فأعلن الغلام عام ١٨٩١م أنه المسيح الموعود وكتب يقول: لقد أرسلت كما أرسل الرجل «المسيح» بعد كليم الله موسى، فلما جاء الكليم الثاني محمد كان لا بد أن يكون بعد هذا النبي الذي هو في تصرفاته مثل الكليم من يرث قوة مثيل المسيح وطبعه وخاصيته ويكون نزوله في مدة تقارب المدة التي كانت بين الكليم الأول والمسيح ابن مريم يعني القرن الرابع عشر الهجري. ثم يقول: إن لي شبهاً بفطرة المسيح وعلى أساس هذا الشبه الفطري أرسل هذا العاجز باسم

المسيح ليدك العقيدة الصليبية فقد أرسلت لكسر الصليب وقتل الخنازير لقد نزلت من السماء مع الملائكة الذين كانوا عن يميني وشمالي.

وقد دس له نور الدين ـ كما صرح بذلك غلام أحمد في «إزالة أوهام» أن دمشق التي ينزل فيها المسيح ليس هي دمشق المعروفة ولكن المراد بدمشق أنها قرية يسكنها رجال طبيعتهم يزيدية وأن كلمة دمشق استعارة.

ثم يقول: إن قرية قاديان شبيهة بدمشق فأنزلني لأمر عظيم في دمشق هذه «يعني قاديان» بطرف شرقي عند المنارة البيضاء من المسجد الذي من دخله كان آمناً. يعني الذي بناه بقاديان ليحج إليه أتباعه المرتدون عن الإسلام مضاهاة للمسجد الحرام وجعل عنده منارة بيضاء ليضلل الناس أنها التي سينزل عليها المسيح يعني نفسه.

دَعواه النُّبوة:

وكان غلام أحمد قد عيّن أحد الضالين من أتباعه إماماً لمسجده بقاديان كان يقال له: عبد الكريم. وكان عبد الكريم هذا أحد جناحي الغلام إذ كان الجناح الثاني الحكيم نور الدين كما صرح بذلك الغلام. وفي عام ١٩٠٠م ألقى عبد الكريم خطبة الجمعة وذكر فيها ـ والغلام حاضر ـ أن الميرزا غلام أحمد مرسل من الله والإيمان به واجب.

والذي يؤمن بالأنبياء ولا يؤمن به يفرق بين الرسل ويخالف قوله تعالى في وصف المؤمنين: ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥].

وقد أثارت هذه الخطبة جدالاً ونقاشاً بين أتباع الغلام الذين كانوا يعتقدون أنه مجدد ومهدي معهود ومسيح موعود. فلما أنكروا عليه ألقى خطبة أخرى في الجمعة الثانية والتفت إلى الغلام وقال له: أنا أعتقد أنك نبي ورسول فإن كنت مخطئاً نبهني على ذلك ولما انتهوا من الصلاة وهمّ الغلام بالإنصراف أمسك به عبد الكريم فقال الغلام: «هذا الذي أدين به وأدعيه» ثم انصرف إلى بيته فوقع هياج بين عبد الكريم وبين بعض الرجال

وارتفعت أصواتهم فخرج الغلام من بيته وقال: (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي).

دعواه أن باب النبوّة لا يزال مفتوحاً:

وقد زعم الغلام أن باب النبوة لا يزال مفتوحاً ويقرر ذلك ولده محمود أحمد الخليفة الثاني للقاديانيين في ص ٢٢٨ من كتاب «حقيقة النبوة» إذ يقول: «ومما هو واضح كالشمس في رابعة النهار أن باب النبوة لا يزال مفتوحاً». ويقول في (أنوار الخلافة ص ٦٢): «وقد زعموا ـ يعني المسلمين ـ أن خزائن الله قد نفذت وما زعمهم هذا إلا لأنهم لم يقدّروا الله حق قدره، وإلا فإني أقول: إنه لا يأتي نبي واحد فقط بل يأتي ألوف من الأنبياء».

ويقول في ص ٦٥ من هذا الكتاب: «وإن أرهف إنسان السيوف على جانبي عنقي ثم طلب مني أن أقول أنه لا يأتي نبي بعد محمد ﷺ لأقولن له إنك كاذب، فإنه يجوز بل لا بد أن يأتي الأنبياء بعده» ويقول الغلام نفسه في ص ١٤ من (رسالة التعليم)(١): «ولا تحسبن أن الوحي كان فيما مضى، ولم يعد له وجود في هذه الأيام، وأن روح القدس كان ينزل فيما مضى وليس له أن ينزل الآن. الحق والحق أقول أن كل باب يمكن أن ينسد، لكن باب روح القدس سيظل مفتوحاً إلى الأبد».

ويقول في ص ٩ (رسالة التعليم): «إنه لا إله إلا هو الذي أوحى إليّ وأرى لأجلي آيات عظيمة والذي جعلني المسيح الموعود لهذا العصر ـ لا إله إلا هو لا في السماء ولا في الأرض، وأن الذي لا يؤمن به سيلقى الشقاء والحرمان، إننا تلقينا منه وحياً هو أجلى من الشمس وأظهر».

---

(١) طبع الربوة بباكستان ١٣٨٦هـ.

دعواه أنه نبي ورسول يوحى إليه:

يقول الغلام في ص ٧ و٨ ـ مكتوب أحمد ـ[١]: ومن آلائه أنه خاطبني وقال: «أنت وجيه في حضرتي اخترتك لنفسي» وقال: «أنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق» وقال: «أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي» وقال: «يا أحمدي! أنت مرادي ومعي؟ يحمدك الله من عرشه» وقال: «أنت عيسى الذي لا يضاع وقته، كمثلك در لا يضاع جريء الله في حلل الأنبياء» وقال: «قل! إني أمرت وأنا أول المؤمنين» وقال: «اصنع الفلك بأعيننا ووحينا إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم» وقال: «وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين».

ويقول: «ومن آلائه أنه لما رأى القسيسين غالين في الفساد، ورأى أنهم علوا في البلاد، أرسلني عند طوفان فتنهم، وتراكم دجنهم»، وقال: «إنك اليوم لدينا مكين أمين فجئت من حضرة العزة».

ويقول: «فكلمني وناداني وقال: إني مرسلك إلى قوم مفسدين. وإني جاعلك للناس إماماً وإني مستخلفك إكراماً كما جرت سنتي في الأولين».

ويقول: «وخاطبني وقال: إنك أنت مني المسيح ابن مريم، وأرسلت لتتم ما وعد من قبل ربك الأكرم، أن وعده كان مفعولاً وهو أصدق الصادقين وأخبرني أن عيسى نبي الله قد مات، ورفع من هذه الدنيا ولقى الأموات. وما كان من الراجعين» (مكتوب أحمد ص ٩).

ويقول: في ص ٦٣ و٦٤ من هذا الكتاب «وإن الله بشرني وقال: يا أحمد، أجيب كل دعائك إلا في شركائك فأجاب دعوات ضاق المقام عن الإتيان بذكر إجمالها، فضلاً عن إدراج تفاصيلها وكيفية كمالها، فهل لكم أن تعارضوني فيها أو تنقلبون معرضين».

---

(١) طبعة الربوة ١٣٨٣ الطبعة الخامسة.

ويقول: في ص ٤ ـ مواهب الرحمٰن[١] ـ «يكلمني ربي من لدنه، ويحسن أدبي، ويوحي إليّ رحمة منه فاتبع ما يوحي».

ويقول: في ص ١٢ ـ الاستفتاء[٢] ـ «إني مرسل من الله».

ويقول: في ص ١٧ من هذا الكتاب «سماني الله نبياً».

ويقول: في ص ٢٠ من هذا الكتاب «بعثني الله على رأس المائة لأجدد الدين وأنور وجه الملة وأكسر الصليب وأطفىء نار النصرانية وأقيم سنة خير البرية، ولأصلح ما فسد وأروج ما كسد. وأنا المسيح الموعود والمهدي المعهود، من الله علي بالوحي والإلهام، وكلمني كما كلم رسله الكرام، وشهد على صدقي بآيات تشاهدونها» ويقول: أيضاً في ص ٢٥ «فأوحى إليّ ربي وقال: إني اخترتك وآثرتك فقل إني أمرت وأنا أول المؤمنين. وقال: أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي فحان أن تعان وتعرف بين الناس، يأتون من كل فج عميق، ينصرك رجال نوحي إليهم من السماء، يأتيك من كل فج عميق. هذا ما قال ربي».

ويقول أيضاً في ص ٢٧: «وعندي شهادات من الله».

ويقول: في ـ المسيح الناصري في الهند[٣] ـ ص ١٢ و ١٣ «أنه بعثني لكي أرشد العالم نحو الإله الحق بكل سلم وحلم وأشيد بناء المثل الخلقية العليا للإسلام، وأنه شرفني بآيات تورث طلاب الحق الطمأنينة والسلوان ولقد أظهر لي العجائب وكشف لي من الغيوب وأسرار المستقبل ما تأسس عليه معرفة الصادقين، ووهب لي من العلوم والمعارف ما يعاديه أبناء الظلام وأخلاف الباطل»..

---

(١) طبع الربوة ١٣٨٠هـ.
(٢) طبع الربوة ١٣٧٨هـ.
(٣) طبع الربوة.

ويقول: في ـ حمامة البشرى[1] ـ ص ٦٠ «فهذا هو السبب الذي أرسلني الله تعالى (لأجله) على قدم المسيح فإنه رأى زماني كزمانه وقوماً كقومه ورأى النعل طابق بالنعل، فأرسلني قبل عذاب من السماء لأنذر قوماً ما أنذر آباؤهم ولتستبين سبيل المجرمين».

ويقول: في ـ تحفة بغداد[2] ـ ص ١٤:

وأقسم أنني يا ابن الكرام! لقد أرسلت من رب العباد

ويقول: في ـ الخطبة الإلهامية[3] ـ ص ٦ «وإني غسلت بماء النور وطهرت بعين القدس من الأوساخ والأدناس وسماني ربي أحمد فاحمدوني ولا تشتموني».

ويقول: أيضاً في ص ٨ «أيها الناس إني أنا المسيح المحمدي، وإني أنا أحمد المهدي، وإن ربي معي إلى يوم لحدي من يوم مهدي، وإني أعطيت ضراماً أكالاً، وماءً زلالاً، وأنا كوكب يماني، ووابل روحاني».

ويقول: أيضاً في ص ٨٧ «ولذلك سماني الله آدم والمسيح الذي أرى خلق مريم، وأحمد الذي في الفضل تقدم ليظهر أنه جمع في نفسي كل شأن النبيين». ويقول: «دعوانا أنا رسول ونبي» راجع عدد البدر الصادر في ٥ مارس سنة ١٩٠٨م وكما كتب: «أنا نبي وفقاً لأمر الله. وأكون آثماً إن أنكرت ذلك، وإذا كان الله هو الذي يسميني بالنبي. فكيف لي أن أنكر ذلك، إنني سأقوم بهذا الأمر حتى أمضي عن هذه الدنيا». «راجع رسالة المسيح الموعود إلى محرر جريدة (أخبار عام بلاهور) وقد كتب المسيح الموعود هذه الرسالة قبل ثلاثة أيام فقط من وفاته: كتبها في ٢٣ مايو

(١) طبع الربوة ١٣٧٨هـ.
(٢) طبع الربوة ١٣٧٧هـ.
(٣) طبع الربوة ١٣٨٨هـ.

سنة ١٩٠٨م ونشرت في (أخبار عام) في ٢٦ مايو سنة ١٩٠٨م. يوم وفاته».

كلمة الفصل: تأليف بشير أحمد القادياني المندرجة في (Review of religions رقم ٣ ج ١٤ ص ١١٠) يقول: «فالمعنى الذي تفهمنا إياه الشريعة الإسلامية عن النبي لا يسمح بأن يكون المسيح الموعود نبياً مجازاً فقط، بل لا بد أن يكون نبياً حقيقياً» (حقيقة النبوة: تأليف ميرزا بشير الدين محمود أحمد ص ١٧٤) ويقول: في منشور لأصحابه عنوانه «شرائط الدخول في جماعة الأحمدية» ما نصه: «أن المسيح الموعود يعني غلام أحمد ـ كان مرسلاً من الله تعالى، وإنكار رسل الله تعالى جسارة عظيمة قد تؤدي إلى الحرمان من الإيمان».

غروره وتفضيله نفسه على بعض الرسل:

ملك غلام أحمد الغرور والتعاظم فانهال يحثو لنفسه من الإطراء ما شاء، ومما أورده في كتاب الاستفتاء على أنه خطاب له من الله تعالى: «أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، أنت مني بمنزلة عرشي، أنت مني بمنزلة ولدي» وقال في مقال له ورد في كتاب «أحمد رسول العالم الموعود»: «فالواقع أن الله القدير قد أبلغني أن مسيح السلالة الإسلامية أعظم من مسيح السلالة الموسوية»، ويعني بمسيح السلالة الإسلامية نفسه، فغلام أحمد يزعم أنه أفضل من عيسى عليه السلام. ومما ادعى أن الله خاطبه به: «إني خلقتك من جوهر عيسى وأنك وعيسى من جوهر واحد وكشيء واحد» ـ (حمامة البشرى).

ويزعم أنه أفضل من عيسى فيقول في ص ٧٨ ـ رسالة التعليم ـ «واعرفوا حق المعرفة أن عيسى عليه السلام قد توفي وأن قبره لموجود في سرينغر ـ كشمير ـ حارة خافار. ولقد أخبر الله بوفاته في كتابه العزيز ولست أنكر مكانة المسيح الناصري، وإن كان الله قد أنبأني بأن المسيح المحمدي أفضل من المسيح الناصري لكنني مع ذلك أكرم المسيح أيما إكرام لأنه خاتم

الخلفاء في الأمة الموسوية كما أنني خاتم الخلفاء في الأمة المحمدية. كذلك كان المسيح الناصري موعوداً للملة الموسوية كما تراجع المسيح الموعود للملة الإسلامية» ويدعي أنه أفضل من محمد ﷺ فيقول في كتاب (حقيقة النبوة) ص ٢٥٧ لميرزا بشير أحمد الخليفة الثاني «إن غلام أحمد أفضل من بعض أولي العزم من الرسل».

وفي صحيفة (الفضل) المجلد الرابع عشر (٢٩ أبريل سنة ١٩٢٧م) «أنه كان أفضل من كثير من الأنبياء، ويمكن أن يكون أفضل من جميع الأنبياء».

وفي صحيفة (الفضل) المجلد الخامس: «لم يكن فرق بين أصحاب النبي ﷺ وتلاميذ ميرزا غلام أحمد إلا أن أولئك رجال البعثة الأولى وهؤلاء رجال البعثة الثانية». «عدد ٩٢ يوم ٢٨ مايو سنة ١٩١٨م» **وفي صحيفة** «الفضل» المجلد الثالث: ميرزا هو محمد ﷺ. وهو مصداق قوله: «اسمه أحمد» ـ أنوار الخلافة ص ٢١، بل وتقول بفضله على سيد الأولين والآخرين عليه الصلاة والسلام، فيقول غلام أحمد نفسه في الخطبة الإلهامية ص ١٧٧: «لقد تجلت روحانية النبي ﷺ في الألف الخامس (كذا) بصفات إجمالية، ولم تكن الروحانيات قد بلغت غايتها وأوجها في ذلك العهد القاصر، بل كانت الخطوة الأولى في سبيل ارتقائها وكمالها، ثم تجلت هذه الروحانية في الألف السادس زمن ـ «المسيح الموعود» غلام أحمد ـ في أبهى حالها وأرقى مظاهرها» ويزيد فينشد متطولاً في رسالة إعجاز أحمدي:

له خسف القمر المنير وأن لي غسا القمران المشرقان، أتنكر؟

دعواه أنه بمنزلة ولد الله وبمنزلة العرش:

فيقول: ص ٨٢ ـ الاستفتاء ـ «أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، فحان أن تعان وتعرف بين الناس أنت مني بمنزلة عرشي أنت مني بمنزلة ولدي. أنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق».

إجماع أمة محمد ﷺ على أن محمداً ﷺ خاتم المرسلين وأنه لا نبي بعده وأن من أنكر ذلك كافر:

يدعي غلام أحمد النبوة والرسالة غير مبال بالقرآن والسنة وإجماع الأمة. ففي هذه الأصول الثلاثة حجج على أن المصطفى صلوات الله عليه هو آخر النبيين والمرسلين.

أما القرآن ففي قوله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠] «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين» فعلى قراءة (خاتم) بكسر التاء يكون وصفاً له عليه الصلاة والسلام بأنه ختم الأنبياء، أي لا ينال أحد بعده مقام النبوة، فمن ادعاها فقد ادعى ما ليس له به من سلطان، وقراءة «خاتم» بفتح التاء ترجع إلى هذا المعنى، ذكر هذا علماء اللغة، وجرى عليه المفسرون والمحققون وجاءت السنة الصحيحة مبينة لهذا المعنى، ففي صحيح الإمام البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: **«كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء كلما هلك نبي خلفه نبي، وأنه لا نبي بعدي»**.

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«إن مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية، فجعل الناس يطوفون به، ويعجبون له، ويقولون: هلا وضعت هذه اللبنة» قال: «فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين»**. وفي رواية مسلم عن جابر رضي الله عنه: **«فأنا موضع اللبنة جئت فختمت الأنبياء»**.

وعلى هذا انعقد إجماع المسلمين وأصبح بمنزلة المعلوم من الدين بالضرورة، قال الإمام ابن كثير عند تفسير «وخاتم النبيين»: «وقد أخبر الله تعالى في كتابه، ورسوله في السنة المتواترة عنه، أنه لا نبي بعده. ليعلموا أن كل من ادعى هذا المقام بعده فهو كذاب أفاك دجال مضل» وقال الألوسي في تفسيره: «وكونه ﷺ خاتم النبيين مما نطق به الكتاب، وصدعت به السنة، وأجمعت عليه الأمة، فيكفر مدعي خلافه».

تفسير القادياني لخاتم النبيين:

يقول: في ص ٧ ـ رسالة التعليم ـ «فلا نبي، بعده إلا من خلع عليه رداء المحمدية على وجه التبعية» ومن وجوه تأويله حمله لحديث «لا نبي بعدي» على معنى أنه لا يأتي بعده نبي من غير أمته. وهذا الوجه اختلسه من متنبىء آخر يقال له إسحاق الأخرس. ظهر في أيام السفاح، فإنه زعم أن ملكين جاءاه وبشراه بالنبوة فقال لهما: «وكيف ذلك وقد أخبر الله تعالى عن سيدنا محمد أنه خاتم النبيين؟ فقالا له: صدقت ولكن الله أراد بذلك أنه خاتم النبيين الذين هم على غير ملته». فالقاديانيون قد فسروا (خاتم النبيين) لأول مرة في تاريخ المسلمين بأن محمداً ﷺ هو خاتم الأنبياء أي طابعهم، فكل نبي يظهر الآن بعده تكون نبوته مطبوعاً عليها بخاتم تصديقه ﷺ فيقول: المسيح الموعود في خاتم النبيين «إن المراد به أنه لا يمكن أن تصدق الآن نبوة أي نبي من الأنبياء إلا بخاتمه ﷺ»، «وكما أن كل قرطاس لا يكون مصدقاً مستنداً إلا حين يطبع عليه بالخاتم. فكذلك كل نبوة لا تكون مطبوعاً عليها بخاتمه وتصديقه ﷺ تكون غير صحيحة».

ملفوظات أحمدية: (بترتيب محمد منظور إلهي القادياني. ص ٢٩٠) «لا تنكر أن الرسول الكريم ﷺ هو خاتم النبيين، ولكن الختم ليس المراد به ما يفهمه السواد الأعظم من الناس إذ هو يخالف كل المخالفة عظمة الرسول الكريم ﷺ وجلالة شأنه وعلو منزلته ذلك أن معناه أن النبي ﷺ قد حرم أمته من نعمة النبوة العظمى.

وإنما المراد به أنه ﷺ خاتم الأنبياء أي طابعهم، فلا نبي الآن إلا من يصدقه هو ﷺ... وبهذا المعنى نؤمن بأن الرسول الكريم ﷺ هو خاتم النبيين (عدد جريدة الفضل الصادر في ٢٢ سبتمبر سنة ١٩٣٩م) «الخاتم هو الطابع، فإذا كان النبي الكريم طابعاً، فكيف يكون طابعاً إذا لم يكن في أمته نبي» (عدد الفضل الصادر في ٢٢ مايو سنة ١٩٢٢م) ـ جريدة يومية كانت

تصدر من قاديان قبل تقسيم البلاد وتصدر الآن من ربوة، وهي لسان حال القاديانيين.

دعواه أن الأنبياء شهدوا له:

ويدعي أن صالحاً شهد له فيقول في ص ٦٢ ـ مكتوب أحمد ـ: «وقد شهد صالح على صدقي من قبل دعوتي، وقال إنه هو عيسى المسيح الآتي، وسماني وسمى قريتي، وقال لفتاه هذا ما أنبئت من ربي فخذ مني هذه وصيتي».

تناقضه في نزول المسيح عليه السلام ينكره أحياناً ويثبته أحياناً ويؤوله أحياناً. وينكر رفع المسيح أحياناً ويثبته أحياناً ويؤوله أحياناً:

يقول في ص ٤٧ ـ مكتوب أحمد ـ: «وقد سمعتم أنا قائلون بنزول المسيح، والمقرون به بالبيان الصريح وأنه حق واجب ولا ينبغي لنا ولا لأحد أن يعرض عنه كالمفسدين، أو يمتعض من قبوله كالمتكبرين».

ويقول في ص ١١ ـ حمامة البشرى ـ: «وكنت أظن بعد هذه التسمية أن المسيح الموعود خارج، وما كنت أظن أنه أنا حتى ظهر السر المخفي الذي أخفاه الله على كثير من عباده ابتلاء من عنده، وسماني ربي عيسى ابن مريم في إلهام من عنده، قال: يا عيسى إني متوفيك ورافعك إليّ ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة، أنا جعلناك عيسى ابن مريم، وأنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق وأنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي، وأنك اليوم لدينا مكين أمين».

ويقول أيضاً في ص ٣٨: «ألا يتدبرون أن الله ما رأى واقعة من معظمات الواقعات الآتية إلا ذكرها في القرآن، فكيف ترك واقعة نزول المسيح مع عظمة شأنها وعلو عجائبها، ولم تركها إن كانت حقاً؟ وقد ذكر قصة يوسف وقال: نحن نقص عليك أحسن القصص، وذكر قصة أصحاب

الكهف وقال: كانوا من آياتنا عجباً. ولكن لم يذكر شيئاً من ذكر نزول عيسى من السماء من غير ذكر الوفاة، فلو كان النزول حقاً لما ترك القرآن هذه القصة ولذكرها في سورة طويلة، ولجعلها أحسن من كل قصة لأن عجائبها مخصوصة بها ولا نظير لها في قصص أخرى ولجعلها آية لأمة آخر الزمان. فهذا هو الدليل الصريح على أن هذه الألفاظ غير محمولة على الحقيقة، والمراد منها في الأحاديث مجدد عظيم يأتي على قدم المسيح ويكون نظيره ومثيله وأطلق اسم المسيح عليه كما يطلق اسم البعض على البعض في عالم الرؤيا».

ويقول في ص ٤١ من هذا الكتاب: «وقالوا إن المسيح ينزل من السماء ويقتل الدجال ويحارب النصارى. فهذه الآراء كلها قد نشأت من سوء الفهم وقلة التدبر في كلمات خاتم النبيين».

تفسيره لنزول الملائكة وزعمه أنهم جوارح الله:

يقول في ص ٩٨ ـ حمامة البشرى ـ: «وانظر إلى الملائكة كيف جعلهم الله كجوارحه».

ويقول في ص ٣٤ ـ تحفة بغداد ـ: «وإنا نؤمن بملائكة الله ومقاماتهم وصفوفهم، ونؤمن أن نزولهم كنزول الأنوار لا كترحيل الإنسان من الديار إلى الديار ولا يبرحون مقاماتهم».

الولاء للاستعمار الإنجليزي في الهند وإلغاء الجهاد:

يقول الغلام في ص ١٥ ـ ترياق القلوب ـ: «لقد قضيت معظم عمري في تأييد الحكومة الإنجليزية ونصرتها وقد ألفت في منع الجهاد ووجوب طاعة أولي الأمر الإنجليز من الكتب والنشرات ما لو جمع بعضها إلى بعض لملأ خمسين خزانة، وقد نشرت جميع هذه الكتب في البلاد العربية ومصر والشام وكابل والروم» ويقول في محل آخر: «لقد ظللت منذ حداثة سني ـ وقد ناهزت اليوم الستين ـ أجاهد بلساني وقلمي لأصرف قلوب المسلمين

إلى الإخلاص للحكومة الإنجليزية والنصح لها والعطف عليها، وأنفي فكرة «الجهاد» التي يدين بها بعض جهالهم والتي تمنعهم من الإخلاص لهذه الحكومة» ـ ملحق بكتاب «شهادة القرآن» من قلم غلام أحمد القاديني الطبعة السادسة ص ١٠ـ ويقول في نفس الكتاب: «أنا مؤمن بأنه كلما ازداد أتباعي وكثر عددهم قل المؤمنون بالجهاد. لأنه يلزم من الإيمان بأني مسيح أو مهدي إنكار الجهاد» ص ١٧.

وقال في محل آخر: «لقد ألفت عشرات من الكتب العربية والفارسية والأردية وبينت فيها أنه لا يحل الجهاد أصلاً ضد الحكومة الإنجليزية التي أحسنت إلينا. بل ـ بالعكس من ذلك ـ يجب على كل مسلم أن يطيع هذه الحكومة بكل إخلاص، وقد أنفقت على طبع هذه الكتب أموالاً كبيرة وأرسلتها إلى البلاد الإسلامية وأنا عارف أن هذه الكتب قد أثرت تأثيراً عظيماً في أهل هذه البلاد «الهند»، وقد كون أتباعي جماعة تفيض قلوبهم إخلاصاً لهذه الحكومة والنصح لها، أنهم على جانب عظيم من الإخلاص، وأنا أعتقد أنهم بركة لهذه البلاد ومخلصون لهذه الحكومة ومتفانون في خدمتها» (من رسالة مقدمة إلى الحكومة الإنجليزية بقلم غلام أحمد).

ويقول الغلام: «بل لقد بالغت هذه الحكومة (أي الحكومة البريطانية) في الإحسان إلينا ولها عندنا أياد وأي أياد، حتى أننا خرجنا عن ههنا (أي عن حدود هذه الدولة) لا يمكن أن نلتجىء إلى مكة ولا إلى قسطنطينة. فكيف يمكن إذن أن يمر في خاطرنا شيء من سوء الظن بهذه الحكومة» الملفوظات ـ الأحمدية ج ١ ص ١٤٦ ـ.

ويقول: «لا يمكنني أن أقوم بعملي هذا خير قيام في مكة ولا في المدينة ولا في الروم ولا في الشام ولا في فارس ولا في كابل ولكن تحت هذه الحكومة التي أدعو إليها دائماً بالمجد والانتصار» تبليغ الرسالة تأليف ميرزا غلام أحمد ج ٦ ص ٦٩.

ويقول: «ففكروا قليلاً أي أرض في الدنيا تأويكم إن فارقتم ظل هذه الحكومة؟ اذكروا لي حكومة واحدة تقبلكم في كنفها؟ أن كل حكومة من الحكومات الإسلامية تعض عليكم الأنامل من الغيظ وتتربص بكم الدوائر وتتحين الفرص لقتلكم، لأنكم قد أصبحتم في نظرها كفاراً ومرتدين. فاعرفوا لهذه النعمة الإلهية (نعمة وجود الحكومة البريطانية) قدرها، واعلموا علم اليقين أن الله تعالى لم يقم الحكومة الإنجليزية في هذه البلاد إلا لخيركم وصالحكم، فإن حلت بهذه الحكومة آفة من الآفات، فستبيدكم هذه الآفة أنتم أيضاً». وإذا أردتم برهاناً على ما أقول فاستظلوا بحكم غيرها وعندئذٍ ستعلمون ماذا سينزل بكم.

«إلا أن الحكومة البريطانية رحمة لكم وبركة، وهي الحصن الذي أقامه الله لوقايتكم، فاعرفوا قدرها من أعماق قلوبكم ومهجكم. والإنجليز خير لكم ألف مرة من هؤلاء المسلمين الذين يخالفونكم لأنهم لا يريدون إذلالكم ولا يرون وجوب قتلكم». نصيحة غالية للجماعة - لميرزا أحمد وهي مندرجة في تبليغ الرسالة ج ١ ص ١٢٣- وكتب ميرزا في كتابه (ترياق القلوب) المطبوع بمطبعة ضياء الإسلام بقاديان في ٢٨ أكتوبر سنة ١٩٠٢م - الملحق (٣) بعنوان التماس متواضع إلى جناب الحكومة العالية:

وقال: «لا أزال منذ عشرين عاماً أنشر بالحماسة القلبية كتباً باللغات الفارسية والعربية والإنجليزية والأردية تكرر فيها مرة بعد مرة أن المسلمين من واجبهم، الذي يكونون آثمين عند الله إن تركوه أن يكونوا أولياء مخلصين وفيين لهذه الحكومة ويكفوا أيديهم عن «الجهاد» والانتظار للمهدي السفاك للدماء وما إليها من الظنون الواهية التي لا يمكن ثبوتها من القرآن أبداً، وأنهم إن أبوا الإقلاع عن هذا الخطأ فمن واجبهم على الأقل ألا يكونوا كافرين لنعمة هذه الحكومة المحسنة ولا يكونوا آثمين عند الله بعدم الوفاء لها» ص ٣٠٧- ثم جاء في هذا الالتماس المتواضع نفسه ما يلي:

«وها قد آن لي أن أقول لجناب حكومتي المحسنة بكل جراءة أن هذه

هي خدماتي قمت بها خلال العشرين سنة الماضية ولا يمكن أن تأتي بمثلها أسرة إسلامية من أسر الهند البريطانية. ومن الظاهر أيضاً أن المضي في تلقين الناس تلك التعاليم المذكورة لمدة طويلة وهي عشرين عاماً لا يمكن أن يكون من عمل رجل منافق أو محب لذاته بل هو من عمل رجل في قلبه الإخلاص الصادق لهذه الحكومة».

ويقول أيضاً ص ٣٠٩ و٣١٠: «وإني لأقول وأدعي أنني أكثر المسلمين إخلاصاً ونصحاً للحكومة البريطانية لأن هناك ثلاثة أمور قد جعلتني أرتفع في إخلاصي لتلك الحكومة إلى الدرجة الأولى، وأول تلك الأمور نفوذ المغفور له والدي، وثانيها أيادي هذه الحكومة العالية وثالثها الإلهام من الله تعالى». وكذلك كتب الميرزا في ملحق كتابه «شهادة القرآن» بعنوان «كلمة جديدة باستعطاف عناية الحكومة» قال: «فإن ديني الذي أنا أبديه للناس مرة بعد مرة هو أن الإسلام منقسم قسمين».

الأول: أن نطيع الله تعالى، **والثاني**: أن نطيع الحكومة التي أقامت الأمن وأظلتنا بظلها وحمتنا من الظالمين وهذه الحكومة هي الحكومة البريطانية ص (٣).

ويقول: «إن العمل المهم الذي أنا منصرف إليه بلساني وقلمي منذ أول عهدي بهذه الحياة إلى هذا اليوم وأنا ابن الستين هو أن أحول قلوب المسلمين إلى طريق الحب والولاء والإخلاص والوفاء الخالص الصادق للحكومة الإنجليزية وأزيل عن نفوس بعض سفهائهم الأوهام الخاطئة كالجهاد وغيره مما يصدهم عن صفاء القلوب ويصرفهم عن الصلات القائمة على الإخلاص» ص (١٠).

ثم كتب بعد قليل:

«وإني لم أعمل على ملء قلوب مسلمي الهند البريطانية بالطاعة المخلصة للحكومة البريطانية فحسب بل كذلك ألفت كتباً كثيرة بالعربية

والفارسية والأردية بينت فيها لسكان البلاد الإسلامية كيف نقضي أيام حياتنا ناعمين بالأمن متمتعين بالسعادة والرفاهية والحرية في كنف الحكومة البريطانية وتحت ظلها الوارف» ص (١٠).

ويقول أيضاً: «وإني لعلى يقين بأنه بقدر ما يكثر من اتباعي يقل المعتقدون بمسألة الجهاد فإن مجرد الإيمان بي هو إنكار للجهاد» ص (١٧). ويقول: «إني وإن كنت قد ذهبت إلى روسيا للدعوة إلى الأحمدية ولكنه لما كانت مصالح الأحمديين ومصالح الحكومة البريطانية متفقة فيما بينهما فكنت كلما دعوت الناس إلى فرقتي أرى من الواجب على نفسي أن أخدم الحكومة البريطانية أيضاً». (من بيان محمد أمين الداعي القادياني المنشور في عدد الفضل الصادر في ٢٨ سبتمبر ١٩٢٢م).

ويقول: «والواقع أن الحكومة البريطانية جنة لنا، ولا تزال الجماعة الأحمدية تتقدم إلى الأمام تحت ظلها فإذا ما نحيتم قليلاً هذه الجنة إلى جانب فتعلمون كيف ينزل على رأسكم مطر مخيف من السهام السامة فلماذا إذن لا نكون شاكرين لهذه الحكومة وقد اتحدت مصالحنا مع مصالحها وما هلاكها إلا هلاكنا وما رقيها إلا رقينا فحيثما تتسع دائرة هذه الحكومة يبدو لنا ميدان من ميادين نشرة الدعوة». (عدد الفضل الصادر في ١٩ أكتوبر سنة ١٩١٥م).

ويقول: «وعلاقة الفرقة الأحمدية بالحكومة البريطانية ليست كعلاقات غيرها من الجماعات بها. فإن مقتضيات أحوالنا تختلف عن غيرنا فإننا نجد أن ما يفيد تلك الحكومة إنما هو فائدة لنا فمع اتساع الحكومة البريطانية تسنح لنا الفرصة لنتقدم إلى الأمام وإذا أصابها أذى - لا سمح الله - فلا يمكننا أن نعيش في أمان» (من إعلان الخليفة القادياني المنشور في عدد الفضل الصادر في ٢٧ يوليو سنة ١٩١٨م).

ويقول في الاستفتاء ص (٥٩): «ولولا سيف الحكومة لأرى منكم ما

رأى عيسى من اكفرة، ولذلك نشكر هذه الحكومة لا بسبيل المداهنة بل على طريق شكر المنة. ووالله إنا رأينا تحت ظلها أمناً لا يرجى من حكومة الإسلام في هذه الأيام، ولذلك لا يجوز عندنا أن يرفع عليهم السيف بالجهاد، وحرام على جميع المسلمين أن يحاربوهم ويقوموا للبغاوة والفساد. ذلك بأنهم أحسنوا إلينا بأنواع الامتنان، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان. ولا شك أن حكومتهم لنا حمى الأمن، وبها عصمنا من جور أهل الزمن».

ويقول أيضاً: «وإن الليل تحت ظلهم خير من نهار رأينا تحت ظل المشركين. فوجب علينا شكرهم وإن لم نشكر فإنا مذنبون.

فخلاصة الكلام: أنا وجدنا هذه الحكومة من المحسنين، فأوجب كتاب الله علينا أن نكون لها من الشاكرين فلذلك نشكرهم ولا نبغي لهم إلا خيراً».

ويقول في ص (٧٦ من هذا الكتاب): «ثم رد الله إلى أبي بعض القرى في عهد الدولة البريطانية».

ويقول في ـ حمامة البشرى ـ ص٥٦: «ونحن نعيش تحت ظلها بالأمن والعافية والحرية التامة».

ويقول أيضاً في نفس الكتاب: «ووالله لو هاجرنا إلى بلاد ملوك الإسلام لما رأينا أمناً وراحةً أزيد من هذا وقد أحسنت إلينا وإلى آبائنا بلآلاء التي لا نستطيع شكرها» ويقول أيضاً: «فلا يجوز عندي أن يسلك رعايا الهند من المسلمين مسلك البغاة وأن يرفعوا على هذه الدولة المحسنة سيوفهم أو يعينوا أحداً في هذا الأمر ويعاونوا على شر أحد من المخالفين بالقول أو الفعل أو الإشارة أو المال أو التدابير المفسدة، بل هذه الأمور حرام قطعي ومن أرادها فقد عصى الله ورسوله وضل ضلالاً مبيناً، بل الشكر واجب ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله، وإيذاء المحسن شر وخبث وخروج من طريق

الانصاف والديانة الإسلامية والله لا يحب المعتدين». وقد تجاهل هذا الغلام آيات الجهاد في كتاب الله عز وجل. كما تجاهل ما تواتر من الأحاديث عن رسول الله ﷺ عن الجهاد وفضله وما ثبت أنه ماض إلى يوم القيامة. .

الحج إلى قاديان ومسجدها هو المسجد الأقصى وأنه هو الحجر الأسود:

نشرت صحيفة (الفضل) في عدد ١٨٤٨ من المجلد العاشر الصادر في ديسمبر ١٩٢٢م إعلاناً عن قسم التربية في قاديان: «إن الذي يزور قبة المسيح الموعود البيضاء يساهم في البركات التي تختص بقبة النبي الخضراء في المدينة. فما أشقى الرجل الذي يحرم نفسه من هذا التمتع في الحج الأكبر إلى قاديان» ويعتقد القاديانيون أن قاديان هي ثالثة المقامات الثلاثة المقدسة. يقول محمود أحمد خليفة قاديان: «لقد قدس الله هذه المقامات الثلاث (مكة والمدينة وقاديان) واختار هذه الثلاث لظهور تجلياته» ـ الفضل ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٥م ـ.

وتتقدم القاديانية خطوة أخرى فتطبق على قاديان ما نزل من الآيات في بلد الله الحرام والمسجد الأقصى المبارك يقول غلام أحمد في حاشيته على (براهين أحمدية): «إن قوله تعالى: ﴿وَمَن دَخَلَهُۥ كَانَ ءَامِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧] يصدق على مسجد قاديان» ص (٥٥٨) ويقول في شعر ما ترجمته بالعربية: «إن أرض قاديان تستحق الاحترام، وأنها من هجوم الخلق أرض الحرم» «در ثمين» (مجموع كلمات غلام أحمد ص ٥٢) وجاء في صحيفة (الفضل) المجلد العشرين عدد ٢٣: «إن المراد بالمسجد الأقصى في قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ﴾ [الإسراء: ١] هو مسجد ـ قاديان. وإذا كانت قاديان تناهض البلد الحرام وربما تفوق عليه فلا بد أن السفر إليها يساوي الحج بل يفوق عليه وقد جاء في صحيفة (الفضل) المجلد العشرين عدد ٦٦: «الحج إلى قاديان حج ظلي إلى البيت الحرام» وزادت على ذلك صحيفة (بيغام

صلح) لسان حال الفرع اللاهوري فنشرت «أن الحج إلى مكة بغير الحج إلى قاديان حج جاف خشيب، لأن الحج إلى مكة اليوم لا يؤدي رسالته ولا يفي بفرضه» (المجلد ٢١ عدد ٣٣).

ويقول الغلام: «وإني أنا الحجر الأسود الذي وضع له القبول في الأرض والناس بمسه يتبركون» ص ٤٢ ـ الاستفتاء ـ.

تحريف القرآن بدعوى الإلهام وأمثلة له:

يقول الغلام: في ص ١٠ ـ حمامة البشرى ـ «قال: يا أحمد بارك الله فيك ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم ولتستبين سبيل المجرمين. وقال: قل أن افتريته فعلى إجرامي، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، لا مبدل لكلمات الله وأنا كفيناك المستهزئين». وقال: «أنت على بينة من ربك رحمة من عنده وما أنت بفضله من مجانين، ويخوفونك من دونه، أنك بأعيننا سميتك المتوكل، ويحمدك الله من عرشه، ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين» ويقول الغلام في ص ٧٧ ـ الاستفتاء ـ: «وكلمني بكلمات نذكر شيئاً منها في هذا المقام، ونؤمن بها كما نؤمن بكتب الله خالق الأنام، وهي هذه:

بسم الله الرحمٰن الرحيم

يا أحمد بارك الله فيك، ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى، الرحمٰن علم القرآن لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم ولتستبين سبيل المجرمين، قل إني أمرت وأنا أول المؤمنين، قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، قل بركة من محمد ﷺ فتبارك من علم وتعلم، وقالوا إن هذا اختلاق، قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون، قل إن افتريته فعلى إجرام شديد، ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، لا مبدل لكلماته، يقولون أنى لك هذا، إن

هذا إلا قول البشر وأعانه عليه قوم آخرون، أفتأتون السحر وأنتم تبصرون هيهات هيهات لما توعدون، من هذا الذي هو مهين جاهل أو مجنون، قل عندي شهادة من الله فهل أنتم مسلمون، قل عندي شهادة من الله فهل أنتم مؤمنون».

ويقول في ص ٧٩: «وما كان الله ليتركك حتى يميز الخبيث من الطيب، إذا جاء نصر الله والفتح، وتمت كلمة ربك، هذا الذي كنتم به تستعجلون، أردت أن أستخلف فخلقت آدم، فدنا فتدلى فكان قاب قوسين أو أدنى، يحيي الدين ويقيم الشريعة، يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة، يا مريم اسكن أنت وزوجك الجنة يا أحمد اسكن أنت وزوجك الجنة، نصرت وقالوا: لات حين مناص، إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله رد عليهم رجل من فارس، شكر الله سعيه، أم يقولون نحن جمع منتصر، سيهزم الجمع ويولون الدبر، إنك اليوم لدينا مكين أمين».

ويقول في ص ٨٠: «قل جاءكم نور من الله فلا تكفروا إن كنتم مؤمنين أم تسألهم من خرج فهم من مغرم مثقلون، بل أتيناهم بالحق فهم للحق كارهون، تلطف بالناس وترحم عليهم، أنت فيهم بمنزلة موسى، واصبر على ما يقولون، لعلك باخع نفسك ألا يكونوا مؤمنين، لا تقف ما ليس لك به علم، ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون، واصنع الفلك بأعيننا ووحينا، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله، يد الله فوق أيديهم، وإذ يمكر بك الذي كفر، أوقد لي يا هامان لعلي أطلع إلى إله موسى وإني لأظنه من الكاذبين، تبت يدا أبي لهب وتب، ما كان له أن يدخل فيها إلا خائفاً، وما أصابك فمن الله».

ومن أمثلتها ما جاء في كتاب (تحفة بغداد من ص ٢١ إلى ٣١ منه).

فيقول الغلام: «إني سأوتيك بركة وأجلى أنوارها حتى يتبرك بثيابك الملوك والسلاطين. وقال: إني مهين من أراد إهانتك وإنا كفيناك

المستهزئين، يا أحمد بارك الله فيك ما رميت إذ رميت ولكن الله رمى، لتنذر قوماً ما أنذر آباءهم ولتستبين سبيل المجرمين. قل إني أمرت وأنا أول المؤمنين، قل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً، قل بركة من محمد ﷺ.

فتبارك من علم وتعلم، وقل إن افتريته فعلي إجرامي، ويمكرون ويمكر الله والله خير الماكرين، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، لا مبدل لكلمات الله، إني معك فكن معي أينما كنت كن مع الله حيثما كنت، أينما تولوا فثم وجه الله.

كنتم خير أمة أخرجت للناس وفخراً للمؤمنين، ولا تيئس من روح الله ألا إن روح الله قريب، ألا إن نصر الله قريب، يأتيك من كل فج عميق، ينصرك الله من عنده، ينصرك رجال نوحي إليهم من السماء، لا مبدل لكلمات الله وإنك اليوم لدينا مكين أمين، وقالوا: إن هذا إلا اختلاق، قل الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً، وأن عليك رحمتي في الدنيا والدين، وأنك لمن المنصورين.

بشرى لك يا أحمدي، أنت مرادي ومعي، غرست كرامتك بيدي أكان للناس عجباً، قل هو الله عجيب، يجتبي من يشاء من عباده، لا يسأل عما يفعل وهم يسألون، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وإذا نصر الله المؤمن جعل له الحاسدين، تلطف بالناس وترحم عليهم أنت فيهم بمنزلة موسى فاصبر على جور الجائرين أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا: آمنا وهم لا يفتنون، الفتنة هنا فاصبر كما صبر أولو العزم، إلا أنها فتنة من الله ليحب حباً جماً، وفي الله أجرك ويرضى عنك ربك ويتم اسمك، وأن يتخذوك إلا هزواً، قل إني من الصادقين فانتظروا آياتي حتى حين.

الحمد لله الذي جعلك المسيح ابن مريم، قل هذا فضل ربي وإني أجرد نفسي من ضروب الخطاب وإني واحد من المسلمين. يريدون أن

يطفؤوا نور الله بأفواههم والله يتم نوره ويحيي الدين، تريد أن ننزل عليك آيات من السماء ونمزق الأعداء كل ممزق، حكم الله الرحمٰن لخليفة الله السلطان، فتوكل على الله واصنع الفلك بأعيننا ووحينا، إن الذين يبايعونك إنما يبايعون الله يد الله فوق أيديهم، وأمم حق عليهم العذاب، ويمكرون والله خير الماكرين، قل عندي شهادة من الله فهل أنتم مؤمنون، قل عندي شهادة من الله فهل أنتم مسلمون. إن معي ربي سيهدين، رب أرني كيف تحي الموتى، رب اغفر وارحم من السماء رب لا تذرني فرداً وأنت خير الوارثين، رب اصلح أمة محمد، ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق وأنت خير الفاتحين، ويخوفونك من دونه أنك بأعيننا سميتك المتوكل، يحمدك الله من عرشه، نحمدك ونصلي يا أحمد يتم اسمك ولا يتم اسمي، كن في الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وكن من الصالحين الصديقين، أنا اخترتك وألقيت عليك محبة مني. خذوا التوحيد يا أبناء الفارس، وبشر الذين آمنوا أن لهم قدم صدق عند ربهم، ولا تصعر لخلق الله ولا تسأم من الناس واخفض جناحك للمسلمين.

أصحاب الصلة وما أدراك ما أصحاب الصلة ترى أعينهم تفيض من الدمع يصلون عليك ربنا أننا سمعنا منادياً للإيمان ربنا آمنا فاكتبنا مع الشاهدين. شأنك عجيب وأجرك قريب ومعك جند السمٰوات والأرضين. أنت مني بمنزلة توحيدي وتفريدي فحان أن تعان وتعرف بين الناس، بوركت يا أحمد وكان ما بارك الله فيك حقاً فيك، أنت وجيه في حضرتي اخترتك لنفسي وأنت مني بمنزلة لا يعلمها الخلق، وما كان الله ليتركك حتى يميز الخبيث من الطيب، انظر إلى يوسف وإقباله، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون، أردت أن أستخلف فخلقت آدم ليقيم الشريعة ويحيي الدين، كتاب الولي ذو الفقار علي، ولو كان الإيمان معلقاً بالثريا لناله رجل من أبناء الفارس، يكاد زيته يضيء ولو لم تمسسه نار، جرى الله في حلل المرسلين، قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله، وصل على محمد وآل محمد سيد ولد آدم وخاتم النبيين، يرحمك ربك ويعصمك الله من عنده

وإن لم يعصمك الناس، يعصمك الله من عنده وألم يعصمك أحد من أهل الأرضين. تبت يدا أبي لهب وتب، وما كان له أن يدخل فيها إلا خائفاً، وما أصابك فمن الله واعلم أن العاقبة للمتقين، وانذر عشيرتك الأقربين، أنا سنريهم آية من آياتنا في الثيبة ونردها إليك، أمر من لدنا إنا كنا فاعلين، أنهم كانوا يكذبون بآياتي وكانوا بي من المستهزئين، فبشرى لك في النكاح الحق من ربك فلا تكونن من الممترين، إنا زوجناكها لا مبدل لكلمات الله، وإنا رادوها إليك أن ربك فعال لما يريد، فضل من لدنا ليكون آية للناظرين، شاتان تذبحان وكل من عليها فان، ونريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم ونريهم جزاء الفاسقين.

إذا جاء نصر الله والفتح وانتهى أمر الزمان إلينا أليس هذا بالحق، بل الذين كفروا في ضلال مبين. كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف أن السمٰوات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما، قل إنما أنا بشر يوحي إليّ إنما إلٰهكم إله واحد، والخير كله في القرآن، لا يمسه إلا المطهرون، ولقد لبثت فيكم عمراً من قبله أفلا تعقلون.

قل إن هدى الله هو الهدى، وإن معي ربي سيهدين، رب اغفر وارحم من السماء رب أني مغلوب فانتصر، إيلي إيلي لما سبقتاني، يا عبد القادر إني معك أسمع وأرى، غرست لك بيدي رحمتي وقدرتي وإنك اليوم لدينا مكين أمين. أنا بدك اللازم، أنا محييك نفخت فيك من لدني روح الصدق وألقيت عليك محبة مني ولتصنع على عيني، كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاستوى على سوقه، إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر فكن من الشاكرين، أليس الله بكاف عبده أليس الله علينا بالشاكرين فقبل الله عبده وبرأه مما قالوا وكان عند الله وجيهاً، فلما تجلى ربه للجبل جعله دكاً، والله موهن كيد الكافرين، ولنجعله آية للناس ورحمة منا ولتعطيه مجداً من لدنا كذلك نجزي المحسنين. أنت معي وأنا معك سرك سري لا تحاط أسرار الأولياء، أنك على حق مبين، وجيهاً في الدنيا

والآخرة ومن المقربين لا يصدق السفيه إلا ضربة الإهلال عدو لي وعدو لك. عجل جسد له خوار قل إني أمر الله فلا تكن من المستعجلين.

يأتيك قمر الأنبياء وأمرك يتأتى وكان حقاً علينا نصر المؤمنين، يوم يجيىء الحق وينكشف الصدق ويخسر الخاسرون، وترى الغافلين يخرون على المساجد ربنا اغفر لنا إن كنا خاطئين، لا تثريب عليكم اليوم يغفر الله لكم وهو أرحم الراحمين. تموت وأنا راض منك، سلام عليكم طبتم فادخلوها آمنين».

القاديانية تتزلف للهنادك وفرح الهندوس بها:

يقول في ص ع ١٤ ـ الإعلان ـ: «وتلقى الخطب في المسائل الدينية من قبل خطباء المسلمين والهنادك والآريين والمسيحيين والسيخ، ويبين كل خطيب فضائل دينه ولكن يشترطون فيه أن لا يهجم على دين آخر وليقل ما شاء في تأييد دينه وبرعاية الخلق الكريم».

ومما تهم معرفته أن الزعماء الوطنيين في الهند قد رحبوا بالفكرة القاديانية لأنها تفيض على الهند القداسة وتولى وجه المسلمين شطر الهند عوضاً عن الحجاز! فيتخذونها قبلة ومركزاً روحياً، وتقوى فيهم (الوطنية) بما ينحلون. . . وقد كانت بعض الصحف الهندوكية الكبيرة أيام اضطرابات باكستان تعطف على القاديانيين وتنشر مقالات في تأييدهم، وتبين لقرائها وجوب تأييد القاديانيين إزاء الجمهور الإسلامي وتذكر أن الخلاف في باكستان بين القاديانيين والمسلمين صراع وتنافس: بين النبوة العربية وأتباعها، والنبوة الهندية وأتباعها قال الدكتور إقبال في رسالة وجهها إلى كبرى صحف الهند الإنجليزية (Statesman) التي أثارت هذه المسألة:

«إن القاديانية محاولة منظمة لتأسيس طائفة جديدة على أساس نبوة منافسة لنبوة محمد ﷺ» وجاء في رده على كلمة البندت جواهر لآل نهرو رئيس وزراء الهند الذي تساءل: لماذا يلح المسلمون على فصل القاديانية عن

الإسلام وهي طائفة من طوائف المسلمين الكثيرة. . . قال الدكتور:

«إن القاديانية تريد أن تنحت من أمة النبي العربي ﷺ أمة جديدة للنبي الهندي» وذكر أنها أشد خطراً على الحياة الاجتماعية للإسلام في الهند من عقائد أسبنوزا (Spinoza) الفيلسوف اليهودي الثائر على نظام اليهود».

وقد شرح الله صدر محمد إقبال لأهمية عقيدة ختم النبوة وأنها حارسة لكيان المجتمع الإسلامي، ووحدة الأمة الإسلامية، وأن الثورة على هذه العقيدة لا تستحق أي مسامحة وهوادة. لأنها تعمل كمعول هدام في أساس الصرح الإسلامي الشامخ. يقول في رسالته الموجهة إلى (Statesman) المذكورة: «إن عقيدة محمد ﷺ خاتم النبيين هي الخط الفاصل (Line of demarcation) بكل دقة بين الدين الإسلامي والديانات الأخرى التي تشارك المسلمين في عقيدة التوحيد والموافقة على نبوة محمد ﷺ. ولكنها تقول باستمرار الوحي وبقاء النبوة كبر همي سماج في الهند، وبهذا الخط الفاصل يستطيع الإنسان أن يحكم على طائفة بالاتصال بالإسلام أو الانفصال عنه، ولا أعرف في التاريخ طائفة مسلمة اجترأت على تخطي هذا الخط».

يقول ميرزا بشير الدين بن غلام أحمد وهو الخليفة الحالي في كتابه (آبينه صدقات): «إن كل مسلم لم يدخل في بيعة المسيح الموعود سواء سمع باسمه أو لم يسمع. كافر وخارج عن دائرة الإسلام» ص (٣٥). وقد صرح أمام المحكمة بذلك وقال: «إننا نؤمن بنبوة ميرزا غلام أحمد، وغير الأحمديين - القاديانيين - لا يؤمنون بنبوته، ويصرح القرآن بأن كل من يجحد بنبوة أحد من الأنبياء هو كافر، فغير الأحمديين كفار» ويحكى عن غلام أحمد نفسه أنه قال: إننا نخالف المسلمين في كل شيء في الله، في الرسول، في القرآن في الصلاة، في الصوم، في الحج، والزكاة. وبيننا وبينهم خلاف جوهري في كل ذلك، (الفضل ٣٠ يوليو ١٩٣١م) ويصرح الدكتور إقبال: بأن القاديانية أبعد عن الإسلام من السيخ (Sikhs) متعصبي الهنادك. وقد جعلتهم الحكومة الإنجليزية أقلية غير هندوكية رغم ما بين هذه

الأقلية والهنادك من صلات اجتماعية ودينية وثقافية، وأنهم يتناكحون فيما بينهم بينما القاديانية تحرم مناكحة المسلمين ومصاهرتهم، وقد حظر عليهم مؤسسهم كل ارتباط بالمسلمين بقوله: «إن المسلمين لبن فاسد، ونحن اللبن الطازج».

شعبة لاهور وضلالتها:

كانت القاديانية في أيام غلام أحمد وأيام خليفته نور الدين مذهباً واحداً، غير أنهم في آخر حياة نور الدين ابتدأ شيء من الاختلاف يدب فيما بينهم، وعندما مات نور الدين انقسموا إلى شعبتين: شعبة (قاديان) ورئيس هذه الشعبة محمود غلام أحمد، وشعبة (لاهور) ورئيس هذه الشعبة وزعيمها محمد علي مترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية.

أما شعبة قاديان فأساس عقيدتها أن غلام أحمد نبي مرسل، وأما شعبة (لاهور) فظاهر مذهبها أنها لا تثبت النبوة لغلام أحمد. ولكن كتب غلام أحمد مملوءة بادعاءه النبوة والرسالة، فماذا يصنعون؟ ولشعبة (لاهور) ضلالة يبثونها في كتبهم هي إنكار أن يكون المسيح عليه السلام ولد من غير أب وزعيم هذه الشعبة محمد علي يصرح بأن عيسى عليه السلام ابن يوسف النجار وهو يحاول تحريف بعض الآيات لتوافق هذه العقيدة ـ انظر كتابه (عيسى ومحمد ص ٧٦).

ونشرت مجلتهم (المجلة الإسلامية) التي تصدر في (ووكنج) بإنجلترا مقالاً للدكتور (مركوس) وفي هذا المقال: «أن محمداً عليه السلام يصرح بأن يوسف أبو عيسى عليه السلام» ولم يعلقوا على هذه الجملة لأنها جاءت على وفق نحلتهم.

وكذلك كان محمد علي في ترجمته للقرآن يذهب مذهب الترجمة الحرفية، لم يضع في أسفل الصحيفة حواشي يؤول فيها ما ترجمه حرفياً، ويتركب في تأويلها وجوهاً يحذو بها حذو نحلتهم، كما فعل في قوله

تعالى: ﴿أَنِّيٓ أَخۡلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيۡـَٔةِ ٱلطَّيۡرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيۡرَۢا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ وَأُبۡرِئُ ٱلۡأَكۡمَهَ وَٱلۡأَبۡرَصَ وَأُحۡيِ ٱلۡمَوۡتَىٰ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۖ﴾ [آل عمران: ٤٩] فقد نحا في تأويلها نحو منكري المعجزات، وتصرف في معانيها تصرف من لا يدري أن القرآن قد نزل بلسان عربي مبين.




البهائية





البهائية

البهائية مؤامرة إلحادية، تناقض أصول الدين وقواعده، وتخالف سائر الملل السماوية، خططت لها الماسونية السرية، والصهيونية العالمية، وتولت غرس شجرتها الجاسوسية الروسية، لاستغلالها في أغراضها الخاصة التوسعية: من تغيير دين الإسلام وطمس عقائده، وإبطال تشريعه، وهدم أنظَمته، والقضاء على روح الجهاد والتمكن من تنفيذ المؤامرات، وزحزحة المسلمين عن قيمهم الخالدة، وتراثهم المجيد وتعاليمهم السامية وأخلاقهم الكريمة، وإيجاد الفرص المواتية لإنشاء وطن قومي لليهود في أرض فلسطين، وإشاعة الضلال والفتنة والانحلال في العالم، تمشياً مع: «بروتوكولات حكماء صهيون».

كيف تم تكوين هذه العصابة؟:

حوالي سنة ١٢٣١هـ ظهر في كربلاء بالعراق رجل مجهول الأصل والمولد والمنشأ يذكر بعض الناس أنه كان قسيساً. وادعى أن اسمه «كاظم الرشتى» ـ ورشت قرية من قرى إيران ـ رغم أن أهل رشت لا يعرفون عنه شيئاً.

درس هذا الرجل عقائد الشيعة الإثني عشرية وزعم أنه من علمائها، واستغل منها فكرة المهدي الغائب المنتظر، وفكرة باب هذا المهدي وعمل على إيجاد الشخص الذي يضفي عليه هذا اللقب، ليصل بواسطة هذا الباب إلى كل ما يريد.

واتخذ لنفسه مجلساً، واستطاع أن يستميل إليه بعض ذوي النفوس المنحرفة والقلوب المريضة، واتخذهم تلاميذاً له.

وكان على رأس هؤلاء التلاميذ رجل، يقال له: حسين البشروئي، من بشروية إحدى قرى خراسان، وقد عرف حسين هذا بالخبث والمكر والدهاء والتقلب، لذلك احتضنته اليد المخططة لهذه الجريمة، وأضفت عليه لقب كبير التلاميذ للمدعو «كاظم الرشتي». واختارته ليكون المنفذ الحقيقي لتلك المؤامرة البشعة، وقد لقبوه «باب الباب».

ومن أخطر هؤلاء التلاميذ كذلك امرأة أصلها من الشيعة الإثني عشرية. وكانت تسمى فاطمة وتكنى أم سلمى بنت صالح القزويني ولقبها أبوها بلقب: زرين تاج. لأنها كانت ذات شعر ذهبي، وقد زوجها أبوها وهي صغيرة من ابن عمها فنفرت منه، ولم يكن لأبيها صالح القزويني ابنة سواها فلم يكرهها على الرجوع إلى زوجها، ثم انقطعت إلى الدراسة وكاتبت «كاظم الرشتي». ونشط هو كذلك في مكاتبتها إذ وجد فيها ضالة منشودة له. ولقبها في رسائله لها بأنها «قرة العين» ودعاها إلى ترك قزوين والحضور إلى كربلاء غير أنه هلك عام ١٢٥٩هـ قبل وصولها إليه.

فتلقفها حسين البشروئي وبقية تلاميذ «الرشتي». وقد صارت أجرأ هؤلاء التلاميذ على إعلان الخروج على الإسلام، والدعوة إلى الشيوعية في النساء، ولما أخذت تطبق هذا الأمر علناً مع بعض تلاميذ «الرشتي» أطلقوا عليها لقب «الطاهرة».

ومن بين تلاميذ «الرشتي» علي محمد رضا الشيرازي وقد ولد بشيراز عام ١٢٣٥هـ الموافق لعام ١٨١٩م. وقد توفي والده وهو صغير فكفله خاله علي الشيرازي وعهد به إلى أحد تلامذة «الرشتي» وهو لا يعرف أهدافه ثم رحل به خاله إلى ثغر «بوشهر» على ساحل الخليج في مقابلة الكويت وافتتح له متجراً هناك، وقد لاحظ خاله أنه بدأ ينحرف عن مذهب الشيعة الإثني

عشرية وقد أصابته لوثة عقلية كانت تعتريه في بعض الأحيان. فرأى خاله أن يبعثه إلى كربلاء، وكانت سنه آنذاك عشرين عاماً، فبصر به بعض تلامذة «الرشتي». وحملوه إلى أستاذهم الذي أخذ يوحي إليه بقرب ظهور المهدي، ويدس له من يملأ نفسه بأنه الباب.

ولما مات «الرشتي» توجه إلى شيراز فأقام حسين البشروئي «قرة العين» مقام «الرشتي» في التدريس لتلاميذ «الرشتي» بكربلاء وقد اصطفت لنفسها من بينهم رجلاً قوياً يقال له: «محمد علي البارفروشي» ولقبوه «القدوس».

وقد توجه البشروئي إلى شيراز ولحق بعلي محمد الشيرازي وأخذ يستغل سذاجة هذا الشاب وغروره فواصل الاجتماع به، وأوهمه أنه يوشك أن يكون له شأن، وأنه علم من شيخه «الرشتى» الإشارة إلى أن علي محمد الشيرازي يمكن أن يكون هو «الباب». وأن البشروئي مستعد أن يكون «باب الباب» ولم يزل به حتى أعلن علي محمد في شيراز يوم ٥ من جمادى الأولى عام ١٢٦٠هـ الموافق ١٨٤٤م أنه باب المهدي وكان يومها في الخامسة والعشرين من عمره.

وسارع حسين البشروئي ليبشر بقية تلاميذ الرشتي بظهور الباب، وأعلن أنه هو باب الباب وقد ظهر أن وراء هذه العصابة الجاسوس الروسي «كنياز دالكوركي» الذي كانت وظيفته الظاهرة مترجماً بالسفارة الروسية في طهران. وقد ادعى هذا الجاسوس أنه اعتنق الإسلام، وأخذ يدرس اللغة العربية والفارسية ويلازم مجلس «كاظم الرشتي».

ويغرس هذه الشجرة الملعونة في أرض الأمة الإسلامية وقد لعب دوراً خطراً في ضم مجموعة من الرجال إلى هذه العصابة، إذ جلب لها رجلاً يقال له: «حسين علي المازندراني والمولود بطهران عام ١٢٣٣هـ الموافق ١٨١٧م». وقد أوحى إليه هذا الجاسوس بعد ذلك بدعوى الألوهية والتلقب بالبهاء واستعمله «مخلب القط» لكل ما يريد.

كما ضم إلى هذه العصابة يحيي المازندراني الأخ غير الشقيق لحسين علي المازندراني والذي لقبه بعد ذلك بأنه «صبح الأزل».

ويقول «كنياز دالكوركي» هذا في مذكراته التي نشرت في مجلة «الشرق» السوفيتية سنة (١٩٢٤ـ ١٩٢٥م):

«والخلاصة إني خرجت حسب الأمر في أواخر (سبتمبر) مع راتب مكفي من روسيا إلى العتبات العاليات، وفي لباس الروحانيين باسم «الشيخ عيسى اللنكراني» ووردت كربلاء المقدسة.

ويقول: «وكان بقرب منزلي طالب علم يسمى: السيد علي محمد وكان من أهل شيراز فأنا أيضاً صادقته بحرارة والسيد علي محمد لم يترك صداقتي وكان يضيفني أكثر من قبل وكنا نشرب (الحشيش) وكان ابن الوقت متلون الاعتقاد».

ثم يستمر هذا الجاسوس في مذكراته فيقول: «سأل طالب تبريزي يوماً السيد كاظم الرشتي في مجلس تدريسه فقال: أيها السيد أين صاحب الأمر؟ وأي مكان مشرف به الآن؟. فقال السيد: أنا ما أدري! ولعل هنا ـ مكان التدريس ـ يكون الآن مشرفاً بحضوره، ولكني لا أعرفه» ثم يشرح الجاسوس كيف حاول باستمرار الإيحاء إلى علي محمد رضا هذا أنه هو المنتظر إلى أن أقنعه بذلك بواسطة «حسين البشروئي» فأعلن أنه الباب. ويصف الجاسوس نصائحه إلى هذا «الباب» فيقول له: ولا تكون متلوناً فإن الناس يقبلون منك كل ما تقول من رطب ويابس، ويتحملون عنك كل شيء حتى ولو قلت بإباحة الأخت، وتحليلها للأخ، فكان السيد يصغي ويستمع كاملاً وبلا نهاية صار طالباً ومشوقاً أن يدعي ادعاء. ثم يسوق الجاسوس خبر رجوعه إلى إيران من العراق ثم يقول: «فطفق كل من الميرزا حسين علي ـ البهاء ـ وأخوه الميرزا يحيي ـ صبح الأزل ـ والميرزا رضا علي «الباب» ونفر من رفقتهم يأتونني مجدداً، ولكن مجيئهم كان من باب غير معتاد للسفارة الذي كان قرب سكة مغسل الأموات».

ويصف هذا الجاسوس كيف اصطدم مع السفير الروسي «كراف سيمنويج» فاستدعته الحكومة الروسية إلى روسيا وفي ذلك يقول: «لقد قطع هذا الوزير المفوض جميع رواتب أصدقائي ورفقائي حتى رواتب الميرزا حسين علي، وأخيه الميراز يحيي، والميرزا علي رضا وغير هؤلاء الذين كانوا يأخذون الرواتب سراً، فبقطعه رواتب هؤلاء قد هدم مؤسساتي جمعاء، وقلب كل ما أنا فعلته وعملته، ونقض كل ما أنا غزلته».

ثم يقول: «في كل شهر كانت تأتيني من الأصدقاء الطهرانيين رسائل ومكتوبات وكلهم كانوا يدعونني إلى إيران، وحتى بعض عباد البطن منهم مثل الميرزا علي رضا والميرزا حسين علي، وبعض الآخرين، كانوا يدعونني لهريسة «أوز» و«تهجين بلو» و«بلو فسيخان» كي أرجع إلى إيران. ولكن أغلب إظهاراتهم لصداقة كانت لأخذ مناط الذهب».

وبعد اقتناع الحكومة الروسية بضرورة إرجاعه إلى إيران يقول: «وكان الميرزا حسين علي أول من ورد هذه الغرفة وأخبرني بمطالب مهمة جداً» ثم يقول: «انقضى رمضان وأنا كنت أربي نفراً من أصحاب سري تربية الجاسوسية، ولم تكن لأي منهم لياقة الميرزا حسين علي وأخيه يحيي».

دعاوي علي محمد الشيرازي المتناقضة:

أعلن علي محمد الشيرازي - بتسويل حسين البشروئي وتدبير الجاسوس الروسي كنياز دالكوركي - أنه باب إلى المهدي المنتظر. ثم توجه من شيراز إلى «بوشهر» مختفياً، وأخذ البشروئي يذيع ويشيع أنه رأى الباب بعينه وأخذ يدعو الناس إلى متابعته وقد أطلق على من تبعه اسم «البابية».

ثم لم يلبث البشروئي أن حوله من «باب المهدي» إلى المهدي نفسه وأطلق عليه «قائم الزمان» ثم اندفع البشروئي يجوب القرى والأمصار يبشر بظهور القائم دون أن يذكر شيئاً عن اسمه أو مكانه حماية للباب أو للمهدي من أيدي رجال الحكومة. وانضم إليه في ذلك رجل يقال له: محمد علي

البارفروشي الذي لقب لديهم بالقدوس ورجل آخر يقال له: علي البسطامي، وآخر يقال له: يحيي الدارابي الذي لقب لديهم بالوحيد حتى بلغ عدد المنضمين لهذه الدعوى الكاذبة سبعة عشر رجلاً وامرأة وهي الملقبة لديهم بقرة العين. وتوجهوا إلى بوشهر.

واجتمعوا بزعيمهم الجديد «الباب» وصاروا معه تسعة عشر شخصاً فلذلك قرر أن يجعل عدة الشهور تسعة عشر شهراً والشهر تسعة عشر يوماً واعتبر اليوم الذي أعلن فيه دعوته يوم ٥ من جمادى الأولى سنة ١٢٦٠هـ هو بدء التاريخ. ثم جمع جملاً متناقضة مملوءة بالسفسطات والأكاذيب وجعلها أساس دينه الجديد وسماها البيان.

ولم يقف هذا الباب عند حد فقد انتقل من دعوى المهدية إلى دعوى أنه الممثل الحقيقي لجميع الأنبياء والمرسلين فهو نوح يوم بعث نوح، وهو موسى يوم بعث موسى وهو عيسى يوم بعث عيسى، وهو محمد يوم بعث محمد عليهم الصلاة والسلام.

ثم زعم أنه يجمع بين اليهودية والنصرانية والإسلام وأنه لا فرق بينهما، ثم أنكر أن يكون محمد ﷺ خاتم النبيين وحرم قراءة القرآن، ثم زعم أن الله حل فيه وادعى أنه أكمل هيكل بشري ظهرت فيه الحقيقة الإلهية، وأنه هو الذي خلق كل شيء بكلمته، وألغى الصلوات الخمس وصلاة الجمعة وصلاة الجماعة إلا في الجنازة وقرر أن الطهر من الجنابة غير واجب، وأن القبلة هي البيت الذي ولد به في شيراز أو البيوت التي يعيش فيها هو أو أتباعه، فجعل الحج هو زيارة هذه البيوت. أما الصوم فيكون من شروق الشمس إلى غروبها، لمدة شهر بابي أي تسعة عشر يوماً وينتهي بعيد النيروز المجوسي، وأباح لأتباعه قضاء خمسة أيام قبل الصيام يرتكبون فيها ما شاؤوا من الشهوات. وأوجب أن يؤخذ في الزكاة خمس المال، وأوجب الزواج على من بلغ الحادية عشرة من الذكور والإناث ولا يحتاج الزواج لأكثر من رضا الذكر والأنثى. ويجوز إيقاع الطلاق تسع عشرة مرة وعدة

المطلقة تسعة عشر يوماً، ولا يجوز الزواج بأرملة إلا بعد دفع دية وبعد انقضاء عدته ومقدارها خمسة وتسعون يوماً، وحرم على المرأة الحجاب، وقرر أنه لا وجود للنجاسة، وأوجب دفن الميت في قبر من البلور أو المرمر المصقول، مع وضع خاتم في يمناه منقوش عليه فقرة من كتابه البيان. وأوجب استقبال قرص الشمس ساعة عند شروقها. إلى غير ذلك من الأحكام المتناقضة التي لا تلائم فطرة ولا يقرها عقل ولا تجلب للإنسانية غير البلبلة والاضطراب.

ولما انتشر دعاته في القرى والأمصار يبشرون الشيعة بأن قائم الزمان قد ظهر، ثار علماء شيراز على دعاة البابية في شيراز فقبض واليها حسين خان عليهم ورمى بهم في جب عميق بعد أن قطع أعصاب كعوبهم، ثم أمر بإحضار «الباب» من بوشهر. فأحضر وحمل إلى مجلس الحاكم فخر على الأرض ترتعد فرائصه، فلطمه الحاكم وبصق في وجهه ثم رمى به في السجن، ثم رأى الحاكم أن يتولى اختباره بنفسه فدعاه إليه وأظهر أنه تأسف على ما بدر منه، فمضى هذا «الباب» يمني الحاكم بأنه سيجعل منه سلطاناً فيما بعد على الدولة العثمانية حينما تدين الدنيا كلها له، ثم فوجىء «الباب» بحشد من العلماء في قصر الحاكم ففزع فطمأنه الحاكم، وأوهمه بأنه ما جمع هؤلاء العلماء إلا ليمكن للباب من إعلان دعوته وأن من يجرؤ على إظهار الكفر سيكون مصيره القتل فاغتر «الباب» وحضر مجلس العلماء ثابت الجنان.

ثم بدأ يخاطب العلماء بقوله: «إن نبيكم لم يخلف لكم بعده غير القرآن فهاكم كتاب البيان فاتلوه، واقرؤه تجدوه أفصح عبارة من القرآن». ولما اطلع العلماء عليه لم يجدوا فيه إلا كفراً بواحاً، وأخطاء فاحشة في اللغة.

ولما نبهه العلماء إلى هذه الأخطاء اللغوية ألقى اللوم على الوحي الذي جاء بها هكذا وهنا قال له الحاكم: «كيف تدعي الرسالة، وترجح

نفسك على خاتم النبيين وأنت عاجز عن التعبير عن مكنون نفسك» ثم أمر الحاكم برجاله فعلقوه من رجليه ثم انهالوا عليه ضرباً، فأعلن أنه كفر بدعوته ورضي أن يطاف به في الأسواق على دابة شوهاء. ثم أعيد إلى سجن شيراز.

بيد أن الجاسوس الروسي «كنياز دالكوركي» بواسطة جاسوس روسي آخر هو «منوجهر خان الأرمني» الذي دفعته الحكومة الروسية لإعلان إسلامه، فغمره الشاه بالفضل وأولاه ثقته، وعينه معتمداً للدولة في أصفهان، استطاع تخليص «الباب» من السجن وتهريبه إلى أصفهان. وقام منوجهر بإخفائه في بيته أربعة أشهر. ولما مات منوجهر وخلفه «جورجين خان» عثر بالباب يمرح في القصر فكتب إلى الشاه بذلك فقررت الحكومة نفي «الباب» إلى قلعة «ماكو» بآذربيجان.

مؤتمر بدشت سنة ١٢٦٤هـ :

يتحدث الجاسوس الروسي «كنياز دالكوركي» في مذكراته عما فعله بعد أن قبض على «الباب» فيقول: «فأنا بواسطة الميرزا حسين علي وأخيه الميرزا يحيي ونفر آخرين قمت بالضجيج والعجيج أن صاحب الأمر «الباب» قد قبض عليه». فاجتمع الدعاة المرتدون الثمانية عشر وقرروا أن يحضروا معهم كل الذين استمالوهم في هذه الدعوة وأن يعقدوا منهم مؤتمراً في صحراء «بدشت» الواقعة على نهر «شاهرود» بين خراسان ومازندران. وكان على رأس القائمين بالدعوة إلى هذا المؤتمر حسين البشروئي «باب الباب» ومحمد علي البارفروشي الذي يسمونه «القدوس» وأم سلمى «قرة العين» وحسين علي المازندراني الذي تلقب فيما بعد بالبهاء. وجعلوا الدعوة الظاهرة لهذا المؤتمر هي التفكير في الوسائل الممكنة لإخراج «الباب» من السجن.

أما المقصود الحقيقي لهذا المؤتمر فهو إعلان نسخ دين الإسلام، ولما

تم توافد هؤلاء إلى مكان انعقاد المؤتمر وشرعوا في البحث استقر الرأي على وجوب السعي في تخليص «الباب» وإنقاذه كما استقر الرأي على وجوب إرسال المبلغين أي الدعاة من شتى النواحي ليحثوا من يستجيب لهم على زيارة «الباب» في قلعة «ماكو» مستصحبين معهم من يتسنى استصحابه من ذوي ودهم وقرباهم، وأن يجعلوا مركز اجتماعهم في «ماكو» حتى إذا تم منهم العدد الكافي طلبوا من الشاه محمد الإفراج عنه فإذا لبى الشاه طلبهم وإلا أنقذوا «الباب» بالقوة.

ثم اندفعت «قرة العين» تلهب حماسهم وتقرر حقيقة نحلتهم فقالت: «اسمعوا أيها الأحباب والأغيار، اعلموا أن أحكام الشريعة المحمدية قد نسخت الآن بظهور الباب، وأن أحكام الشريعة الجديدة البابية لم تصل إلينا. وإن اشتغالكم الآن بالصوم والصلاة والزكاة وسائر ما أتى به محمد كله عمل لغو وفعل باطل، ولا يعمل بها بعد الآن إلا كل غافل وجاهل، إن مولانا الباب سيفتح البلاد ويسخر العباد، وستخضع له الأقاليم السبع المسكونة، وسيوحد الأديان الموجودة على وجه البسيطة، حتى لا يبقى إلا دين واحد، وذلك الدين الحق هو: دينه الجديد وشرعه الحديث، وبناء على ذلك أقول لكم، وقولي هو الحق: لا أمر اليوم ولا تكليف ولا نهي ولا تعنيف، فاخرجوا من الوحدة إلى الكثرة، ومزقوا هذا الحجاب الحاجز بينكم وبين نسائكم: بأن تشاركوهن بالأعمال وتقاسموهن بالأفعال، واصلوهن بعد السلوة. واخرجوهن من الخلوة إلى الجلوة، فما هن إلا زهرة الحياة الدنيا، وأن الزهرة لا بد من قطفها وشمها، لأنها خلقت للضم والشم، ولا ينبغي أن يعد أو يحد شاموها بالكيف والكم فالزهرة تجنى وتقطع، وللأحباب تهدى وتتحف. وأما إدخار المال عند أحدكم وحرمان غيركم من التمتع به والاستعمال فهو أصل كل وزر وأساس كل وبال، ساووا فقيركم بغنيكم، ولا تحجبوا حلالكم عن أحبابكم، إذ لا ردع الآن ولا حد، ولا منع ولا تكليف ولا صد، فخذوا حظكم من هذه الحياة، فلا شيء بعد الممات».

إنفضاض المؤتمر:

وبعد انفضاض المؤتمر انفض المؤتمرون سراً فتوجه البشروئي إلى خراسان وقرة العين والبارفروشي إلى مازندران، وتوجه حسين علي المازندراني إلى طهران. وكانوا قد تواعدوا على الالتقاء في ماكو بعد حشد ما يمكن حشده من الأتباع لتخليص «الباب».

حكومة الشاه تضيق الخنَاق عليهم وتقرر إعدام «الباب»:

عندما اشتدت فتنة البابية ثارت ثائرة رجال الدين والدولة في إيران فطلب الشاه من ولي عهده «ناصر الدين» وهو في تبريز أن يحضر «الباب» من سجنه إلى مجلس علماء لمحاكمته، فأقر «الباب» بعد مراوغة بما صدر عنه من كتب، وأنه جاء بدين جديد. فوجه العلماء إليه هذا السؤال: ما النقص الذي رأيته في دين الإسلام وما الذي كملت به هذا النقص لو كان؟ فارتج على هذا الدعي، ولم يجد شيئاً. وقد استقر رأي الحكومة على وجوب قتله مرتداً بعد أن أطبق العلماء على كفره وردته.

محاولة الروس لإنقاذ «الباب»:

حمل «الباب» من سجنه ومعه أحد أتباعه لإعدامهما في أحد ميادين تبريز الذي كان مكتظاً بفئات كثيرة من الناس حضروا ليشاهدوا مصرع هذا الضال. بيد أن القنصل الروسي استطاع أن يتصل بقائد الفرقة المكلفة بتنفيذ حكم الإعدام وأن يغريه برشوة كبرى ليحاول إنقاذ «الباب».

وشد هذا «الباب» إلى عمود طويل ومعه تابعه، والناس يلعنونه ويستعجلون بالفتك به، ووقف القنصل الروسي مشدوهاً بين هؤلاء. وأطلق الجنود ثمانمائة رصاصة استقرت كلها في جسد تابعه المغرور غير واحدة من هذه الرصاصات فقد قطعت الحبل الذي ربط به «الباب» وحينما انجاب الدخان الكثيف رأى الناس جسد التابع ممزقاً تحت العمود. أما الباب فقد فر بعد أن قطعت الرصاصة حبله، غير أن بعض الجند الذين كانوا يعرفونه

ويجهلون قصد قائدهم قاموا بتمزيق جسده بالرصاص فانهار قنصل الروس ويكى من هول ما أصيب به، وفضحت دموعه سر المؤامرة، وقد تركت جثة «الباب» في خندق طعاماً للوحوش بعد أن قام قنصل الروس بتصوير الجثة، وقد بعث بالصورة إلى حكومته، كما جاء في كتاب «الكواكب الدرية في تاريخ ظهور البابية والبهائية» المطبوع في القاهرة سنة ١٣٤٣هـ وهو لأحد البهائيين. وكان إعدام «الباب» يوم ٢٨ شعبان سنة ١٢٦٦هـ أو ١٢٦٧هـ الموافق ١٨٥٠م.

اعتقال قرّة العين ونفيها إلى بغداد:

اعتقلت الحكومة «قرة العين» ونفتها إلى بغداد فنزلت في بيت محمد شبل الكاظمي فأفسدت دينه وأمالته إلى البابية فأمر نجيب باشا والي بغداد بنقلها إلى منزل الشهاب الألوسي مفتي بغداد وصاحب التفسير المشهور لتكون تحت رقابته. غير أنه لما قام البشروئي «باب الباب» بثورة مسلحة وتتابعت ثوراتهم وحاولوا اغتيال الشاه فما أن ظفر بهم الشاه حتى نكل بهم وقضى عليهم ولقي الكثير منهم حتفه وأعدمت «قرة العين» مع من أعدمهم الشاه سنة ١٢٦٤ أو ١٢٦٥هـ الموافق ١٨٤٩م.

من البابية إلى البهائية:

بعد أن قتل «الباب» حاول الروس اختيار شخص آخر من أتباعه ليكون خليفة له. ويقول الجاسوس الروسي «كنياز دالكوركي» في مذكراته: «فوصلني خبر قتله بطهران فقلت لميرزا حسين علي ـ البهاء ـ ونفر آخرين الذين لم يروا السيد أن يثيروا الغوغاء بالضجيج والعجيج، وقد تعصب نفر آخرون وأطلقوا الرصاص على الشاه ناصر الدين. فلذلك قبضوا على كثيرين من الناس وكذلك قبضوا على الميرزا حسين علي ـ البهاء ـ وبعض آخر من الذين كانوا لي أصحاب السر، فأنا حاميت عنهم، ويألف مشقة أثبت أنهم ليسوا بمجرمين، وشهد عمال السفارة وموظفوها حتى أنا بنفسي أن هؤلاء ليسوا بابيين، فنجيناهم من الموت، وسيرناهم إلى بغداد، وقلت لميرزا

حسين علي: «اجعل أنت أخاك الميرزا يحيي وراء الستار وادعوه «من يظهره الله» فلا تدعه أن يكلم أحداً، وكن أنت بنفسك متوليه، وأعطيتهم مبلغاً كبيراً رجاء أن أعمل بذلك عملاً» ثم يقول: «فألحقت به في بغداد زوجته وأولاده، وأقرباءه، وكل من كان لائذاً به كي لا يكون له هوى من خلفه». ثم يقول: «فشكلوا في بغداد تشكيلات، وجعلوا له كاتب وحي، وأنا أيضاً أرسلت لهم كتاباً وكتباً كانت باقية للسيد «الباب» بعدما أصحلتها جرحاً وتعديلاً وأمرتهم أن يستنسخوا منها نسخاً كثيرة، وكانوا يهيئون في كل شهر بعض الألواح ويرسلونها للذين كانوا منخدعين بالسيد «الباب» وكان قسم من أعمال السفارة الروسية في طهران منحصراً في تهيئة الألواح وتنظيم أعمال البابية» ثم يقول: «والدولة الروسية كانت تقويهم وبنت لهم مأوى ومسكناً» ثم يقول: «ورقباؤنا كانوا ساعين أن يفشوا الألواح المتضادة المتناقضة التي كانت صادرة بيد كتابنا». ثم يقول: «وكل من كان في طهران يصير بهائياً كنا نعاونه ونساعده». ثم يقول: «ولم يكن لأولئك البتة مأوى وملجأ سوانا».

الخلاف بين اتباع الباب:

بعد أن استقر حسين علي المازندراني في بغداد أخذ يمهد الطريق لتزعم البابيين الذين فروا إلى العراق من إيران، بيد أن جماعة من هؤلاء لم يوافقوا على جعله زعيماً لهم بل جعلوا زعامتهم لأخيه يحيي المازندراني.

وقد رفض المندسون منهم في إيران أن ينحازوا إلى أحد الرجلين فصار أتباع الباب بذلك ثلاث فرق، وبدأ النزاع بين هذه الفرق الثلاث. وتأكد لشاه إيران أن البابيين رغم مقامهم في بغداد بعيداً عن حدوده ـ ما زالوا يمثلون خطراً داهماً على دولته فطلب من الخليفة العثماني إخراجهم من العراق فاستجابت الدولة العثمانية لذلك وأصدرت أمراً بنفي «الأخوين حسين المازندراني ويحيي المازندراني وأتباعهما» إلى الأستانة وكان ذلك سنة ١٢٨١هـ الموافق ١٨٦٤م. وتجمع هؤلاء في حديقة نجيب باشا والي بغداد استعداداً للرحيل فاستغل حسين المزندراني اجتماع هؤلاء وأعلن أنه

الموعود الذي جاء الباب ليبشر به، وأنه «بهاء الله» وأن الغاية من ظهور الباب إنما كانت لإعداد الناس لقدوم «بهاء الله» وما إن وصل هؤلاء إلى الأستانة حتى طلب السفير الإيراني نقلهم إلى مكان بعيد عن العاصمة فنقلوا بعد أربعة أشهر إلى «أدرنة» وفيها احتدم النزاع بين الأخوين فعرف أتباع يحيي «بالأزليين» إذ صار يحيي يلقب «صبح الأزل» وعرف أتباع حسين «بالبهائيين» إذ أطلق على نفسه لقب «بهاء الله».

وصمم حسين هذا على القضاء على أخيه يحيى مما حدا به إلى أن يحاول دس السم له كما حاول قتله غيلة، مما حدا بالحكومة إلى نفي يحيى إلى قبرص ونفي حسين إلى عكا في فلسطين. وأخذ يحيي يترنم في لعن أخيه ووصفه بأنه الإثم والعجل فيقول في بعض كتبه لأصحابه، مدعياً أنه هو الصبح الذي حل فيه الإله: «خذوا ما أظهرنا بقوة واعرضوا عن الإثم لعلكم ترحمون. إن الذين يتخذون العجل من بعد نور الله أولئك هم المشركون».
وقد عمدت الحكومة العثمانية إلى إقامة عيون على كل واحد من الأخوين من أتباع الآخر.

حسين المازندراني في عكا:

وصل حسين المازندراني إلى عكاء واستمر في سجنها حوالي أربعة أشهر امتدت الأيدي الماسونية والصهيونية خلالها لإمداده بالمال الوفير وتهييئه للدعوة إلى دينه الجديد فلم تمض هذه الأشهر الأربعة حتى أطلق سراحه، وما إن خرج من السجن حتى دبر مؤامرة لأتباع أخيه الذين عينتهم الحكومة عيوناً عليه فأبادهم ليلاً بالحراب والسواطير مما حمل الحكومة على اعتقال «البهائيين» في أحد معسكرات عكا.

ولم يمض طويل زمن حتى نقل هو وعائلته إلى منزل جميل كما وضع أتباعه في منزل آخر وأذن لأتباعه ولغيرهم في زيارته والتحدث إليه.

حسين المازندراني يضع نحلته الجديدة:

بدأ حسين المازندراني دعاويه بأنه وصي «الباب» وخليفته أو خليفة

القائم ثم زعم أنه هو القائم نفسه ثم ادعى أنه المسيح قد نزل. ثم ادعى لنفسه النبوة ثم تبجح وادعى أنه إله السمٰوات والأرض زاعماً أن الحقيقة الإلٰهية لم تنل كمالها الأعظم، إلا بتجسدها فيه، وقد أمدته الصهيونية بلقب بهاء الله. الموجود في المزامير إذ قد ورد فيها «أن السمٰوات تحكي عن بهاء الله» فزعم أو زعموا له أنه هو هذا البهاء، وأنه مظهر الله الأكمل، وأنه هو موعود كل الأزمنة، ومجيئه الساعة الكبرى، وقيامه القيامة. والانتماء إليه هو الجنة، ومخالفته هي النار. وقد أخذ ينسخ من البابية ما لا يوافق هواه.

رسائل حسين المازندراني وكتُبه

الإيقان:

بدأ حسين المازندراني وهو في بغداد يؤلف كتاباً سماه «الإيقان» ليقرر فيه «مهدوية الباب» ثم ينسل من ذلك إلى مدعاه هو. وكان تأليفه لهذا الكتاب حسب زعمه بسبب سؤال وجهه له خاله عن حقيقة «الباب» ولذلك سماه أولاً: «نسخة خال» ويذكر أنه ألفه مرغماً وأنه يعتبر مثل هذا التأليف ذنباً عظيماً. وفي ذلك يقول:

«إن هذا البيان الذي ذكرناه الآن لم يكن إلا من فرط الحب لجنابكم» ثم يقول: «إن هذا العبد يعد الاشتغال بهذه المقالات ذنباً عظيماً ويحسبه عصياناً كبيراً». وهو ينص بهذا على أنه عبد ثم ينسى ذلك ويزعم بعد ذلك أنه الرب.

وقد طبع كتاب الإيقان هذا في مصر ١٣٥٢هـ وهو في مائتي صفحة ورغم تناقضاته وأكاذيبه فإن «البهائيين» يزعمون أنه وحي يجمع كتب جميع الأنبياء والمرسلين. على أن كتاب الإيقان هذا قد تنازعه الأخوان الشقيان حسين المازندراني ويحيي المازندراني فكل منهما يدعيه لنفسه وأعلن يحيي وهو معتقل في قبرص بأن كتاب الإيقان من إنشائه هو باللغة الفارسية... ويقول حسين: «بل هو وحيي وتنزيلي».

الإشراقات:

كما نسب إليه مجموعة من الرسائل سماها «الإشراقات» وقد طبعت ترجمتها في مصر ١٣٤٣هـ وهي مجموعة من الحكايات والشكاوي من معارضة أخيه يحيي له إلى غير ذلك.

مجموعة الألواح:

ومما يسميه البهائيون وحياً من ربهم «مجموعة الألواح» وقد طبعت في مطبعة السعادة بالقاهرة سنة ١٣٣٨هـ.

وقد جاء في صفحة (١٦١) منه في لوح من ألواحه عنوانه «هو الناظر من أفقه الأعلى» يخاطب شخصاً اسمه عبد الوهاب:

«يا وهاب إذا اجتذبك ندائي الأحلى، وصرير قلمي الأعلى قل إلٰهي إلٰهي... يا قلمي الأعلى، بدل اللغة الفصحى باللغة النوراء».

كتاب الأقدس:

هذا الكتاب أهم كتاب عند البهائية، وقد ألفه حسين المازندراني وهو في آخر أيامه بعكا قبيل هلاكه بعد إلحاح عنيف من أتباعه الذين اعتقدوه رباً وإلٰهاً فطلبوا منه أن يضع لهم كتاباً يبين لهم فيه كيف يعبد هذا الإله؟ فأسرع هو وابنه عباس المسمى بعبد البهاء يجمعان من الضلالات والأكاذيب والخرافات والسفسطات والتلفيقات والوهميات المنافية للفطرة. وأودعاها هذا الكتاب الذي أطلق عليه حسين المازندراني اسم «الأقدس» وزعم أنه نسخ جميع الأحكام والكتب السابقة. وقد طبع هذا الكتاب في مطبعة الآداب ببغداد لأول مرة سنة ١٣٤٩هـ الموافق ١٩٣١م ويقع في ٥٣ صفحة بالقطع المتوسط. وقد كتب في آخر صفحة منه عبارة: «قد كتب في أيام الله المقتدر العزيز المختار».

ومؤلفه يحاول فيه تقليد القرآن فيأتي ببعض آية يمزجه ببعض آية

أخرى. أو يضع شيئاً من عنده بأسلوب يخزي صاحبه وينطق بجهله العميق بلغة القرآن.

ويبدو أن أهم ما قصده واضعه هو إقرار ألوهية «حسين المازندراني» وربوبيته، والدعوة لإنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين، والتبشير بالصهيونية، مع محاولة إيجاد أحكام خاصة بالبهائية يلغى بها أحكام الإسلام. كجعله الصلاة تسع ركعات دون بيان كيفيتها وأن القبلة حيث يكون «حسين المازندراني» أو عكا وحيفا. ورفع الجماعة إلا في صلاة الجنازة وأن الحائض تسبح ٩٥ مرة وأن المسافر يسجد سجدة واحدة إلى غير ذلك مما وافق فيه «الباب» أو خالفه.

كما حمل فيه حملات على الذين يستمسكون بكتاب «البيان» المنسوب إلى «الباب». وبالنظر إلى أن هذا الكتاب الذي هو عمدة دين «البهائية» كان من الضروري ذكر صور من تناقضاته وأكاذيبه، وادعاءاته، ودعوته للصهيونية. وحيث إن هذا الكتاب عبارة عن فقرات يحاول فيها المؤلف تقليد «الآيات» وعددها ٤١٦ فقرة وهي مرقمة في هامش الكتاب رأيت أن أحدد كل فقرة مما أورده هنا برقمها الذي رقمت به في الكتاب:

أمثلة من تناقضات وأباطيل هذا الكتاب:

العدد ١ ص ٣: «إن أول ما كتب الله على العباد معرفة مشرق وحيه» يعني بهذا أن أول الفرائض معرفة «حسين المازندراني» وهو بهذا يكذب كل أسلافه بما فيهم «الباب» مع تكذيبه للنبيين والمرسلين.

العدد ١٢ ص ٤: «لا تحسبن أنا نزلنا لكم الأحكام بل فتحنا ختم الرحيق المختوم، بأصابع القدرة والاقتدار يشهد بذلك ما نزل من قلم الوحي تفكروا يا أولي الأفكار».

فهو ينفي أن يكون نزل أحكاماً، مع أنه شحن هذا الكتاب بالأوامر والنواهي والأحكام كصلاتهم وصومهم وزكاتهم وحجهم وإرثهم وزواجهم،

وطلاقهم، وما يتعلق بالزنا والقتل والسرقة وبالغسل وعدم الأكل باليد، وفي العدد الذي يليه مباشرة نقض الذي ذكر في هذه الفقرة.

العدد ١٣ ص ٤ : «قد كتب عليكم الصلاة تسع ركعات لله منزل الآيات حين الزوال وفي البكور والآصال وعفونا عن عدة أخرى أمراً في كتاب الله أنه لهو الأمر المقتدر المختار».

فهو يقرر في هذه الفترة كتب الأحكام التي نفاها في الفقرة السابقة ولم يبين هذه الصلاة التسع ركعات علماً بأنها لا وجود لها بينهم ثم يقول في الفقرة ١٩ ص ٥ : «قد فصلنا الصلاة في ورقة أخرى ـ طوبى لمن عمل بما أمر به من لدن مالك الرقاب».

علماً بأنه لا وجود لهذه الورقة التي فصلت الصلاة في كتاب الأقدس ولا في غيره.

فهل هذا دين يعتقده أحد عنده مسكة من عقل.

العدد ٢٠ ص ٥ : «قد نزلت في صلاة الميت ستة تكبيرات» فهذه الفقرة اشتملت على الخطأ اللغوي في قوله (ستة) ثم أي مصلحة في تغيير ما شرع الإسلام من أربع تكبيرات إلى ست تكبيرات.

العدد ٢٦ ص ٦ : «من لم يجد الماء يذكر خمس مرات بسم الله الأطهر الأطهر» وهو إنما أراد محاربة الإسلام في مشرع التيمم الذي خص الله به أمة محمد ﷺ. .

العدد ٢٩ ص ٦ : «قد كتب عليكم الصلاة فرادى قد رفع حكم الجماعة إلا في صلاة الميت إنه لهو الأمر الحكيم».

أي فائدة للإنسانية في إلغاء الجماعة وهي من أعظم الروابط بين الناس. وكيف لا يخجل من تكرير كلمة «كتب عليكم» وهو يقول قبل ذلك : «لا تحسبن أنا نزلنا لكم الأحكام» وماذا يسمى هذا الذي كتبه هذا الأفاك. .

العدد ٣١ ص ٦: «ولكم ولهن في الأسفار إذا استنزلتم واسترحتم المقام الآمن مكان كل صلاة سجدة واحدة».

أليس هذا هو اللعب بعقول هؤلاء الأغرار..

العدد ٤١ ص ٧: «يا قلم الأعلى قل يا ملأ الإنشاء قد كتبنا عليكم الصيام في أيام معدودات وجعلنا النيروز عيداً لكم بعد إكمالها كذلك أضاءت شمس البيان عن أفق الكتاب من لدن مالك المبدأ والمآب» قد أطل القرن المجوسي في هذا العدد إذ جعل عيد النيروز المجوسي عيداً لهم عند نهاية الصيام الذي قلد فيه «الباب» ومعنى ذلك أنه لمدة تسعة عشرة يوماً من طلوع الشمس إلى غروبها ليحارب بذلك دين الإسلام.

العدد ٤٩ ص ٨: «قد قسمنا المواريث على عدد إلزاء قدر لذرياتكم من كتاب الطاء على عدد المقت وللأزواج من كتاب الحاء على عدد التاء والفاء وللآباء من كتاب الزاء على عدد التاء والكاف وللأمهات من كتاب الواو على عدد الرفيع وللإخوان من كتاب الهاء على عدد الشين وللأخوات من كتاب الدال عدد الراء والميم وللمعلمين من كتاب الجيم عدد القاف والفاء كذلك حكم مبشري الذي يذكرني في الليالي والأسحار».

هذا هو تقسيمه العجيب الغريب المبهم للميراث ونصه على أنه يقلد فيه تقسيم «الباب» الذي يعتبره مبشراً به، فأي عقل هذا الذي يجعل رباً يقلد من بشر به، علماً بأن التقسيم لا يناسب فطرة. وقد ساوى فيه بين الذكور والإناث في جميع الحالات. ولذلك ثار عليه بعض المغرورين من أتباعه ليعدل هذه القسمة للمواريث فاضطر إلى تعديلها، فقال في العدد الذي يلي هذا العدد ما يلي:

العدد ٥٠ ص ٩: «أنا لما سمعنا ضجيج الذريات في الأصلاب زدنا ضعف ما لهم ونقصنا عن الأخرى أنه لهو المقتدر على ما يشاء يفعل بسلطانه كيف أراد» وهو بهذا النص يحكم على مبشره «الباب» بأنه كان أصم

ولم يسمع ضجيج الذريات. وهكذا بدأ يطعن على مبشره ليزعم أنه أعلم منه وهكذا صار يضرب على غير هدى.

العدد ٦٥ ص ١١: «قد حكم الله لمن استطاع منكم حج البيت من دون النساء عفى الله عنهن رحمة من عنده أنه لهو المعطي الوهاب».

حاول في هذا النص أن يدعي أنه جاء بحج شبيه بالحج في الإسلام وإن كان أسقطه على النساء لكنه استعمل التضليل في عبارة حج البيت علماً بأنه يريد بالبيت منزله في عكا وحيفا ما دام حياً ثم منزل خليفته من بعده حيث قال في العدد ١٤ ص ٤ و٥: وإذا أردتم الصلاة ولو وجوهكم شطر الأقدس المقام. وفي العدد ١٥ ص ٥ يقول: وعند غروب شمس الحقيقة والبيان المقر الذي قدرناه لكم أنه لهو العزيز العلام..

العدد ٨٠ ص ١٣: «من يدعي أمراً قبل إتمام ألف سنة كاملة إنه كذاب مفتر».

يريد بهذا أن يغلق الباب على من بعده لمدة ألف سنة ويحكم على من يدعي كدعواه قبل تمام هذه المدة بأنه كذاب، ولا ندري لماذا لم يخجل هو عندما ادعى دعواه هذه وقد تعامى عن نص شيخه «الباب» الذي قال في كتاب «البيان»: «كل من ادعى أمراً قبل سنّ كلمة «المستغاث» هو مفتر كذاب اقتلوه حيث ثقفتموه». علما بأن كلمة «المستغاث» يساوي عددها أكثر من ألفي سنة. لكن وقاحة الوجه تفعل بصاحبها ما يشاء على حد قول الشاعر:

إذا رزق الفتى وجهاً وقاحاً تقلب في الأمور كما يشاء

العدد ١٠١ ص ١٥: «لا تحلقوا رؤوسكم قد زينها الله بالشعر وفي ذلك لآيات لمن ينظر إلى مقتضيات الطبيعة من لدن ملك البرية أنه لهو العزيز الحكيم» ما أقذر مثل هذه الدعوة بالنسبة للرجال، وكأنه يريد أن يشغلهم بما تشتغل به النساء نحو رؤوسهن، والعجيب أن يجعل تحريم حلق شعر الرأس من الآيات.

العدد ١٠٤ ص ١٦: «من أراد أن يستعمل أواني الذهب والفضة لا بأس عليه» ولا شك أنه إنما يريد من ذلك مجرد حرب تعاليم رسول الله ﷺ.

العدد ١١١ ص ١٧: «قد حكم الله لكل زان وزانية دية مسلمة إلى بيت العدل وهي تسعة مثاقيل من الذهب وإن عادا مرة أخرى عودوا بضعف الجزاء». هذه دعوة للدعارة في نظير دفع هذا المبلغ له أو لمن ينوب عنه وهي صورة مخزية لتجديد قصة «صكوك الغفران».

العدد ١٣٠ ص ١٩: «قد كتب الله عليكم النكاح إياكم أن تجاوزوا عن الإثنين.. ومن اتخذ بكراً لخدمته لا بأس عليه» هذه دعوة أخرى للدعارة مع الأبكار في الوقت الذي يحدد فيه عدد الزوجات بما لا يجاوز اثنتين مع خطئه في اللغة العربية حيث عبر عن الزوجتين بتعبير الذكرين إذ قال.. (عن الاثنين).

على أنه قد خالف «الباب» الذي لم يشترط في النكاح أكثر من رضا الطرفين. فقرر في العدد ١٣٤ شرط إذن الأبوين ثم قرر في العدد ١٣٥ ضرورة دفع مهر حدده لأهل المدن تسعة عشر مثقالاً من الذهب الإبريز، أما أهل القرى فيكون هذا المقدار من الفضة. وفي ذلك يقول:

العدد ١٣٤ ص ٢١: «إنه قد حدد بالبيان برضاء الطرفين إنا لما أردنا المحبة والوداد واتحاد العباد لذا علقناه بإذن الأبوين لئلا يقع بينهم الضغينة والبغضاء ولنا فيه مآرب أخرى وكذلك كان الأمر مقضياً».

وهو بهذا يشهد بأن مذهب شيخه «الباب» يجلب الضغينة والبغضاء. وبهذا بدأ يشتد لصرف أتباعه عن شيخه ويحاول الطعن فيه والنيل منه رغم ادعائه بأنه مبشره وأنه يخضع لحكمه.

العدد ١٣٥ ص ٢٠: «لا تحقق الصهار إلا بالأمهار قد قدر للمدن تسعة عشر مثقالاً من الذهب الإبريز وللقرى من الفضة» وهكذا تصير أكثر أحكامهم الارتجالية تدور على العدد ١٩ بسبب مصادفة أن جملة دعاة

«الباب» الذين استجابوا لضلالته كانوا ثمانية عشر فإذا ضم «الباب» إليهم كانوا تسعة عشر. ولذلك جعلوا الصيام تسعة عشر يوماً والمهر تسعة عشر مثقالاً وعدة الشهور تسعة عشر شهراً والزكاة تسعة عشر في المائة إلى غير ذلك من ديانة المصادفات.

هذا ولا ننسى أن «الباب» قد أحل نكاح الأخت كعادة المجوس بشرط ألا تكون عاشت مع أخيها في مكان واحد..

العدد ١٦٦ ص ٢٤: «قد عفى الله عنكم ما نزل في البيان من محو الكتب وأذناكم بأن تقرأوا من العلوم ما ينفعكم لا ما ينتهي إلى المجادلة في الكلام هذا خير لكم إن أنتم من العارفين».

بهذا يعلن الحرب على البابية والأزلية، ويقرر نسخ «البيان» كتاب شيخه «الباب».

العدد ١٧٢ ص ٢٥: «قل تالله الحق أن الطور يطوف حول مطلع الظهور» بهذا يدعي هذا الأفاك أن طور سنين يطوف حوله كما يزعم بعض المنحرفين من قبله أن الكعبة تطوف حول بعض الحجاج ولا يطوفون هم حولها.

العدد ١٧٣ ص ٢٥: «هذا يوم فيه سرع كرم الله شوقاً للقائه وصاح الصهيون قد أتى الوعد وظهر ما هو المكتوب في ألواح الله المتعال العزيز المحبوب» هذه الدعوة الصهيونية قد كشرت عن أنيابها وفضحت نوايا هذا الدعي الذي دبرت له الصهيونية العالمية المنزل في عكا ليقوم بالدعاية لإنشاء الوطن القومي الصهيوني في فلسطين مدعياً أن هذا مكتوب في الألواح...

العدد ١٨٦ ص ٢٦: «قل يا ملك برلين إن استمع النداء من هذا الهيكل المبين إنه لا إله إلا أنا الباقي الفرد القديم».

وهكذا يدعي هذا الأحمق أنه هو الله ويطلب من حكومة ألمانيا الاعتراف به ليمهد لليهود الألمانيين.

العدد ١٩٢ ص ٢٧: «إن يا ملوك أمريكا ورؤساء الجمهور فيها استمعوا ما تغن به الورقاء على غصن البقاء أنه لا إله إلا أنا الباقي الغفور الكريم» وهكذا انتقل من دعوة الحكومة الألمانية إلى الاعتراف بألوهيته خدمة للمصالح اليهودية إلى دعوة الحكومات الأمريكية إلى نفس المطلب لتحقيق نفس الغرض.

العدد ٢١٠ ص ٢٩: «والذي تملك مائة مثقال ذهب فتسعة عشر مثقالاً لله فاطر الأرض والسماء إياكم يا قوم أن تمنعوا أنفسكم عن هذا الفضل العظيم». هذه هي حصة الزكاة التي قررها على المغرورين من أتباعه وهي تقرب من الخمس ولم يصل بها حد الخمس من أجل العدد ١٩ المصادف لمجموعة المرتدين الذين أشرنا إليهم فيما سبق.

العدد ٢١٦ ص ٢٩ و ٣٠: «قد حضر لدى العرش عرائض شتى من الذين آمنوا وسألوا فيها الله رب ما يرى وما لا يرى رب العالمين لذا أنزلنا اللوح وزيناه بطراز الأمر لعل الناس بأحكام ربهم يعملون».

العدد ٢١٧ ص ٣٠: «وكذلك سئلنا من قبل في سنين متوليات وأمسكنا القلم حكمة من لدنا إلى أن حضرت كتب من أنفس معدودات في تلك الأيام لذا أجبناهم بالحق بما نحيي به القلوب» هذان النصان يدلان دلالة قاطعة على أنه يصف نفسه بأنه ذو العرش وأنه رب العالمين، ثم يبين هذا الأفاك أنه كتب دينه هذا مضطراً لكثرة ما جاءته من العرائض وأنه كان قد حاول الإمساك عن الكتابة لولا هذه المكاتيب التي ألحت عليه أن يسن لهم قوانين دينية كسائر تابعي الديانات فاضطر إلى كتابة هذه الألواح. وقد فضح بهذا نفسه، وكشف سره.

العدد ٢٢٠ ص ٣٠: «توجهوا يا قوم بوجوه بيضاء وقلوب نوراء إلى البقعة المباركة الحمراء التي نادى فيها سدرة المنتهي أنه لا إله إلا أنا المهيمن القيوم» في هذا العدد يقر أن القبلة هي بيته في عكا، ثم لا يخجل فيكرر أنه لا إله إلا هو وأن سدرة المنتهي تنادي بذلك..

العدد ٢٢٧ ص ٣١: «أنا ما دخلنا المدارس وما طلعنا المباحث أن استمعوا ما يدعوكم به هذا الأمي إلى الله الأبدي إنه خير لكم عما كنز في الأرض إن أنتم تفقهون».

إن تعجب فعجب لهذا الذي يصف نفسه بأنه لا إله إلا هو ثم يصف نفسه هنا بأنه أمي. علماً بأن دعواه الأمية وعدم قراءة الكتب كذب ظاهر.

العدد ٢٧٠ ص ٣٥: «إن عدة الشهور تسعة عشر شهراً في كتاب الله» بهذا يناقض جميع بني البشر ولم يحمله على ذلك إلا محاولة تقديس عدد المرتدين التسعة عشر..

العدد ٢٧١ ص ٣٥: «قد حكم الله دفن الأموات في البلور أو الأحجار الممتنعة أو الأخشاب الصلبة اللطيفة ووضع الخواتيم المنقوشة عليها في أصابعهم أنه لهو المقتدر العليم».

بهذا يقلد «بابه» رغم تعاليه عليه في العدد ٢٧٥ ص ٣٦ وكأنه يريد جلب المشقة لأتباعه...

العدد ٢٧٥ ص ٣٦: «أنا أخبرنا الكل بأن لا يعادل بكلمة منك ما نزل في البيان أنك أنت المقتدر على ما تشاء» هكذا تكون الديانة المتناقضة...

العدد ٢٨٣ ص ٣٦: «يا ملأ الإنشاء إن استمعوا نداء مالك الأسماء إنه يناديكم من شطر سجنه الأعظم أنه لا إله إلا أنا المقتدر المتكبر المفتخر المتعالي العليم الحكيم».

أي إله هذا الذي عجز عن فك نفسه من السجن ومع ذلك يدعي هذا العاجز أنه لا إله إلا هو المقتدر المتكبر المفتخر...

العدد ٢٨٥ ص ٣٧: «ولترفعن البيتين في المقامين والمقامات التي فيها استقر عرش ربكم الرحمٰن».

يؤكد بهذا النص أنه الرحمٰن وأن عرشه قد استقر في عكا وحيفا وقد

ينتقل إلى غيرهما ويحض أصحابه على زيارة عرشه المحاكى لعرش الشيطان ووجوب رفع بنايات في عكا وحيفا لعبادته . . .

العدد ٢٩٩ ص ٣٨ و ٣٩: «من عرفني فقد عرف المقصود ومن توجه إلي فقد توجه إلى المعبود» وهكذا يجعل نفسه كفرعون رغم تفاهته ودناءته.

العدد ٣٠٠ ص ٣٩: «من يقرأ آية من آياتي خير له أن يقرأ كتب الأولين والآخرين» وبهذه الركاكة والعجز عن التعبير الصحيح يدعي أن هذه الحماقة الملفقة خير من جميع كتب الأنبياء والمرسلين وخير من كتب أسلافه الملاعين.

العدد ٣٣٠ ص ٤٢: «كتب عليكم تجديد أسباب البيت بعد انقضاء تسعة عشر سنة. كذلك قضى الأمر من لدن عليم خبير» ما أشقى هؤلاء الأتباع الذين حملتهم صدفة العدد ١٩ على إلزامهم بتجديد مظاهر منازلهم كل تسعة عشر عاماً.

العدد ٣٦٥ ص ٤٧: «إياكم يمنعكم ذكر النبي عن هذا النبأ الأعظم أو الولاية عن ولاية الله المهيمنة على العالمين».

هذه محاولة منه لمنع ذكر رسول الله محمد ﷺ والاقتصار على ذكره هو.

العدد ٣٦٩ ص ٤٧: «قد نرى منكم من يأخذ الكتاب ويستدل به على الله كما استدل كل ملة بكتابه على الله المهيمن القيوم قل تالله الحق لا يغنيكم اليوم كتب العالم ولا ما فيه من الصحف إلا بهذا الكتاب. .».

وكما حاول عدو الله أن يحول بينهم وبين معرفة رسول الله ﷺ. فقد حاول هنا أن يحول بينهم وبين كتاب الله عز وجل مدعياً أن هذا التلفيق الركيك يغني عن هذا الكتاب العزيز.

العدد ٣٨٦ ص ٤٩: «يا ملأ البيان إنا دخلنا مكتب الله إذ أنتم راقدون ولاحظنا اللوح إذ أنتم نائمون».

يطعن بهذا على البابية والأزلية من رفقائه الأولين لما لعنوه وكذبوه، ويتعالى عليهم بفرية أنه دخل مكتب الله وأنهم لم يدخلوه.

العدد ٣٩٣ ص ٥٠: «إياكم أن يمنعكم ما في البيان عن ربكم الرحمٰن». وهذا ترديد للطعن على كتاب «البيان» الذي ألفه شيخه «الباب» مع تبجحه بوصف نفسه بأنه ربهم الرحمٰن.

العدد ٤١٣ ص ٥٢: «يا أهل المجالس في البلاد إن اختاروا لغة من اللغات ليتكلم بها من على الأرض كذلك من الخطوط» يدعو إلى توحيد اللغة في العالم وهذا برهان ساطع على جملة المطبق بالفطرة التي فطر الله الناس عليها فاختلاف اللغات كاختلاف الألوان آية من آيات الله عز وجل وفي ذلك يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴿٢٢﴾﴾ [الروم: ٢٢].

هذه صورة من «أقدسهم» وهو أهم كتاب لديهم ومع ذلك فقد جمع من التناقضات والأكاذيب والجهالات ما يفضح مؤامرة هؤلاء العماة.

هلاك حسين المازندراني «البهاء» بعد وصيته لابنه عباس:

وقد استمر حسين المازندراني هذا في نشر افتراءاته وإشاعة أراجيفه بواسطة المؤسسات الماسونية، ودعاة الصهيونية العالمية التي اتخذته مطية لقضاء مآربها وتحقيق أهدافها إلى أن أنهكته الحمى فهلك في اليوم الثاني من شهر ذي القعدة سنة ١٣٠٩هـ الموافق مايو سنة ١٨٩٢م. بعد أن عمل على تمهيد الطريق لأكبر أولاده الذي سماه: «عبد البهاء» إذ حاول قبيل هلاكه أن يجمع وصف الألوهية له ولولده هذا إذ كتب له يقول: «من الله العزيز الحكيم إلى الله اللطيف الخبير» كما كان يلقبه بالفرع العظيم المنشعب من الأصل القديم وقد ترك وراءه من زوجتيه أربعة أبناء وثلاث بنات.

تنازع الأخوة على الرئاسة:

عندما أعلن عباس (عبد البهاء) أنه وصي أبيه نازعه أخوه محمد علي

وانضم إليه بقية إخوانه. وكل من الحزبين يدعي أنه المقصود بالوصية التي كانت مجملة مبهمة.

إذ يقول فيها: «إن لسان القدم ـ يعني نفسه ـ يبشر أهل العالم بظهور الاسم الأعظم الذي أخذ عهده بين الأمم، إنه نفسي ومطلع ذاتي ومشرق أمري وسماء موهبتي وأصل أمري من توجه إليه فقد توجه إلى وجهي، واستضاء من أنوار جمالي، واعترف بوحدانيتي، وأقر بفردانيتي» وهو يعد هذه الوصية المنحرفة لوحاً من ألواحه يعنونها بعنوان:

«باسمه المشرق من أفق الاقتدار».

البهائية في عهد عباس ـ عبد البهاء ـ :

كان عباس أشد مكراً من أبيه، وأعرق في الخبث والدهاء ولذلك ضم إلى ضلالات أبيه ضلالات أخرى، وأخذ يتزلف إلى كل أعداء الإسلام في الأرض فقرر بنوة عيسى عليه السلام لله عز وجل وأعلن إيمانه بألوهية المسيح وصلبه مما قد نفاه الله عز وجل وقامت الأدلة العقلية والبراهين النقلية على بطلانه ومع ذلك يقول في «مفاوضات عبد البهاء» ص ١٠٢: «ولما أشرقت كلمة الله من أوج الجلال بحكمه الحق المتعال في عالم الجسد اعتدى عليها في الجسد إذ وقعت في أيدي اليهود أسيرة لكل ظلوم وجهول وانتهى الأمر بالصلب» ثم يتمادى هذا الضال فيزعم أن المسيح موجود قبل الكائنات من حيث الذات والصفات فيقول في نفس الصفحة: «إذاً فحقيقة المسيح التي هي كلمة الله لا شك أنها من حيث الذات والصفات والمجد مقدمة على الكائنات».

ثم يزداد في تقرير مذهبه هذا فيقول في ص ١٠٤: «يعني ليست الحقيقة المسيحية من سلالة آدم بل هي وليدة روح القدس». ويقول في «مكاتيب عبد البهاء» ص ١٣٠ «وفي كور المسيح الأب والابن والواسطة روح القدس».

وكما حاول أن يتزلف للصليبية بإثبات الصلب فقد حاول كذلك أن يدعي أن البهائي يمكن أن يجمع بين جميع الديانات ولو كانت متناقضة فهو يقول في «خطابات عبد البهاء» ص ٩٩: «إعلم أن الملكوت ليس خاصاً بجمعية مخصوصة، فإنك يمكن أن تكون بهائياً مسيحياً، وبهائياً ماسونياً، وبهائياً يهودياً وبهائياً مسلماً». عبد البهاء وتلاميذه يدعون إلى التجمع الصهيوني.

أخذ عبد البهاء يحقق الغرض الذي من أجله أسست البهائية. وهي تغيير دين الإسلام والعمل على إنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين وفي ذلك يقول في: «مفاوضات عبد البهاء» ص ٥٩: «وفي زمان ذلك الغصن الممتاز وفي تلك الدورة سيجتمع بنو إسرائيل في الأرض المقدسة، وتكون أمة اليهود التي تفرقت في الشرق والغرب والجنوب والشمال مجتمعة».

ثم يقول: «فانظروا الآن تأتي طوائف اليهود إلى الأرض المقدسة ويمتلكون الأراضي والقرى ويسكنون فيها، ويزدادون تدريجياً إلى أن تصير فلسطين جميعاً وطناً لهم» وقد ذكر صاحب دائرة معارف القرن الرابع عشر (العشرين) في الجزء الثاني ص ٣٧٧.. أن بعض دعاة البهائية فسر الفقرة الثانية من الإصحاح الثالث والثلاثين من سفر التثنية التي تقول: «جاء الرب من سينا وأشرق من ساعير وتلألأ من جبل فاران».

فقال: «فهذه الآية المباركة تدل دلالة واضحة أن بين يدي الساعة وقدام مجيء القيامة لا بد من أن يتجلى الله على الخلق أربع مرات ويظهر أربع ظهورات، حتى يكمل بني إسرائيل وينتهي أمرهم إلى الرب الجليل، فيجمع شتيتهم من أقصى البلاد ويدفع عنهم كل العباد، ويسكنهم في الأرض المقدسة، ويرجع موازينهم القديمة»..

البهائية بعد عبد البهاء عباس:

استمر عبد البهاء في نشر ضلالاته وافتراءات أبيه حتى أهلكه الله في

يوم الاثنين السادس من ربيع الأول سنة ١٣٤٠هـ الموافق ٨ نوفمبر ١٩٢١م عن ثمان وسبعين سنة بعد أن عهد إلى المدعو «شوقي» ابن بنته «ضيائية» نكاية في أخيه «محمد علي» الذي استمر مناوئاً له إلى آخر رمق منه.

أسماء الشهور البهائية:

حاول البهائيون نسخ الإسلام في كل شيء، وقد حملتهم هذه العداوة لدين الله أن حاربوا هديه حتى في عدة الشهور التي أطبق عليها بنو البشر، فاخترعوا لأنفسهم تاريخاً جعلوا مبدأه يوم إعلان دعوة «الباب» وهو الخامس من جمادى الأولى سنة ١٢٦٠هـ.. وقد جعلوا أشهر السنة تسعة عشر شهراً. واخترعوا لهذه الشهور أسماء من وحي خيالهم ولعبهم وهي:

البهاء - الجلال - الجمال - العظمة - النور - الرحمة - الكلمات - الأسماء - الكمال - العزة - المشيئة - العلم - القدر - القول - المسائل - الشرف - السلطان - الملك - العلا..

وهكذا حملتهم مصادفة بلوغ عدد جماعتهم عند إعلان دعوتهم تسعة عشر مرتداً أن جعلوا الشهور تسعة عشر شهراً.

والله المستعان في القضاء على فتنتهم، وإزالتهم من الوجود..

عقائد الباطنية

تدور هذه الفرق في دوائر وهمية لا حصر لها وكلها في الحقيقة ترجع إلى إنكار وجود الله وجحد أسمائه الحسنى وصفاته العُلى وتحريف شرائع النبيين والمرسلين مع التستر بدعوى التشيع لآل البيت حيناً والتجديد حيناً آخر، وتذرعوا بأحاديث يختلقونها أو بنصوص يحرفونها أو يؤولونها وعامة تأويلاتهم مبنية على أُصول المجوس وبعض نظريات الفلاسفة كأرسطو. والكثير منهم يعلن أن خالق السمٰوات والأرض هو علي بن أبي طالب وزعموا أنه إنما ظهر في صورة الناسوت «الناس» ليؤنس خلقه وعبيده ليعرفوه ويعبدوه وقد أنشد بعضهم:

أشهد ألا إلـه إلا حيدرة الأنزع البطين
ولا حجاب عليه إلا محمد الصادق الأمين
ولا طريق إليه إلا سلمان ذو القوة المتين

ويقول بعضهم: إن إبليس الأبالسة هو عمر بن الخطاب مدوخ الفرس والمجوس رضي الله عنه ويليه في رتبة الإبليسية أبو بكر رضي الله عنه ثم عثمان رضي الله عنه، وليس لهم حد محدود فيما يدعونه من الإلحاد والزندقة وتحريف كلام الله وكلام رسوله ﷺ عن مواضعه. ويقول أكثرهم:

إن الصلوات الخمس معرفة أسرارهم أو معرفة خمسة أسماء وهي علي وحسن وحسين ومحسن وفاطمة، والصيام المفروض كتمان أسرارهم أو هو عبارة عن ثلاثين رجلاً أو ثلاثين امرأة يعدونهم في كتبهم، وحج بيت الله الحرام زيارة شيوخهم وبعضهم يفسر: تبت يدا أبي لهب بأن يدي أبي لهب

هما أبو بكر وعمر وقد أباحوا جميعاً الزنا وشرب الخمر وارتكاب الفواحش، كما زعم بعضهم أن الأنبياء طلاب رئاسة فمنهم من أحسن في طلبها ومنهم من أساء في طلبها حتى قتل، ويجعلون موسى ومحمداً صلى الله عليهما وسلم من القسم الأول ويجعلون المسيح ﷺ من القسم الثاني.

وقد ذكر أبو منصور اليماني أحد دعاة الإسماعيلية في كتاب سماه «البيان لمباحث الإخوان» كثيراً من مذاهبهم. وقد ذكر أحد دعاتهم المعاصرين المسمى مصطفى غالب عضو المجمع الملكي الآسيوي وعضو مجمع الدراسات الإسماعيلية وهو من أهالي سلمية بسوريا في تقديمه لهذا الكتاب خلاصة مذهبهم وفيها يقول: «ولما كان الله فوق العالم وهو غير محدود فلا يمكنه أن يخلق العالم مباشرة وإلا اضطر إلى الاتصال به مع أنه بعيد عنه لا ينزل إلى مستواه. ولما كان واحداً فلا يمكن أن يصدر عنه العالم المتعدد، ولا يستطيع أن يخلق الله العالم لأن الخلق عمل أو إنشاء شيء لم يكن وذلك يستدعي التغير في ذات الله والله لا يتغير، لذا فإن هذه النظرية تبين أمرين مختلفين أحدهما أن الله علة العالم وسبب وجوده وثانيهما أن الله فوق العالم ولا يستطيع أن يتصل به ويخلقه».

قال الغزالي في كتابه «فضائح الباطنية»: «وقد اتفقت أقاويل نقلة المقالات من غير تردد أنهم قائلون بإلهين قديمين لا أول لوجودهما من حيث الزمن إلا أن أحدهما علة لوجود الثاني. واسم العلة «السابق» واسم المعلول «التالي» وأن السابق خلق العالم بواسطة التالي لا بنفسه وقد يسمى الأول عقلاً والثاني نفساً».

أما اعتقادهم في النبوات فهو قريب من اعتقاد الفلاسفة وهو أن النبي عبارة عن شخص فاضت عليه من السابق بواسطة التالي قوة قدسية صافية مهيأة لأن تنتقش عند الاتصال بالنفس الكلية بما فيها من الجزئيات كما قد يتفق ذلك لبعض النفوس الزكية في المنام حتى تشاهد من مجاري الأحوال في المستقبل.

ويعتقدون أن جبريل عبارة عن العقل الفائض عليه لا أنه شخص ينتقل من علو إلى سفل.

وأما القرآن عندهم فهو عبارة عن تعبير محمد ﷺ عن المعارف التي فاضت عليه من العقل الذي هو المراد باسم جبريل ويسمى كلام الله مجازاً.

ويزعمون أن هذه القوة القدسية الفائضة على النبي ﷺ لا تستكمل في أول حلولها كما لا تستكمل النطفة في الرحم إلا بعد تسعة أشهر فكمال هذه القوة أن تنتقل من الرسول الناطق إلى الأساس الصامت.

قالوا: ولا بد لكل عصر من إمام معصوم قائم بالحق يرجع إليه في تأويل الظواهر وحل إشكالات القرآن، واتفقوا على أن الإمام يساوي النبي في العصمة.

قالوا والنطقاء سبعة، والأئمة سبعة فإذا انتهى الدور السابع قامت القيامة وابتدأ الدور الجديد.

فالنطقاء السبعة وأسسهم السبعة هم: آدم وأساسه شيث، ونوح وأساسه سام وإبراهيم وأساسه إسماعيل، وموسى وأساسه يوشع، وعيسى وأساسه شمعون الصفا. ومحمد وأساسه علي وإسماعيل يعني الذي تنتسب إليه الإسماعيلية وأساسه قداح الحكمة يعني ميمون اليهودي.

والأئمة السبعة هم: علي والحسين وعلي زين العابدين ومحمد الباقر وجعفر الصادق وإسماعيل بن جعفر ومحمد بن إسماعيل. وأرجعوا أكثر الأمور إلى سبعيات فقالوا: في الجسد سبع قوى فعالة جسمانية وهي الجاذبة والماسكة والهاضمة والدافعة والغازية والنامية والمصورة.

قالوا: وفي الجسد أيضاً سبع قوى روحانية حساسة خفيفة لطيفة وهي الباصرة والسامعة والذائقة والشامة واللامسة والناطقة والعاقلة.

قالوا: ودعائم الإسلام سبع وهي الصلاة والصوم والحج والزكاة والجهاد والولاية والإمامة، ولذلك سمي هؤلاء الإسماعيليون بالسبعية على قول.

ومن قولهم: إن كل نبي لشريعته مدة فإذا انصرمت مدة شريعته بعث الله نبياً آخر ينسخ شريعته، ومدة شريعة كل نبي سبعة أعمار وهو سبعة قرون فأولهم هو النبي الناطق ومعنى الناطق أن شريعته ناسخة لما قبله، ومعنى الصامت أن يكون قائماً على ما أسسه غيره.

قالوا: ولكل نبي سوس والسوس هو الباب إلى علم النبي في حياته والوصي بعد وفاته والإمام لمن هو في زمانه.

وزعموا أن آدم كان سوسه شيئاً وهو الثاني ويسمى من بعده متماً ولاحقاً وإماماً، وإنما كان استتمام دور آدم سبعة لأن استتمام دور العالم العلوي بسبعة من النجوم وهكذا.

إلى أن بعث الله محمداً ﷺ وسوسه علي بن أبي طالب، وقد استتم دوره بجعفر بن محمد فإن الثاني من الأئمة الحسن بن علي والثالث الحسين بن علي والرابع علي بن الحسين والخامس محمد بن علي والسادس جعفر بن محمد، وقد استتموا سبعة معه وصارت شريعته ناسخة وهكذا يدور الأمر أبد الدهر.

وقد اتفقت كلمة الباطنية على إنكار القيامة وأوّلوا القيامة الواردة في النصوص وقالوا: إنها رمز إلى خروج الإمام وقيام قائم الزمان وقالوا أيضاً: إن معنى القيامة انقضاء الدور، وأنكروا بعث الأجساد والجنة والنار، وقالوا: معنى المعاد هو عود كل شيء إلى أصله، وأن الإنسان مركب من عالم روحاني وعالم جسماني، فالجسماني منه جسده وهو مركب من أخلاط أربعة هي الصفراء والسوداء والبلغم والدم، فينحل الجسد ويعود كل خلط إلى طبيعته فالصفراء تصير ناراً والسوداء تصير تراباً والدم يصير هواءً والبلغم يصير ماءً، وهذا هو معاد الجسد، أما الروحاني وهو النفس المدركة العاقلة من الإنسان فإنها إن صفيت بالمواظبة على الطاعات وزكيت بمجانبة الشهوات وغذيب بغذاء العلوم والمعارف المتلقات من الأئمة الهداة اتحدت

عند مفارقة الجسم بالعالم الروحاني الذي منه انفصالها فتسعد بذلك وهذا هو جنتها.

وهذا المذهب مأخوذ ولا شك من مذهب الهندوس والبوذيين، ولذلك أجمع هؤلاء الباطنيون على القول بالتناسخ كالبراهمة والبوذيين.

وقد أباحوا - كأتباع مزدك وزرادشت - كل شيء واستباحوا كل محظور واستحلوا كل محرم، غير أنهم ينكرون أن يكون ذلك مذهبهم، ولكنهم يقررون أنه لا بد من الانقياد للشرع في التكاليف على الوجه الذي يشرحه لهم إمامهم وأن ذلك واجب عليهم إلى أن يصلوا إلى درجة الكمال في العلوم، فإن أحاطوا من جهة الإمام بحقائق الأمور واطلعوا على بواطن هذه الظواهر الشرعية انحلت عنهم هذه القيود وسقطت عنهم التكاليف.

إذ أن المقصود في نظرهم من التكاليف تنبيه القلب لينهض لطلب العلم. فإذا ناله سقط عنه التكليف، وإنما تكليف الجوارح - في نظرهم - يكون في حق من يجري بجهله مجرى الحمر التي لا يمكن رياضتها إلا بالأعمال الشاقة، وأما الأذكياء والمدركون فدرجتهم أرفع من أن يكلفوا، ولذلك سقطت عنهم التكاليف.

وقد أسقط «آغا خان» زعيم طائفة الإسماعيلية عن أتباعه الصلاة والصيام ووضع لهم بدلهما أن يذكروا ثمانية وأربعين إماماً من أئمة الإسماعيلية ثم يسجدوا لآغا خان في نهايتها وعند ذكر اسمه.

عداوة هذه الفرق للإسلام:

وهؤلاء الباطنية لهم - كما قال الشيخ ابن تيمية - في معاداة الإسلام وأهله وقائع مشهورة فإذا كانت لهم مكنة سفكوا دماء المسلمين، فهم حينما صارت لهم دولة في البحرين وحينما تمكنوا من الوصول إلى مكة في موسم الحج قتلوا الحجيج وألقوهم في بئر زمزم واقتلعوا الحجر الأسود، كما مرّ وقتلوا من علماء المسلمين ومشائخهم وأمرائهم وجندهم ما لا يحصى عدده

إلا الله، وهم دائماً مع كل عدو للمسلمين فقد كانوا في أيام الحروب الصليبية أعظم أعوان النصارى فلم يستول الصليبيون على السواحل الشامية إلا من جهتهم .

وما دخل التتار بلاد الإسلام إلا بمعونتهم فقد قال ابن كثير في البداية والنهاية : وهو أن هولاكو لما كان أول بروزه من همدان متوجها إلى العراق أشار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمي على الخليفة بأن يبعث إليه بهدايا سنية ليكون ذلك مداراة له عما يريده من قصد بلادهم فخذل الخليفة عن ذلك دويداره الصغير ايبك وغيره وقالوا : أن الوزير إنما يريده بهذا مصانعة ملك التتار بما يبعثه إليه من الأموال. ثم قال ابن كثير في ترجمته : وكان رافضيا خبيث الطوية أهـ . انظر صفحتي (٢٠٠ و ٢١٢) جزء ١٣ وقد حاول الخليفة الخروج من بغداد بأهل بيته فخذله ابن العلقمي ليهلكه ويفضح أهل بيته.

وأعظم أعيادهم هو اليوم الذي يصيب المسلمين فيه بلاء كيوم استيلاء الصليبيين على سواحل الشام وكيوم استيلاء التتار على بغداد، كما كانت أعظم مصائبهم يوم أن نصر الله المسلمين على التتار ويوم أن دحر الله الصليبيين والعبيديين على يد صلاح الدين كما أنهم حينما تمكنوا من الوصول إلى الحكم في سوريا في هذا العصر كان أهم ما يريدون هو القضاء التام على الإسلام في سوريا وإبادة أهلها المسلمين، كما أنهم كانوا المقدمة في جيش اليهود عند احتلالهم لبعض البلاد العربية من الضفة الغربية من نهر الأردن بفلسطين في الحرب التي دارت في أواخر شهر صفر سنة ١٣٨٧هـ.

حكم الإسلام فيهم :

وقد اتفق علماء الإسلام على أنهم كفار خارجون عن الملة مرتدون عن دين الإسلام كما اتفق العلماء على أنه لا يجوز مناكحتهم ولا أكل ذبائحهم ولا يجوز دفنهم

في مقابر المسلمين ولا يصلى على من مات منهم ولا يجوز استخدامهم في ثغور المسلمين أو حصونهم أو جندهم ما أمكن ذلك .

قال الشيخ ابن تيمية : فإنه من الكبائر وهو بمنزلة من يستخدم الذئاب لرعي الغنم فإنهم من أغش الناس للمسلمين ولولاة أمورهم وهم أحرص الناس على فساد الدولة، وإذا أظهروا التوبة ففي قبولها منهم نزاع بين العلماء، وأشار الشيخ إلى أن جهاد هؤلاء من جنس جهاد المرتدين، والصديق والصحابة رضي الله عنهم بدأوا بجهاد المرتدين قبل جهاد الكفار من أهل الكتاب، ويجب على كل مسلم أن يقوم في ذلك بحسب ما يقدر عليه من الواجب فلا يحل لأحد أن يكتم ما يعرف من أخبارهم بل يفشيها ويظهرها ليعرف الناس حقيقة حالهم، حتى لا تصيب المسلمين شرورهم والله المستعان في القضاء على جميع أعداء الإسلام .





الخوارج






الخوارج

تعريف:

الخوراج في اللغة جمع خارج. أي منفصل.

وفي الاصطلاح: من خلع طاعة الإمام الحق، والمراد هنا، طائفة مخصوصة كان أول خروجهم على أمير المؤمنين الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وللخوارج أسماء شتى:

منها المحكمة، الشراة، الحرورية، النواصب، المارقة.

وإنما أطلق عليهم لفظ المحكمة: لترداهم كلمة لا حكم إلا لله.

وأطلق عليهم لفظ الشراة: لأنهم زعموا أنهم شروا أنفسهم لله عز وجل أي باعوها، إذ الشراة جمع شار كقضاة وقاض.

وأطلق عليهم لفظ الحرورية: لأنهم حينما خرجوا على الخليفة الراشد علي رضي الله عنه انحازوا إلى قرية حروراء «بفتح الحاء والراء الأولى ويقال بضم هذه الراء كذلك، وهي قرية بجوار الكوفة».

وأطلق عليهم لفظ النواصب: لمبالغتهم في نصب العداء لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه فقد غلب هذا اللقب على كل من غالى في بغض أمير المؤمنين أبي السبطين رضي الله عنه.

وإنما أطلق عليهم الناس المارقة: لما فهموه من قول الرسول ﷺ: **«يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية»**.

وقد صارت الخوارج فرقاً شتى، وقد صار لكل فرقة منهم اسم خاص كذلك مثل الأزارقة والإباضية.

فرق الخوارج:

تنقسم الخوارج إلى سبع فرق رئيسية كبرى: **وهي المحكمة الأولى، والأزارقة، والنجدات، والصفرية، والعجاردة، والإباضية، والثعالبة.**

وتتفرع من هذه الفرق فروع شتى ويجمع هذه الفرق كلها الاتفاق على تكفير علي وعثمان رضي الله عنهما وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم ومن صوب الحكمين أو أحدهما ووجوب الخروج على الإمام إذا جار ولو في نظرهم فقط.

المحكمة الأولى

حينما اشتد وطيس الحرب في صفين بين أتباع الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه وبين أتباع معاوية من أهل الشام ورأى معاوية رضي الله عنه بوادر انهزام جيشه استشار صاحبه عمرو بن العاص رضي الله عنه في حيلة تباعد بينه وبين عار الهزيمة فأشار عليه عمرو بن العاص برفع المصاحف على أسنة الرماح والمطالبة بتحكيم كتاب الله بين الفريقين وقد أثرت هذه الحيلة في صفوف جيش الخليفة الراشد رضي الله عنه حتى قال له الأشعث بن قيس الكندي وجماعة معه «وكان أميراً لعثمان على أذربيجان»: القوم يدعوننا إلى كتاب الله وأنت تدعونا إلى السيف فقال لهم علي رضي الله عنه: أنا أعلم بكتاب الله وأشار رضي الله عنه إلى أن هذه حيلة ثم دعا رجاله إلى الاستمرار في القتال فأصر الأشعث ورفاقه على إيقاف الحرب وقالوا لعلي رضي الله عنه لترجعن الأشتر عن قتال المسلمين وإلا فعلنا بك كما فعلنا بعثمان واضطر علي رضي الله عنه إلى أن يأمر الأشتر النخعي بوقف القتال ولكن الأشتر كان قد انهزم أمامَه جيش أهل الشام ولم يبق إلا شرذمة قليلة تقاتل ولذلك ألح على الخليفة في استمرار القتال حتى يقضي على بقيتهم غير أن الأشعث وحزبه لم يدعو فرصة للخليفة ولا للأشتر بل صمموا على ضرورة قبول التحكيم ووقف القتال فاضطر علي رضي الله عنه إلى إلزام الأشتر بوقف القتال فلما وقف القتال وأرادوا التحكيم اختار معاوية رضي الله عنه عمرو بن العاص رضي الله عنه ليكون حكمه. وأراد علي رضي الله عنه اختيار عبد الله بن عباس رضي الله عنهما ليكون حكمه. فأبى عليه الأشعث بن قيس ورفاقه وقالوا هو منك ولا بد أن يكون الحكم أبا موسى الأشعري رضي الله عنه فاضطر علي رضي الله عنه لقبول أبي موسى الأشعري ولما حان موعد التحكيم واجتمع الحكمان في دومة الجندل لم يؤد اجتماعهما للاتفاق على كلمة سواء. بل أعلن عمرو بن العاص رضي الله عنه أنه لا يوافق أبا موسى في خلع علي ومعاوية وترك الأمر شورى وإنما يخلع علياً ويثبت معاوية وحينئذٍ ثارت ثائرة هؤلاء الخوارج على الخليفة الراشد رضي الله عنه وقالوا

لعلي: كيف تحكم الرجال: لا حكم إلا لله. ثم أظهروا الخروج عليه وكفَّروه ولم يدخلوا معه الكوفة بل انحازوا إلى قرية حروراء القريبة من الكوفة. وأمروا عليهم شبث بن ربعي للقتال وعبد الله بن الكواء للصلاة.

وانضم إليهم خلق كثير من هؤلاء المارقين فلما علم علي رضي الله عنه باجتماعهم بحروراء أرسل إليهم عبد الله بن عباس رضي الله عنهما فحاجهم عبد الله بن عباس ولكن محاجته لم تأت بطائل وإن كان رجع بعضهم إلى طاعة الخليفة فخرج إليهم علي رضي الله عنه ودعاهم إلى لزوم الطاعة ونصحهم ودفع شبههم ووضحت حجته عليهم فاستأمن إليه عبد الله بن الكواء اليشكري مع عشرة من الفرسان وانحاز الباقون منهم إلى النهروان وانضم إليهم خلق كثير من أهل البصرة والكوفة بلغوا اثني عشر ألفاً وأمروا عليهم عبد الله بن وهب الراسبي وفي طريقهم إلى النهروان رأوا رجلاً يهرب منهم قد علق في عنقه مصحفاً فأحاطوا به وقالوا له من أنت؟ قال: أنا عبد الله بن خباب بن الأرت صاحب رسول الله ﷺ فقالوا له: حدثنا حديثاً سمعته من أبيك عن رسول الله ﷺ فقال سمعت أبي يقول: قال رسول الله ﷺ: **«ستكون فتنة القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي والماشي خير من الساعي فمن استطاع أن يكون مقتولاً فلا يكونن قاتلاً»**، قالوا: فما تقول في أبي بكر وعمر فأثنى عليهما خيراً قالوا: فما تقول في عثمان وعلي فأثنى عليهما خيراً. قالوا: فما تقول في التحكيم؟ قال: أقول إن علياً أعلم بكتاب الله منكم وأشد توقياً على دينه وأنفذ بصيرة. قالوا: إنك لست تتبع الهدى إنما تتبع الرجال على أسمائهم ثم قالوا له: إن هذا الذي في عنقك أي المصحف ليأمرنا بقتلك. قال رحمه الله: ما أحيا القرآن فأحيوه وما أماته فأميتوه؛ فقربوه إلى شاطىء النهر وذبحه رجل منهم يقال له مسمع بن قدلي وساوموا رجلاً نصرانياً بنخلة له فقال النصراني: هي لكم فقالوا: والله ما كنا نأخذها إلا بثمن فقال: ما أعجب هذا؟ أتقتلون مثل عبد الله بن خباب ولا تقبلون منا نخلة فتواصوا بالنصراني خيراً.

وقال بعضهم لبعض: احفظوا ذمة نبيكم. ثم دخلوا بيت عبد الله بن

خباب فقتلوا ولده ويقروا بطن أم ولده فلما وصلوا النهروان وهي قرى بين واسط وبغداد عسكروا بها وانتهى خبرهم إلى علي رضي الله عنه فسار إليهم في أربعة آلاف من أصحابه وبين يديه عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه وهو يقول:

نسير إذا ما كاع قوم وبلدوا ... برايات صدق كالنسور الخوافق

إلى شر قوم من شراة تحزبوا ... وعادوا إله الناس رب المشارق

طغاة عماة مارقين عن الهدى ... وكل يرى في قوله غير صادق

فلما قرب علي منهم أرسل إليهم أن سلموا قاتل عبد الله بن خباب فقالوا: كلنا قتله ولئن ظفرنا بك قتلناك فتهيأ رضي الله عنه لقتالهم وقبل بدء القتال سألهم ماذا نقمتم مني؟ قالوا: نقمنا منك أنا قاتلنا بين يديك يوم الجمل فلما انهزم أصحاب الجمل أبحت لنا ما وجدنا في معسكرهم من المال ومنعتنا من سبي نسائهم وذراريهم فكيف استحللت مالهم دون النساء والذرية؟ فقال رضي الله عنه: إنما أبحت لكم أموالهم بدلاً عما كانوا أغاروا عليه من بيت مال البصرة قبل قدومي عليهم أما النساء والذرية فلم يقاتلونا وكان لهم حكم الإسلام بحكم دار الإسلام ثم لو أبحت لكم النساء أيكم كان يأخذ عائشة في سهمه فخجل القوم ثم كلما ذكروا شبهة من شبههم الباطلة دحضها رضي الله عنه بالحجة البالغة معتمداً على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وقد أثّر بيانه رضي الله عنه فيهم فقال أكثرهم: صدق الله وأعلن التوبة وانحاز إليه منهم ثمانية آلاف مقاتل وأصر أربعة آلاف على القتال بقيادة عبد الله بن وهب الراسبي ومساعده حرقوص بن زهير البجلي ذي الثدية قبحه الله. وطلب علي رضي الله عنه من التائبين أن يكونوا على منأى من الحرب حتى يفصل الله بينه وبين هؤلاء المارقين ثم نشب القتال بين الفريقين وكانت الدائرة على الخوارج فلم ينج منهم غير تسعة وقتل الباقون.

أما هؤلاء التسعة فقد فر منهم اثنان إلى عُمان، واثنان إلى كرمان

واثنان إلى سجستان، واثنان إلى الجزيرة وواحد إلى تل مور باليمن ولم يقتل من جيش الخليفة الراشد غير تسعة وبعد انتهاء المعركة قال علي رضي الله عنه لأصحابه: اطلبوا ذا الثدية فوجدوه بين القتلى ورأوا تحت يده اليمنى عند الإبط مثل ثدي المرأة، فقال علي رضي الله عنه: صدق الله ورسوله.

«خلاصة مذهب المحكمة الأولى»:

[١] ـ تكفير عثمان وعلي رضي الله عنهما، وأصحاب الجمل والحكمين ومن رضي بالتحكيم أو صوب الحكمين أو أحدهما.

[٢] ـ وجوب عزل الإمام أو قتله إذا جار ولو في نظرهم فقط.

[٣] ـ جواز أن لا يكون إمام للمسلمين أصلاً.

[٤] ـ جواز قتل الأطفال والنساء.

[٥] ـ تكفير مرتكب الذنوب.

[٦] ـ لا تصح مناكحة من لا يكفر علياً وعثمان ومن يرون كفره.

[٧] ـ تكفير جميع مخالفيهم.

الأزارقة

هم أتباع نافع بن الأزرق بن قيس بن نهار الحنفي المكنى بأبي راشد وكان أول خروجه بالبصرة في عهد عبد الله بن الزبير رضي الله عنه وانضم إليهم قطري بن الفجاءة المازني التميمي وعبيد الله بن الماحوز التميمي وعبيدة بن هلال اليشكري وعبد ربه الكبير بائع الرمان وعبد ربه الصغير معلم الصبيان.

وساروا فيمن انضم إليهم من خوارج عمان واليمامة نحو الأهواز وهم أكثر من عشرين ألفاً فاستولوا عليها وقتلوا عاملها ثم استولوا على ما يليها من بلاد فارس وكرمان وقتلوا عمال هذه الجهات وأمروا عليهم نافع بن الأزرق فطلب عبد الله بن الزبير رضي الله عنه من أميره على البصرة عبيد الله بن الحارث النوفلي أو الخزاعي أن يحاربهم فوجه إليهم قائد جيشه مسلم بن عبس أو ابن عنبسة في جيش كثيف فتلاقوا بالأهواز وقتل مسلم قائد جيش البصرة وأكثر أصحابه فأرسل أمير البصرة إليهم جيشاً آخر بقيادة عمر بن عبيد الله بن معمر التميمي أو عثمان بن عبد الله بن معمر التميمي في ألفي فارس فهزموه وقتلوا قائده فأرسل جيشاً آخر بقيادة حارثة بن بدر فهزموه واشتدت شوكتهم عام خمس وستين من الهجرة وخشي أهل البصرة على أنفسهم منهم فأمر عبد الله بن الزبير لحربهم المهلب بن أبي صفرة الأزدي وكان بخراسان وأمره كذلك على الأهواز وما يليها من بلاد فارس وكرمان فذهب المهلب إلى البصرة واختار من جيشها عشرة آلاف مقاتل ثم انضم إليه كذلك من قبيلته الأزديين عشرة آلاف أخرى فسار بهم إلى الأهواز والتقى بالأزارقة فهزمهم عن دولاب الأهواز إلى الأهواز وقتل أميرهم نافع بن

الأزرق في تلك الهزيمة. فبايع الأزارقة بعده عبد الله بن الماحوز التميمي وأمروه عليهم فتبعهم المهلب بالأهواز وقتل أميرهم مع ثلاثمائة من أشهر الأزارقة وانهزمَ الباقون وأمروا عليهم قطري بن الفجاءة المازني التميمي ولقبوه بالخليفة أمير المؤمنين وكان قطري معروفاً بالشجاعة المفرطة ذا منظر مخيف قد يفر مبارزه إذا كشف له عن وجهه، وقطري بن الفجاءة هذا هو الذي يقول:

أقول لها وقد طارت شعاعاً من الأبطال ويحك لا تراع
فصبراً في مجال الموت صبراً فما نيل الخلود بمستطاع
ولا ثوب البقاء بثوب عز فيطوي عن أخ الخنع اليراع
سبيل الموت غاية كل حي فداعيه لأهل الأرض داع
وما للمرء خير في حياة إذا ما عُدّ من سقط المتاع

ولكن المهلب استمر في قتالهم وكانت الحرب سجالاً وقد اتخذ الخوارج «سابور» من أرض فارس دار هجرة لهم.

وكان المهلب يعتني بوجه خاص بالعمل على بذر بذور الشقاق والخلاف في صفوفهم فمرة دس إليهم رجلاً نصرانياً وجعل له جعلاً عظيماً وقال له: إذا رأيت قطرياً فاسجد له فإذا نهاك فقل له إنما سجدت لك فلما ذهب النصراني وفعل ذلك قال له قطري: إنما السجود لله فقال النصراني: إنما سجدت لك فقام رجل من الخوارج وقال لقطري: قد عبدك من دون الله ثم تلا: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾﴾ [الأنبياء: ٩٨]

فقال قطري: إن النصارى قد عبدوا عيسى ابن مريم فما ضر عيسى ذلك شيئاً فقام رجل من الخوارج إلى النصراني فقتله فأنكر قطري عليه ذلك فأنكر قوم من الخوارج على قطري إنكاره على قاتل النصراني.

ومرة أخرى علم المهلب أن حداداً من هؤلاء الأزارقة يصنع نصالاً

مسمومة فيُزمي بها أصحاب المُهلب فوجه رجلاً من أصحابه بكتاب ومعه ألف دينار إلى عسكر قطري بن الفجاءة وقال لصاحبه: الق هذا الكتاب ومعه الدنانير في المعسكر واحذر على نفسك. وكان المهلب قد كتب في الكتاب إلى ذلك الحداد: أما بعد فإن نصالك قد وصلت إليّ وقد وجهت إليك بألف دينار فاقبضها وزدنا من النصال، فلما وصل الكتاب عثر عليه بعض الجنود فرفعوه إلى قطري فدعا الحداد وقال له: ما هذا الكتاب؟ قال: لا أدري قال قطري: وممن هذه الدراهم؟ قال: لا أدري فأمر به فقتل فقام عبد ربه الصغير وأنكر على قطري فقال له قطري للإمام أن يحكم بما يراه صالحاً وليس للرعية أن تعترض عليه.

ولم تلبث الأهواء والاختلافات أن فرقت رجال قطري ففارقه عبد ربه الكبير في سبعة آلاف، وفارقه عبد ربه الصغير في أربعة آلاف وفارقه عبيدة بن هلال اليشكري وانحاز إلى قومس وبقي قطري في بضعة عشر ألف رجل في أرض فارس فقاتله المهلب حتى هزمه إلى أرض كرمان ثم قاتله بكرمان حتى هزمه إلى الري وقاتل عبد ربه الكبير فقتله وبعث بابنه يزيد بن المهلب إلى عبد ربه الصغير فقضي عليه وعلى أصحابه، ولما ولي الحجاج العراق وجه جيشاً بقيادة سفيان بن الأبيرد الكلبي إلى قطري بن الفجاءة، وكان قد انحاز من الري إلى طبرستان فقتلوه بها وأنفذوا برأسه إلى الحجاج ثم توجه سفيان بن الأبيرد إلى عبيدة بن هلال اليشكري بقومس فحاصره في حصنها ثم قتله، وقتل أتباعه وبذلك كفى الله المؤمنين شر الأزارقة.

هذا وقد أجمع المؤرخون على أن الأزارقة كانوا أشد فرق الخوارج جرأة وأعظمهم شجاعة وأقواهم شكيمة وشوكة.

خلاصة مذهب الأزارقة:

[١] ـ الحكم على مخالفيهم من هذه الأمة بأنهم مشركون وكانت المحكمة الأولى تقول هم كفار لا مشركون.

[٢] ـ القعود عن الهجرة إليهم شرك وإن كان القاعد على رأيهم.

[٣] ـ يجب امتحان من قصدهم مهاجراً وطريقة امتحانهم أن يقرب إليه أسير من مخالفيهم ليقتله فإن قتله وإلا اعتبروه منافقاً وقتلوه.

[٤] ـ استباحوا قتل نساء مخالفيهم وأطفالهم بدعوى أنهم مشركون.

[٥] ـ قطعوا بأن أطفال مخالفيهم مخلدون في النار.

[٦] ـ اعتبار دار مخالفيهم دار كفر.

[٧] ـ إسقاط الرجم عن الزاني المحصن.

[٨] ـ إسقاط حد القذف عمن قذف رجلاً محصناً.

[٩] ـ تجويزهم أن يكون الأنبياء كفاراً قبل البعثة وأن الأنبياء قد يكفرون بعد البعثة.

[١٠] ـ مرتكب الكبيرة كافر خارج الملة.

[١١] ـ يقولون لا تباح دماء أهل الذمة الذين مع مخالفيهم بدعوى أنهم بذلك يحفظون ذمة النبي عليه الصلاة والسلام.

[١٢] ـ يكون قطع يد السارق من المنكب.

[١٣] ـ ذهب أكثرهم إلى وجوب الصلاة والصوم على الحائض في مدة حيضها وذهب بعضهم إلى أن الحائض تقضي الصلاة كما تقضي الصوم.

[١٤] ـ تحريم التقية في القول والعمل.

[١٥] ـ ثم هم يزعمون أن علياً رضي الله عنه هو الذي نزل فيه قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُۥ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ [البقرة: ٢٠٤] إلى قوله: ﴿ٱلْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥].

[١٦] ـ يزعمون أن عبد الرحمٰن بن ملجم الخارجي الذي قتل علياً رضي الله عنه، هو الذي نزل فيه قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ﴾ [البقرة: ٢٠٧] الآية.

النجدات

هم أتباع نجدة بن عامر بن عبد الله بن ساد بن المفرج الحنفي.

كان قد اجتمع هو ونافع بن الأزرق الحنفي وعبد الله بن أباض التميمي وعبد الله بن الصفار السعدي وعطية بن الأسود الحنفي وأبو طالوت أحد رجال بني بكر بن وائل وأبو فديك عبد الله بن ثور بن قيس بن ثعلبة وعبيدة بن هلال اليشكري في رجال من الخوارج حينما علموا أن جيوش أهل الشام قد حاصرت عبد الله بن الزبير بمكة وقرروا أن يذهبوا إلى مكة لحمايتها من جيوش أهل الشام ونصرة عبد الله بن الزبير إن وافقهم على مذهبهم، فلما وصلوا مكة أظهر عبد الله بن الزبير بشاشة لهم ففرحوا وظنوا أنه على مذهبهم.

وبعد انسحاب جيوش الأمويين من مكة أرادوا اختبار عبد الله بن الزبير لمعرفة حقيقة رأيه فيهم، فسألوه عن رأيه في الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأثنى عليهما خيراً، فقالوا له: أصبت، ثم قالوا له: هذا عثمان بن عفان الذي فعل وفعل حتى قام إليه رجال فقتلوه فنحن لقتلته أولياء ومن عثمان وأوليائه براء، فما تقول أنت يا ابن الزبير؟ فقال لهم رضي الله عنه: والله ما أعلم مكان أحد من خلق الله اليوم أعلم بابن عفان وأمره مني كنت معه حينما نقموا عليه واستعتبوه فلم يدع شيئاً إلا أعتبهم فتفرقوا ثم رجعوا إليه بكتاب يزعمون أنه يأمر فيه بقتلهم، فقال لهم عثمان رضي الله عنه: ما كتبته فإن شئتم فهاتوا بينتكم فإن لم تكن لكم بينة حلفت لكم فوالله ما جاؤوا ببينة ولا استحلفوه ثم وثبوا عليه فقتلوه، وإني أشهدكم ومن حضرني إني ولي لابن عفان وعدو لأعدائه، فبرىء الله منكم فتفرقوا عنه.

فسار نافع بن الأزرق وعبد الله بن الصفار السعدي وعبد الله بن أباض التميمي ورجال منهم إلى البصرة وصار أبو طالوت ورجال منهم إلى اليمامة ثم خرج نافع بن الأزرق بالبصرة كما قدمنا عند حديثنا عن الأزارقة، وخرج أبو طالوت باليمامة. أما نجدة بن عامر فيذكر بعض الرواة أنه ممن انصرف مع أبي طالوت إلى اليمامة وشايعه حتى استولى عليها. ثم رأى خوارج اليمامة عام ٦٦هـ أن نجدة خير لهم من أبي طالوت فخلعوا أبا طالوت وبايعوا نجدة وسموه أمير المؤمنين، ونجدة وقتئذٍ ابن ثلاثين سنة وبايعه أبو طالوت كذلك.

ثم غزا نجدة أهل ذي المجاز وقتلهم قتلاً ذريعاً ثم رجع إلى اليمامة ومنها إلى البحرين والتقى ببني عبد القيس في القطيف وقتلهم قتلاً ذريعاً وسبى من قدر عليه منهم، وأقام نجدة بالبحرين مدة.

وقد صار من أتباعه أبو فديك وعطية بن الأسود اللذان قدما من البصرة بعد مفارقتهما نافع بن الأزرق بسبب ما أحدث من الآراء. وقيل بل كان أبو فديك وعطية ممن صحب أبا طالوت إلى اليمامة من مكة ولم يذهبا إلى البصرة مع نافع بن الأزرق.

ثم بعث نجدة جيشاً إلى عُمان وأمر عليهم عطية بن الأسود الحنفي فاستولى عطية على عُمان ثم رجع واستخلف عليها بعض أصحابه، فقام أهل عمان وقتلوا عامل الخوارج عليها، ثم خرج عطية على نجدة وذهب إلى عمان ليستحوذ عليها فعجز عن استردادها فذهب إلى كرمان واستولى عليها وأقام بكرمان حتى داهمته جيوش المهلب بن أبي صفرة ففر من كرمان إلى سجستان وأقام فيها وضرب بها دراهم سماها «العطوية» ثم لحقته جيوش المهلب ففر إلى السند فلقيته خيول المهلب هناك فقتلته، وأتباعه يسمون العطوية، وكان خروج عطية على نجدة لأمور نقمها عليه:

[١] ـ منها: أن نجدة بعث سرية إلى البحر وسرية إلى البر فأعطى سرية البحر أكثر من سرية البر.

[٢] ـ **ومنها**: أن عبد الملك بن مروان كاتب نجدة يدعوه إلى طاعته ويوليه اليمامة، فقال له عطية: ما كتب إليك إلا لعلمه بأنك مداهن في الدين.

[٣] ـ **ومنها**: أن رجلاً كان يشرب الخمر في جيش نجدة فطلب منه عطية أن يقيم عليه الحد فأبى بدعوى أن هذا الرجل عرف بشدة نكايته في الأعداء فلم يستمع نجدة لرأي عطية فخالفه وخرج عليه، ثم إن نجدة سار إلى صنعاء فبايعه أهلها واستولى على صدقاتها ثم بعث أبا فديك إلى حضرموت فجبى صدقاتها ثم حج نجدة عام ٦٨ أو ٦٩هـ في جماعة كثيرة من أصحابه وصالح بن الزبير على أن يصلي كل واحد منهما بأصحابه ويقف بهم في عرفة ولا يتعرض بعضهم لبعض بالأذى.

فلما انتهى الحج أراد نجدة أن يغزو المدينة المنورة فتأهب أهلها لقتاله وجاءت الأخبار إلى نجدة بأن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قد تقلد سيفه واستعد لقتال نجدة وأصحابه فرجع نجدة إلى جهة الطائف فبايعه أهلها، ثم توجه إلى البحرين وقطع ما كان يرسل من البحرين واليمامة من الميرة عن أهل الحرمين حتى كاتبه عبد الله بن العباس رضي الله عنهما في ذلك فردها لهم. واستمر تسلط نجدة على هذه الأقاليم حتى اختلف عليه أصحابه لأمور نقموها عليه:

[١] ـ **منها**: أنه سبا بالطائف بنتاً لعبد الله بن عمرو بن عثمان بن عفان رضي الله عنه كانت عند أقارب لها فكتب إليه عبد الملك بن مروان أو عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما فأطلقها فغضب أصحابه لذلك وكانوا قد طلبوا منه أن يبيعها عليهم فأبى وقال: قد أعتقت نصيبي منها، فقالوا: نتزوجها، قال: هي أملك لنفسها ولا بد من رضاها ثم دخل عندها وخرج وقال: أبت أن تتزوج ثم أرسلها إلى المدينة فظنوا أنه إنما فعل ذلك خوفاً من عبد الملك أو ابن الزبير.

[٢] ـ **ومنها**: أنه بعث سرية إلى القطيف فأغاروا عليها وسبوا منها

نساء وذرية فقوّموا النساء على أنفسهم قبل القسمة ووطئوهن وقالوا: إن كانت قيمتهن فوق حقنا من الغنيمة غرمنا الزيادة، فلما رجعوا إلى نجدة خطأهم وعذرهم وذكر لهم أن أُصول الدين لا يعذر فيها بالجهل، أما الحلال والحرام فيعذر بالجهالة فيه، وأفتاهم كذلك بأن من خاف العذاب على المجتهد المخطىء قبل قيام الحجة عليه فهو كافر، فكانت هذه الأحداث وتلك الفتاوى سبباً لثورة كثير من أتباعه عليه.

فقام فريق منهم وخلعوا نجدة وبايعوا أبا فديك فاستخفى نجدة في قرية من قرى هجر فأرسل أبو فديك في طلبه فلما عثروا عليه قتلوه عام تسع وستين أو اثنين وسبعين هـ.

غير أن جماعة من أتباعه نقموا على أبي فديك وعذروا نجدة فصار أصحاب أبي فديك يقال لهم «الفديكية» والذين استمروا على الولاء لنجدة يقال لهم «النجدات العاذرية»، غير أنه لم يعرف للفديكية ولا للعطوية مذهب خاص سوى إنكارهم على نجدة ومفارقتهم له.

وقد أقام أبو فديك بالبحرين حتى داهمته جيوش عبد الملك بن مروان المرسلة من البصرة والكوفة وبعد قتال شديد قتلوا أبا فديك عام ثلاث وسبعين ٧٣هـ واستباحوا عسكره وحصروا أصحابه بالمشقر ثم قتلوا أكثرهم وأسروا عدداً كبيراً منهم وأراح الله المسلمين من شرهم.

خلاصة مذهب النجدات:

[١] ـ إكفار من أكفر القعدة منهم عن الهجرة إليهم.

[٢] ـ إكفار من قال بإمامة نافع بن الأزرق.

[٣] ـ موالاة أصحاب الحدود من موافقيهم.

[٤] ـ أنه لا يدخل جهنم أحد من موافقيهم وإن عذبوا فبغير نار جهنم.

[٥] ـ ذكر عبد القاهر البغدادي أن نجدة أسقط حد الخمر وذكر الشهرستاني أنه غلظ على الناس في حد الخمر تغليظاً شديداً.

[٦] ـ الإصرار على الصغيرة شرك وارتكاب الزنا والسرقة وشرب الخمر دون إصرار ليس بشرك إذا كان المرتكب من موافقيهم.

[٧] ـ من خاف العذاب على المجتهد المخطىء قبل قيام الحجة عليه فهو كافر.

[٨] ـ الناس ليسوا بحاجة إلى إمام قط ـ (وهو قول المحكمة).

[٩] ـ تباح دماء أهل الذمة الذين يساكنون مخالفيهم كما تباح دماء من يعيشون في كنفهم من المخالفين لهم.

[١٠] ـ جواز التقية وهي أن يظهر الخارجي أمام مخالفيه أنه معهم حقناً لدمه ويخفي عقيدته إلى وقت يتمكن من الانقضاض على مخالفيه.

الصفرية

أكثر الناس ينطقون الصفرية بضم الصاد وقد اختلف أهل العلم في سبب تسميتهم بالصفرية فقيل: إنما سموا صفرية لأنهم أتباع عبد الله بن الصفار السعدي أحد الجماعة الذين كانوا مع نافع بن الأزرق حينما توجه من مكة مفارقاً عبد الله بن الزبير إلى البصرة ثم لم يخرج مع نافع حينما خرج بالبصرة بل قعد فيها فكان من الذين كفرهم نافع بن الأزرق لقعودهم عنه ولذلك غلب على طائفة الصفرية اسم القعدة أو القعد كذلك.

وقيل: إنما سموا صفرية لأنهم اتبعوا زياد بن الأصفر.

وقيل: بل سموا صفرية بسبب صفرة ألوانهم من شدة العبادة والسهر.

وبعض الناس يقول الصفرية بكسر الصاد وكأنهم أرادوا بذلك أنهم خالون من الدين من قول القائل أصفر فلان إذا افتقر أو قولك أصفرتُ البيت إذا أخليته ومنه قولهم فلان صفر اليدين أي لا شيء معه، والمختار عندنا أنهم سموا الصفرية بضم الصاد إشارة إلى صفرة وجوههم من أثر ما تكلفوه من العبادة إذ أن هذا الوصف هو الغالب عليهم كما أن الناس اتفقوا على أن أعظم أئمتهم هو أبو بلال مرداس بن أدية وقد قتل مرداس هذا عام ٦١هـ كما سيأتي.

فهذا الوصف ثابت لهم قبل تزعم عبد الله بن الصفار أو زياد بن الأصفر، ولا سيما أن هذين الرجلين لم يقوما بشأن خطير في هذا الفريق من الخوارج.

ومما يؤيد اختيارنا هذا قول ابن عاصم الليثي وكان من الخوارج ثم صار مرجئاً:

فـارقـت نـجـدة والـذيـن تـزرقـوا　　وابـن الـزبـيـر وشـيـعـة الـكـذاب
والـصـفـر الآذان الـذيـن تـخـيـروا　　ديـنـاً بـلا ثـقـة ولا بـكـتـاب

والظاهر أن الصفرية أطلقت كذلك على جملة الخوارج الذين يوالون عبد الله بن وهب الراسبي رئيس المحكمة الأولى بالنهروان وقد اتفق الناس على أن أول خارج من الصفرية هو أبو بلال مرداس بن أدية أو ابن حدير الحنظلي التميمي، وكان عامة الخوارج يرونه إماماً وفي ذلك يقول عبيدة بن هلال اليشكري الذي تقدم ذكره في الأزارقة:

أنـا ابـن خـيـر قـومـه هـلال　　شـيـخ عـلـى ديـن أبـي بـلال
وذاك ديـنـي آخـر الـلـيـالي

وكان أبو بلال هذا قد شهد صفين مع علي رضي الله عنه ثم خرج عليه وشهد يوم النهروان مع الخوارج وكان أحد الذين نجوا من القتل يوم ذاك وكان كثير من الخوارج يعظمونه لكثرة اجتهاده وعبادته، وكان يرى التقية.

غير أنه لما رأى اجتهاد عبيد الله بن زياد في طلب الخوارج وقتلهم والتمثيل ببعض نسائهم عزم على الخروج فقال لأصحابه: أنه والله ما يسعنا المقام بين هؤلاء الظالمين تجري علينا أحكامهم مجانبين للعدل مفارقين للفضل والله أن الصبر على هذا لعظيم وإن تجريد السيف وإخافة السبيل لعظيم ولكنا ننتبذ عنهم ولا نجرد سيفاً ولا نقاتل إلا من قاتلنا، فاجتمع إليه أصحابه زهاء ثلاثين رجلاً وولوه عليهم، فلما مضى بأصحابه لقيه عبد الله بن رباح الأنصاري وكان له صديقاً فقال له: أين تريد؟ قال: أريد أن أهرب بديني وأديان أصحابي من أحكام هؤلاء الجورة، فقال له: أعلم بكم أحد؟ قال: لا، قال: فارجع، قال: أو تخاف عليّ مكروهاً؟ قال: نعم وأن يؤتى بك، قال: فلا تخف فإني لا أجرد سيفاً ولا أخيف أحداً ولا أقاتل إلا من قاتلني.

ثم مضى حتى نزل «آسك» وهي ما بين رامهرمز وأرجان فمر به مال

يحمل لابن زياد وقد قارب أصحاب مرداس أربعين رجلاً فحط ذلك المال وأخذ منه عطاءه وأعطيات أصحابه ورد الباقي على الرسل، وقال: قولوا: لصاحبكم إنما قبضنا أعطياتنا، فقال له بعض أصحابه فعلام ندع الباقي؟ فقال مرداس إنهم يقسمون هذا الفيء كما يقيمون الصلاة فلا نقاتلهم وبينما أبو بلال في آسك إذ مر به جيش لابن زياد يريد خراسان فصاح أبو بلال في هذا الجيش: أقاصدون لقتالنا أنتم فقال بعض الجيش: لا إنما نريد خراسان فقال لهم أبو بلال: أبلغوا من لقيتم أنا لم نخرج لنفسد في الأرض ولا لنروع أحداً ولكن هرباً من الظلم ولسنا نقاتل إلا من يقاتلنا ولا نأخذ من الفيء إلا أعطياتنا ثم قال للجيش: أندب أحد لقتالنا قالوا: نعم أسلم بن زرعة الكلابي قال: فمتى ترونه يصل إلينا قالوا: يوم كذا وكذا، فقال أبو بلال: حسبنا الله ونعم الوكيل، وقد جهز عبيد الله بن زياد أسلم في ألفين لقتال أبي بلال وجماعته، فلما وصل أسلم إليهم قال له أبو بلال: اتق الله يا أسلم فإنا لا نريد قتالاً فما الذي تريد منا؟ قال: أريد أن أردكم إلى ابن زياد، قال مرداس: إذاً يقتلنا، قال: وإن قتلكم، قال: تشركه في دمائنا، قال أسلم: إني أدين بأنه محق وأنكم مبطلون. فحمل الخوارج وهم أربعون رجلاً على جيش أسلم فهزموهم هزيمة منكرة وكاد أسلم يقع أسيراً في يد رجل من الخوارج يقال له معبد، فلما رجع إلى ابن زياد غضب عليه غضباً شديداً ولامه، وكان أسلم يقول لأن يذمني ابن زياد حياً أحب إليّ من أن يمدحني ميتاً. وقد أصاب أسلم خزي شديد عند أهل البصرة حتى كان إذا خرج إلى السوق أو مر به صبيان صاحوا به: أبو بلال وراءك وربما صاحوا به يا معبد خذه.

وفي قصة أسلم يقول عيسى بن فاتك الثعلبي الخطي:

أألفاً مؤمن فيما زعمتم ويهزمهم بآسك أربعونا

ثم أرسل إليهم ابن زياد بعد ذلك عباد بن علقمة المازني التميمي الذي يقال له: عباد بن أخضر في أربعة آلاف فالتقى بهم في يوم جمعة فناداه أبو بلال اخرج إليّ يا عباد فإني أريد أن أحاورك فخرج إليه فقال له مرداس: ما

الذين تبغي قال: أن آخذ بأقفائكم فأردكم إلى الأمير عبد الله بن زياد فقال مرداس: أو غير ذلك؟ قال: وما هو؟ قال مرداس: أن ترجع فإنا لا نخيف سبيلاً ولا نذعر مسلماً ولا نحارب إلا من حاربنا ولا نجبي إلا ما حمينا فقال عباد الأمر ما قلت لك.

ثم نشب الحرب بين الفريقين فلم يزل القوم يجتلدون حتى جاء وقت الصلاة فناداهم أبو بلال يا قوم هذا وقت الصلاة فوادعونا حتى نصلي وتصلوا قالوا لك ذلك فتوقف القتال ورمى القوم أسلحتهم وعمدوا للصلاة فلما ركع الخوارج وسجدوا مال عليهم عباد ومن معه فقتلوهم جميعاً عام واحد وستين وأخذوا رأس أبي بلال فرثاه عمران بن حطان إذ يقول:

يا عين بكي لمرداس ومصرعه ... يا رب مرداس اجعلني كمرداس
تركتني هائماً أبكي لمرزئتي ... في منزل موحش من بعد إيناس
أنكرت بعدك من قد كنت أعرفه ... ما الناس بعدك يا مرداس بالناس

هذا وقد نسب إلى المعتزلة أنهم يوالون مرداساً هذا ويزعمون أنه خرج منكراً جور السلطان داعياً إلى الحق. كما أنه قد نسب إلى الشيعة أنهم كذلك يوالونه بدعوى أنه كتب للحسين رضي الله عنه يتبرأ من الخروج ويقول للحسين رضي الله عنه أنا على دين أبيك. وبعد موت مرداس اختار الصفرية لرآستهم عمران بن حطان وهو عمران بن حطان بن ظبيان السدوسي مفتي الخوارج الأكبر وشاعرهم الفذ. كان قبل أن يفتن بهذه الفتنة مشتهراً بطلب العلم معتبراً من أهل الحديث وقد أدرك عدداً من الصحابة وروي عن عائشة رضي الله عنها حديثاً في القضاة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بالقاضي العدل فلا يزال به ما يرى من شدة الحساب حتى يتمنى أنه لم يقضِ بين اثنين في تمرة»**، وممن خرج له البخاري رحمه الله في الأدب المفرد.

وقد فتن بمذهب الخوارج بسبب امرأة خارجية من قبيلته رغب في زواجها ليردها إلى الحق فأضلته وذهبت به إلى الباطل فأغرق في مذهب الشراة وكان أصله من البصرة فلما خيف من شره طلبه الحجاج بن يوسف

فهرب إلى الشام مختفياً ونزل على روح بن زنباع الجذامي أمير فلسطين ووزير عبد الملك بن مروان مدعياً أنه أزدي. فلما أحس به عبد الملك هرب إلى عُمان وكان إذا نزل حياً من أحياء العرب انتسب لهم نسباً قريباً وفي ذلك يقول:

يوماً يمان إذا لاقيت ذا يمن ... وإن لقيت معدياً فعدنان

ولم يفتأ عمران بن حطان ينتقل من حي إلى حي يبث سمومه في أشكال شتى من أنواع الدعاية حتى مات مختفياً عام ٨٤هـ.

ومن خبيث شعره قوله يمدح عبد الرحمٰن بن ملجم الخارجي قاتل علي رضي الله عنه:

يا ضربة من منيب ما أراد بها ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

إني لأذكره يوماً فأحسبه ... أو في البرية عند الله ميزانا

لله در المرادي الذي سفكت ... كفاه مهجة شر الخلق إنسانا

هذا وفي أثناء قيادة عمران بن حطان للخوارج ظهر من الصفرية رجال حملوا السلاح وأشعلوا نار الحرب، ومن أشهر هؤلاء صالح بن مسرح التميمي وشبيب بن يزيد بن نعيم بن قيس بن عمرو بن الصلت الشيباني، أما صالح فقد كان شديد التنسك مصفر الوجه من شدة العبادة وكان أكثر مقامه بدارا وأرض الموصل والجزيرة ولا يفتأ يأتي أصحابه من الصفرية فيقرأ لهم القرآن والفقه ويقص عليهم كما كان ينتاب الكوفة فيقيم بها الشهر والشهرين ليتعهد الصفرية بها فيذكرهم ويعلمهم. وقد حج عام خمس وسبعين ومعه شبيب بن يزيد الشيباني في جماعة من أصحابه وكان من المصادفة أن حج عبد الملك بن مروان في هذه السنة، فهمّ شبيب أن يفتك به، فلما علم بذلك عبد الملك ورجع من الحج كتب إلى الحجاج بن يوسف يأمره بطلب هؤلاء الخوارج فلما علم صالح بن مسرح أن الحجاج يطلبه ترك الكوفة.

وأظهر الخروج عام ست وسبعين فدعا أصحابه لمحاربة الظالمين وجهاد المخالفين فأجابوه وقد كان شبيب يكاتب صالحاً قبل ذلك ملحاً عليه

في الخروج، ولذلك لما علم بخروج صالح دعا من حوله من الخوارج وقدم بهم على صالح بن مسرح بدارا فأغاروا على دواب لمحمد بن مروان وكان أمير الجزيرة فأخذوا هذه الدواب فأرسل إليهم محمد بن مروان جيشاً مكوناً من ألف فارس بقيادة عدي بن عدي الكندي، وكان عدد الخوارج حوالي مائة مقاتل، فهزموا جيش عدي فأرسل إليهم محمد بن مروان جيشاً آخر مكوناً من ثلاثة آلاف فارس فاقتتلوا ثم انهزم الخوارج وخرجوا فارين من أرض الموصل والجزيرة، فأرسل إليهم الحجاج بن يوسف جيشاً مكوناً من ثلاثة آلاف مقاتل بقيادة الحارث بن عميرة فالتقى الجمعان على باب حصن جلولا وبعد قتال مرير قتل صالح بن مسرح فبايع الخوارج شبيباً، ثم دارت المعارك بين شبيب وجيوش الحجاج حتى هزم شبيب للحجاج عشرين جيشاً في أقل من سنتين، ثم كبس الكوفة ليلاً في ألف من الخوارج ومعه غزالة، وهي امرأته أو أمه في مائتين من نساء الخوارج تقلدن السيوف فاختفى الحجاج في داره فجاء شبيب إلى باب القصر فضربه بعموده ضربة تركت فيه أثراً عظيماً ثم قال:

عبد دعي من ثمود أصله لا بل يقال أبو أبيهم يقدم

ودخل الخوراج المسجد الجامع فقتلوا حراسه وقامت غزالة على المنبر وخطبت وصلى شبيب الصبح بأصحابه في مسجد الكوفة وقرأ في الركعتين سورة البقرة وآل عمران.

فلما اجتمع للحجاج أربعة آلاف من جنده في أول النهار اقتتل الفريقان في سوق الكوفة حتى انهزم شبيب إلى الأنبار فوجه الحجاج إليه سفيان بن الأبيرد الكلبي في ثلاثة آلاف فنزل سفيان على شط الدجيل وركب شبيب جسر الدجيل ليعبر إلى سفيان فقطع سفيان حبال الجسر وفوقه شبيب فاستدار الجسر وغرق شبيب مع فرسه فناداه أصحابه وهو يغرق: أغرقاً يا أمير المؤمنين فقال: ذلك تقدير العزيز العليم.

فبايع الخوارج غزالة ولكن سفيان الكلبي تمكن من عبور دجيل وقتل

أكثر الخوارج كما قتل غزالة وأسر من بقي من جماعة شبيب وأخرج جثة شبيب من الماء وأخذ رأسه وبعث بها مع الأسرى للحجاج: فلما وقف الأسرى بين يدي الحجاج أمر بقتل رجل منهم فقال للحجاج: اسمع مني بيتين أختم بهما عملي فأذن له فأنشد يقول:

أبرا إلى الله من عمرو وشيعته ومن علي ومن أصحاب صفين

ومن معاوية الطاغي وشيعته لا بارك الله في القوم الملاعين

فلما انتهى أمر الحجاج بقتله وقتل طائفة منهم ثم أطلق الباقين.

خلاصة مذهب الصفرية:

[١] ـ لم يكفروا القعدة عن القتال إذا كانوا من موافقيهم في الدين والاعتقاد.

[٢] ـ لا يحكمون بقتل أطفال مخالفيهم ونسائهم خلافاً للأزارقة.

[٣] ـ لا يرون كفر أطفال مخالفيهم ولا تخليدهم في النار خلافاً للأزارقة.

[٤] ـ يرون التقية جائزة في القول دون العمل.

[٥] ـ ونقل عن بعضهم أنهم جوزوا تزويج المسلمات من كفار قومهم في دار التقية دون دار العلانية.

[٦] ـ وقالت طائفة منهم: إنه متى بعث نبي ففي حين بعثته في ذلك الوقت من ذلك اليوم يلزم جميع أهل المشرق وأهل المغرب الإيمان به وإن لم يعرفوا جميع ما جاء به من الشرائع ومن مات منهم قبل أن يبلغه شيء من ذلك مات كافراً.

[٧] ـ وقد اختلفوا في أصحاب الذنوب على ثلاثة أقوال:

(أ) فمنهم من قال هم كفار مشركون كما قالت الأزارقة.

(ب) ومنهم من قال: إن الكفر يقع على صاحب الذنب إذا حده السلطان كما قال بعض البيهسية كما سيجيء.

(ج) ومنهم من قال: إن ما كان عليه من الأعمال حد لا يسمى صاحبه إلا بالاسم الموضوع له: كزان وسارق وقاتل عمد وليس صاحبه كافراً ولا مشركاً.

وكل ذنب ليس فيه حد كترك الصلاة والصوم فهو كفر وصاحبه كافر وإن المذنب سواء كان ذنبه يوجب حداً أو لا حد فيه يفقد اسم الإيمان في الوجهين جميعاً وإن كان لا يطلق عليه اسم الكفر في الوجه الأول. فهو خارج من الإيمان غير داخل في الكفر.

[٨] ـ وقالت الشبيبة منهم بجواز تولي المرأة الإمامة العظمى كما فعلوا بغزالة بعد مصرع شبيب.

هذا وقد يُفهم من بعض أقوال أئمتهم أنهم لا يرون إباحة دماء المسلمين المخالفين ولا يرون أن دار المخالفين دار حرب ولا يرون قتال أحد غير معسكر السلطان والله أعلم.

العجاردة

هم أتباع عبد الكريم بن عجرد وأكثر الناس على أن عبد الكريم هذا كان مع عطية بن الأسود الحنفي بسجستان فهو في أصل مذهبه من النجدات ونسبه ابن حزم إلى الصفرية وأشار الشهرستاني إلى أنه كان في الأصل من أصحاب أبي بيهس الآتي ذكره إن شاء الله تعالى.

والظاهر أن أصل عبد الكريم بن عجرد من أهل فارس كما أن جل أتباعه من الفرس كذلك.

ولما شاع ذكر عبد الكريم هذا ودخل في فتنته كثير من الناس أخذه خالد بن عبد الله البجلي القسري وحبسه وكان أتباعه قبل حبسه على مذهب واحد هو أنه تجب البراءة من الأطفال (حتى ولو كانوا أبناءهم قبل البلوغ). فإذا بلغوا وجب دعوتهم إلى الإسلام أو وصفهم له وأن أموال مخالفيهم لا تكون مباحة لهم إلا بعد قتلهم لأصحابهم وأن الهجرة إليهم ليست بفرض وإنما هي فضيلة ما دام القاعد عن الهجرة معروفاً بالديانة. ويكفرون بالكبائر.

فلما حبس عبد الكريم افترق أتباعه على ثمان فرق موالية لعبد الكريم وإن كان بعضها يكفر بعضاً وهذه الفرق هي:

[١] ــ **الخازمية**: أتباع رجل يقال له خازم بن علي وهم أكثر عجاردة سجستان وقد عرفوا بموافقة أهل السنة في عموم قدر الله تعالى ومشيئته كما عُرف عنهم أنهم يزعمون أن ولاية الله تعالى للعبد أو عداوته له إنما تكون على حسب ما يعلمه الله تعالى من مصير العبد فمن علم الله تعالى موته على الإيمان تولاه حتى ولو عاش أكثر عمره كافراً فهو ولي لله حتى في وقت

كفره، ومن علم الله موته على الكفر عاداه حتى ولو عاش أكثر عمره مؤمناً فهو عدو لله حتى في مدة إيمانه.

وعلى هذه القاعدة يلزمهم القول بأن علياً وطلحة والزبير وعثمان بن عفان من أولياء الله لأنهم ممن بايع رسول الله ﷺ يوم الحديبية وقد قال الله تعالى في أهل الحديبية: ﴿۞ لَّقَدْ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] وبهذا يظهر تناقضهم وفساد اعتقادهم.

[٢] ـ الشعيبية: ولم يعرف لهم مذهب خاص. وقولهم في القدر كقول الخازمية وإنما صاروا فرقة من العجاردة بسبب نزاع بين شعيب زعيمهم وبين رجل من العجاردة يقال له: ميمون بن خالد أو ابن عمران فقد كان لميمون على شعيب مال فلما تقاضاه قال له شعيب: أعطيكه إن شاء الله فقال له ميمون: قد شاء الله ذلك في هذه الساعة فقال شعيب: لو كان قد شاء ذلك لم أستطع إلا أن أعطيكه.

فقال ميمون: قد أمرك الله بذلك وكل ما أمر به فقد شاءه وما لم يشأ لم يأمر به.

فانحاز جماعة من العجاردة لشعيب وانحاز جماعة أخرى منهم إلى ميمون واستفتوا في ذلك إمامهم عبد الكريم بن عجرد وهو في السجن إذ أرسلوا إليه كتاباً بما جرى بين شعيب وميمون وطلبوا منه إفتاءهم في ذلك فأجابهم إجابة مبهمة مختصرة إذ قال: إنما نقول: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن ولا نلحق بالله سوءاً.

وقد وصل الجواب إليهم بعد موت ابن عجرد فادعى ميمون أن ابن عجرد قال بقوله لأنه قال: لا نلحق بالله سوءاً وادعى شعيب أن ابن عجرد قال بقوله. لأنه قال: ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن وقد مال أكثر الخازمية إلى قول شعيب فصار له بهذا فرقة من فرق العجاردة.

[٣] ـ الميمونية: هم أتباع ميمون بن خالد أو ابن عمران الذي ذكرنا

قصته مع شعيب العجردي وقد ذكر الشيخ أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين أن بعض الناس يقول: إن عبد الكريم بن عجرد وميمون هذا رجل من أهل بلخ.

وقد ذهب ميمون إلى إنكار عموم قدر الله ومشيئته وزعم أنه ليس لله تعالى في أعمال العباد مشيئة وليست أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وأن الله تعالى يريد الخير دون الشر، وقال: إن أطفال المشركين في الجنة وأن أصحاب الذنوب كفار وأنه يجب قتال السلطان ومن رضي بحكمه، وأما غير السلطان فلا يجب قتاله إلا إذا أغار عليهم أو طعن في دينهم أو كان دليلاً للسلطان. كما ذهب ميمون إلى جواز نكاح بنات البنين وبنات البنات وبنات أولاد الأخوة وبنات أولاد الأخوات وقال: إنما ذكر الله في تحريم النساء بالنسب الأمهات والبنات والأخوات والعمات والخالات وبنات الأخ وبنات الأخت ولم يذكر بنات البنين ولا بنات البنات ولا بنات أولاد الإخوة ولا بنات أولاد الأخوات، كما أنكر الميمونية أن تكون سورة يوسف من القرآن الكريم وقد نسب هذا القول إلى عبد الكريم بن عجرد.

[٤] ـ **الخلفية**: هم أتباع رجل يقال له خلف كان من جملة الميمونية ثم خالفهم في القدر والمشيئة فأثبت عموم قدر الله تعالى ومشيئته وتبعه على ذلك خوراج كرمان ومكران.

والخلفية لا يرون القتال إلا مع إمام منهم وزعموا كذلك أن أطفال مخالفيهم في النار.

[٥] ـ **المعلومية**: وهم فرقة من الخازمية زعمت أن من لم يعرف الله تعالى بجميع أسمائه يكون جاهلاً بالله والجاهل بالله تعالى كافر كما زعموا أن أفعال العباد غير مخلوقة لله تعالى وهم يرون إمامة من كان على مذهبهم وخرج بسيفه على أعدائه ولا يرون تكفير القعدة.

[٦] ـ **المجهولية**: وهم فرقة كذلك من الخازمية وقولهم كقول

المعلومية إلا أنهم قالوا من عرف الله تعالى ببعض أسمائه فقد عرفه ومن عرفه كان مؤمناً ويرون أن المعلومية كفار.

[٧] ـ **الصلتية**: وقد اختلف فيمن ينسبون إليه فقيل: ينسبون إلى رجل من العجاردة يقال له الصلت بن أبي الصلت، وقيل: عثمان بن أبي الصلت وقيل: اسمه صلت بن عثمان، وقال الشهرستاني فيهم: أصحاب عثمان بن أبي الصلت والصلت بن أبي الصلت.

والذي تفردت به هذه الفرقة أنهم قالوا إذا استجاب لنا الرجل وأسلم توليناه وبرئنا من أطفاله لأنه ليس لهم إسلام حتى يبلغوا ثم يدخلوا في الإسلام.

[٨] ـ **الحمزية**: هم أتباع حمزة بن أكرك أو ابن أدرك العجردي القدري الذي ظهر في خلافة الرشيد عام ١٧٩ من الهجرة.

وقد وافق القدرية المعتزلة في سائر بدعهم ولم يخالف هؤلاء المعتزلة عن الحق إلا في القول بأن أطفال المشركين في النار ولذلك كفره عامة العجاردة والمعتزلة وقد كان حمزة أخطر خارجي في العجاردة فقد أفسد في سجستان وقوهستان وكرمان ومكران وهزم الجيوش الكثيرة وكان إذا قاتل قوماً وهزمهم أمر بإحراق أموالهم وعقر دوابهم وقتل من أسره منهم.

وقد كان يقاتل كل من لم يوافقه فقاتل الخليفة من العجاردة وأفنى منهم خلقاً كثيراً كما قاتل الخازمية من العجاردة والبيهسية من الخوارج وكاد يستأصل شأفتهم وقد دامت فتنته بخراسان وكرمان وقهستان وسجستان إلى آخر أيام الرشيد وصدر من خلافة المأمون.

ولما تمكن المأمون من الخلافة كتب إلى حمزة كتاباً يدعوه فيه إلى طاعته فما ازداد إلا عناداً وإفساداً فوجه إليه المأمون جيشاً بقيادة طاهر بن الحسين فدارت بينهما حروب قتل فيها أكثر من ثلاثين ألفاً من الفريقين وأكثر القتلى من أتباع حمزة.

ثم انهزم الحمزية إلى كرمان. ولما استدعى المأمون طاهر بن الحسين من خراسان طمع حمزة في خراسان وتوجه إليها بجيشه فخرج إليهم عبد الرحمٰن النيسابوري في عشرين ألف مقاتل من غزاة نيسابور ونواحيها فهزموا الحمزية وقتلوا عدداً كبيراً منهم وفر حمزة جريحاً ومات متأثراً بجراحه في هزيمته وأراح الله المسلمين من شره.

خلاصة مذهب العجاردة:

[١] ـ وجوب دعوة الطفل إذا بلغ والبراءة منه أو التوقف فيه قبل ذلك ومنهم من حكم بأن أطفال المشركين في الجنة ومنهم من قال في النار.

[٢] ـ يتولون القعدة (من الخوارج إذا عرفوا بالتقوى) ـ من موافقيهم في الدين والمذهب.

[٣] ـ لا يرون وجوب الهجرة إليهم بل يستحبونها.

[٤] ـ وعامتهم (في الأصل) لا يستبيحون أموال المخالف إلا إذا قتلوه.

[٥] ـ وأكثرهم يقول بعموم قدر الله تعالى ومشيئته.

[٦] ـ والميمونية منهم لا يختلف الناس في كفرهم لأنهم أنكروا ما علم من دين الإسلام بالضرورة كإنكارهم سورة يوسف وإباحتهم بنات أولاد الابن وبنات أولاد البنت وبنات أولاد الإخوة وبنات أولاد الأخوات.

الثعالبة

هم أتباع ثعلبة بن مشكان أو ابن عامر وقد كان مع عبد الكريم بن عجرد حتى اختلفا في شأن الطفل فكفر كل واحد منهما صاحبه.

وسبب اختلافهما: أن رجلاً من العجاردة خطب إلى ثعلبة ابنته فقال له ثعلبة: بين مهرها فأرسل الخاطب امرأة إلى أم البنت يسألها هل بلغت البنت ووصفت الإسلام. وقال: إن كانت قد بلغت ووصفت الإسلام لم يبال كم مهرها فقالت أمها: هي مسلمة بلغت أم لم تبلغ. فأخبر الرجل عبد الكريم بن عجرد وثعلبة بن مشكان بقول زوجة ثعلبة. وكان عبد الكريم قد اختار البراءة من الأطفال قبل البلوغ فأنكر قول المرأة. أما ثعلبة فقد أيد قول زوجته، وقال: نحن على ولايتهم صغاراً وكباراً حتى نرى منهم إنكاراً للحق ورضي بالجور. ويرىء من عبد الكريم بن عجرد ويرىء منه كذلك عبد الكريم وصار لكل رجل منهما طائفة.

وقد استمرت الثعالبة مدة حياة ثعلبة دون أن تفترق فلما مات اختلفوا وصاروا ست فرق:

[١] ـ فرقة أقامت على إمامة ثعلبة بعد موته ولم تعترف لأحد بعده بالإمامة ولم يعرف لها قول مخالف لما كان عليه ثعلبة.

[٢] ـ المعبدية: وهم أتباع رجل من الثعالبة يقال له معبد بن عبد الرحمٰن ومما تفردوا به دون جمهور الثعالبة أنهم رأوا أخذ زكاة عبيدهم إذا استغنوا وإعطاءهم من زكاتهم إذا افتقروا وقد برئوا ممن لم يقل بذلك من الثعالبة كما برئت منهم الثعالبة كذلك.

[٣] ـ الأخنسية: وهم أتباع رجل من الثعالبة يقال له الأخنس بن

قيس وقد انفردوا عن سائر الثعالبة بأنهم يتوقفون عن جميع من في دار التقية من منتحلي الإسلام وأهل القبلة فلا يحكمون عليهم بكفر ولا بإسلام إلا من عرفوا منه إيماناً فيتولونه عليه أو عرفوا منه كفراً فيتبرؤون منه لأجله ويحرمون الاغتيال والقتل في السر ويحرمون كذلك أن يبدأوا أحداً من مخالفيهم من أهل القبلة بالقتال حتى يدعى، إلا من عرفوه بعينه وقد برئت منهم الثعالبة كما برؤوا من الثعالبة كذلك.

[٤] ـ **الرشيدية**: هم أتباع رجل من الثعالبة يقال له رشيد الطوسي وقد خالفوا جمهور الثعالبة فقالوا فيما سقي بالعيون والأنهار الجارية والجداول نصف العشر، وزعموا أن العشر الكامل لا يجب إلا فيما سقته السماء فقط، وزعم بعض أهل العلم أن هذا القول إنما كان من جمهور الثعالبة حتى أخبرهم زياد بن عبد الرحمٰن الشيباني أحد فقهاء الثعالبة والمكنى بأبي خالد بأن العشر يجب فيما سقي بالأنهار كذلك، فرجع جمهور الثعالبة إلى قول زياد بن عبد الرحمٰن ولم يستمر على القول الأول سوى رشيد الطوسي وطائفة معه وقد تبرأ رشيد ممن خالفه من الثعالبة كما تبرأت الثعالبة من الرشيدية ولقبوهم بالعشرية.

[٥] ـ **المكرمية**: هم أتباع أبي مكرم بن عبد الله العجلي أو مكرم بن عبد الله العجلي وقد زعموا أن تارك الصلاة كافر لا لأجل ترك الصلاة لكن لجهله بالله عز وجل، كما زعموا أن من أتى كبيرة فقد جهل بالله سبحانه. وبتلك الجهالة كفر لا بارتكابه المعصية وقد برؤوا ممن خالفهم من الثعالبة كما كفرتهم الثعالبة بذلك أيضاً.

[٦] ـ **الشيبانية**: هم أتباع شيبان بن سلمة الحروري الذي ظهر بنواحي خراسان وكان من الثعالبة وقد التف حوله جماعة من الخوارج وصاروا يسلمون عليه بالخلافة وقد ظهر أبو مسلم الخراساني داعية العباسيين عام تسع وعشرين ومائة وشيبان على هذه الحالة وكان نائب خراسان نصر بن سيار الليثي الذي ولاه هشام بن عبد الملك بن مروان، وقد هبّ نصر

لمحاربة أبي مسلم الخراساني ولم يكره شيبان خروج أبي مسلم لأنه يحارب نصر بن سيار كما فرح بذلك ابن الكرماني الخارج على نصر بن سيار ولكن نصر بن سيار صار يطلب موادعة شيبان ويقول له: إما أن تكون معي على حرب أبي مسلم أو تكف عني حتى أتفرغ لحربه فأجابه شيبان لذلك ولما بلغ أبا مسلم ما فعل شيبان بعث إلى ابن الكرماني يعلمه بموقف شيبان فلام ابن الكرماني شيبان على ذلك ولكن نصر بن سيار استطاع أن يؤثر على ابن الكرماني نفسه فانضم إليه لمحاربة أبي مسلم ولكن لم تلبث الحرب أن نشبت بين نصر بن سيار وابن الكرماني وجعل أبو مسلم يكاتب كلاً من الفريقين سراً ويستميلهم إليه وفي يوم الخميس التاسع من جمادى الأولى عام ثلاثين ومائة دخل أبو مسلم «مرو» ونزل دار الإمارة بها وانتزعها من يد نصر ابن سيار بمساعدة علي بن الكرماني ولما هرب نصر بقي شيبان في وجه أبي مسلم فوجه أبو مسلم إليه جيشاً بقيادة بسام بن إبراهيم مولى بني ليث فسار إليه فاقتتلا وهزمه بسام وقتله ولاحق الشيبانية أسراً وتقتيلاً وأراح الله المسلمين من شرهم. وكان شيبان جهمياً جبرياً يرى رأي جهم بن صفوان في الجبر كما ثبت عنه كذلك أنه كان يشبه الله تعالى بخلقه، وقد كفره لذلك ولغيره جمهور الثعالبة.

خلاصة مذهب الثعالبة:

[١] ـ موالاة الأطفال صغاراً وكباراً حتى يعرف منهم خلاف الإسلام.

[٢] ـ أخذ زكاة عبيدهم إذا استغنوا وإعطاء العبيد من الزكاة إذا افتقروا. وهذا للمعبدية.

[٣] ـ التوقف في حق منتحلي الإسلام وأهل القبلة من مخالفيهم فلا يحكم عليهم بكفر ولا بإسلام إلا إذا علم منهم ذلك بيقين. وهذا للأخنسية.

[٤] ـ تحريم الاغتيال. وهذا للأخنسية أيضاً.

[٥] ـ وجوب دعوة المخالف قبل قتاله وتحريم قتله قبل أن يبدأ هو بالقتال. وهذا للأخنسية كذلك.

[٦] ـ جعل نصف العشر هو زكاة الخارج بماء الأنهار والجداول والعيون. وهذا للرشيدية.

[٧] ـ الزعم بأن تارك الصلاة كافر لا لأجل ترك الصلاة بل لجهله بالله عز وجل. وهذا للمكرمية.

[٨] ـ موافقة الشيبانية منهم للجهم بن صفوان في قوله بالجبر وتشبيههم الله تعالى بخلقه.

الإباضية

هم أتباع عبد الله بن إباض المري التميمي الذي صحب نافع بن الأزرق إلى البصرة حينما تفرق الخوارج عن عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما.

ولما خرج نافع من البصرة إلى الأهواز قعد عن الخروج فلم يخرج، ولما استفحل أمر نافع بالأهواز واشتدت بها شوكته كتب إلى من بالبصرة من قعدة الخوارج يدعوهم إلى الهجرة إليه ويكفر من لم يخرج إليه منهم. فلما ورد كتابه على عبد الله بن إباض ومن معه من الخوارج وفيهم يومئذٍ أبو بيهس الهيصم بن جابر الضُبَعي وعبد الله بن الصفار السعدي قرأ عبد الله بن إباض الكتاب عليهم وقال: ـ قاتله الله ـ: لو كان القوم مشركين كان أصوب الناس رأياً ولكنه قد كذب فيما يقول، فالقوم برؤوا من الشرك ولكنهم كفار بالنعم لتمسكهم بالكتاب وإقرارهم بالرسول ولذلك فالإقامة فيهم حل طلق فقام إليه عبد الله بن الصفار السعدي أو أبو بيهس الهيصم بن جابر الضبعي وقال له: برىء الله منك فقد قصرت فكفرت وبرىء الله من نافع فقد غلا فكفر، فالتف حول عبد الله بن إباض جماعة من الخوارج وتفرق عنه آخرون، وكان من رأي عبد الله بن إباض أن مخالفيهم من أهل القبلة ليسوا مؤمنين ولا مشركين ولكنهم كفار، ومع ذلك لم يحرم مناكحتهم ومواريثهم وشهاداتهم ولو على أوليائهم بدعوى أن معهم دعوة المسلمين تجمعهم كما لم يبح دمائهم في السر وإن استباحها في العلانية، ورأى عبد الله بن إباض كذلك أن أموال مخالفيهم لا تحل لهم عند الغنيمة إذا كانت ذهباً أو فضة. أما الخيل والسلاح وما يكون من آلة القتال فإنه حلال.

وقد عرف عن ابن إباض أنه كان ألين الخوارج قولاً وأحبهم للمسالمة ولذلك استمر موادعاً إلى عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أُمية ثم خرج حينئذٍ فأرسل إليه مروان جيشاً بقيادة عبد الله بن محمد بن عطية فقاتله بتبالة وقضى عليه.

ومن الغريب أن ابن حزم رحمه الله ذكر أن عبد الله بن إباض رجع عن قوله إلى قول الثعالبة ثم قال: فبرىء منه أصحابه فهم لا يعرفونه اليوم ثم قال: ولقد سألنا من هو مقدمهم في علمهم ومذهبهم عنه فما عرفه أحد منهم.

هذا وقد افترقت الإباضية بعد عبد الله بن إباض إلى سبع فرق إذا اعتبرنا البيهسية فرقة منهم وعلى ست فرق إن لم نعتبر البيهسية فرقة من فرق الإباضية.

[١] ـ **اليزيدية**: هم أتباع يزيد بن أبي أنيسة أو ابن أنيسة الإباضي.

كان يسكن البصرة ثم انتقل إلى جور من أرض فارس، وقد انفرد اليزيدية عن الإباضية وعن جميع أهل القبلة فزعموا أن الله عز وجل سيبعث رسولاً من العجم وينزل عليه كتاباً من السماء يكتب في السماء وينزل عليه جملة واحدة وينسخ بشرعه شريعة محمد عليه الصلاة والسلام.

وزعموا أن أتباع ذلك النبي المنتظر هم الصابئون المذكورون في القرآن في نحو قول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَـٰرَىٰ وَٱلصَّـٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَـٰلِحًا﴾ [البقرة: ٦٢]. وليسوا بصابئة حران وواسط.

كما زعم اليزيدية أن من يقول لا إله إلا الله محمد رسول الله إلى العرب يكون مؤمناً وإن لم يدخل في دين محمد عليه الصلاة والسلام، وعلى قولهم هذا يجب أن تعتبر العيسوية والموشكانية من اليهود مؤمنين لاعتقادهم أن محمداً رسول الله إلى العرب لا إلى أهل الكتاب.

وقد أجمع أهل القبلة على أن اليزيدية كفار خارجون عن ملة الإسلام.

[٢] ـ **الحفصية**: وهم أتباع حفص بن أبي المقدام.

ومما تفردوا به عن الإباضية أنهم زعموا أن الفارق بين الإيمان والشرك هو معرفة الله تعالى وحدها فمن عرف الله تعالى ثم كفر بما سواه من رسول أو قيامة أو جنة أو نار أو عمل بجميع الخبائث من قتل الأنفس واستباحة الفروج والأموال والخمور فهو بريء من الشرك وإن سمي كافراً. وإنما المشرك فقط هو من جهل بالله وأنكره.

ثم قد أثر عنهم كذلك أنهم يقولون: إن الإيمان بالكتب والرسل متصل بتوحيد الله فمن كفر بذلك فقد أشرك بالله. وهذا غاية في التناقض.

ثم زعموا قبحهم الله أن علياً رضي الله عنه هو الحيران المذكور في قوله تعالى: ﴿كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا﴾ [الأنعام: ٧١]. وأن أصحابه الذين يدعونه إلى الهدى هم أهل النهروان من الخوارج.

كما زعموا قبحهم الله أن علياً رضي الله عنه هو الذي نزل فيه قول الله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَى مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾﴾ [البقرة: ٢٠٤] إلى قوله: ﴿الْفَسَادَ ﴿٢٠٥﴾﴾ [البقرة: ٢٠٥]. وأن عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي الذي قتل علياً هو المعني بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٠٧].

[٣] ـ **الحارثية**: هم أتباع الحارث بن يزيد الإباضي.

وقد وافقوا القدرية المعتزلة فقالوا بعدم عموم مشيئة الله تعالى وقدره. كما قالوا بصحة وجود طاعات لا يراد الله بها على معنى أن الإنسان قد يكون مطيعاً لله تعالى إذا فعل شيئاً أمره الله به. وإن لم يقصد وجه الله بذلك الفعل. وهذا مذهب أبي الهذيل العلاف المعتزلي وقد زعم هؤلاء أنه ليس

في الأرض زنديق أو كافر إلا وهو مطيع لله تعالى في أشياء كثيرة وإن عصاه من جهة كفره. وعللوا ذلك بأن أوامر الله تعالى بإزائها زواجر فلو كان من لا يعرفه ترك جميع أوامره وجب أن يكون قد صار إلى جميع زواجره ولو كان كذلك لكان الدهري يهودياً ونصرانياً ومجوسياً وعلى أديان سائر الكفرة. وإذا صار المجوسي تاركاً لكل كفر سوى المجوسية علمنا أنه عاص بمجوسيته التي قد نهى عنها ومطيع لله عز وجل بترك ما تركه من أنواع الكفر لأنه مأمور بتركها وهذا التعليل ظاهر الفساد فإن الفعل لا يكون طاعة إلا إذا قصد به امتثال أمر الله عز وجل أو اجتناب نهيه سبحانه وتعالى.

[٤] ـ **الإبراهيمية**: هم أتباع رجل من الإباضية يقال له إبراهيم.

وليس لهؤلاء مذهب تفردوا به، وإنما صاروا فرقة من فرق الإباضية بسبب أن إبراهيم هذا دعا جماعة من الإباضية إلى داره وطلب من جارية له إباضية أن تقدم له شيئاً فتباطأت فحلف ليبيعها في الأعراب «وهم المخالفون للإباضية». فقال له رجل منهم اسمه ميمون «وليس ميموناً العجردي»: كيف تبيع جارية مؤمنة إلى الكفرة؟ فقال إبراهيم: إن الله تعالى قد أحل البيع. وقد مضى أصحابنا (يعني مشائخ الإباضية) وهم يستحلون ذلك، فتبرأ منه ميمون وانضاف إلى كل واحد منهم جماعة يؤيدونه، وتوقف آخرون في ذلك وكتبوا إلى كبار مشائخهم يستفتونهم في هذه القضية فأجابوهم بأن بيعها حلال وتجب استتابة ميمون وكذلك الواقفة.

[٥] ـ **الميمونية**: هم أتباع ميمون الإباضي الذي برىء من إبراهيم لما أفتى بجواز بيع الإماء من مخالفيهم وقد أفاد الشيخ أبو الحسن الأشعري في مقالات الإسلاميين أن ميموناً هذا رجع عن رأيه وتاب من مخالفته إبراهيم.

[٦] ـ **الواقفية**: هم الذين توقفوا فلم يكفروا إبراهيم ولم يوافقوه كما أنهم كذلك لم يكفروا ميموناً ولم يوافقوه ولم يقولوا في هذه المسألة بتحليل ولا بتحريم.

[٧] ـ **البيهسية**: هم أتباع أبي بيهس الهيصم بن جابر الضبعي الذي

خرج أيام الوليد فطلبه الحجاج فهرب إلى المدينة المنورة فطلبه والي المدينة عثمان بن حيان المري فظفر به وحبسه حتى جاءه كتاب من الوليد يطلب منه أن يقطع يديه ورجليه ثم يقتله ففعل به ذلك.

وكان أبو بيهس قد انفرد عن سائر الإباضية في قصة بيع الإماء من المخالفين فصوب رأي إبراهيم وأفتى بكفره لأنه لم يتبرأ من الواقفية وكفر ميموناً لتحريمه بيع الأمة من المخالفين وكفر الواقفية لأنهم لم يعرفوا كفر ميمون وصواب إبراهيم.

وكان من مذهبه كذلك أن الإيمان هو العلم بالقلب دون القول والعمل.

ويحكى عنه أنه كان يقول: الإيمان هو الإقرار والعلم وليس هو أحد الأمرين دون الآخر.

وقد صارت البيهسية كذلك فرقاً فمنهم من قال: إن من واقع ذنباً لا نشهد عليه بالكفر حتى يرفع إلى الوالي ويحده ولا نسميه قبل الرفع إلى الوالي مؤمناً ولا كافراً وكل ما ليس فيه حد فهو مغفور.

ومنهم من قال إن الإمام إذا كفر كفرت رعيته.

ومنهم طائفة يقال لها العوفية وهم فرقتان. واحدة منهما تقول: من رجع من دار هجرتهم إلى حال القعود نبرأ منهم.

والأخرى تقول: لا نبرأ منهم لأنهم رجعوا إلى أمر كان حلالاً لهم.

هذا وبعض أهل العلم يعتبر البيهسية فرقة رئيسية من فرق الخوارج وليست تابعة للإباضية، ولعلك تذكر أنه لما ورد كتاب نافع بن الأزرق إلى عبد الله بن إباض ومن معه بالبصرة أن عبد الله بن إباض لما بيَّن موقفه من مسائل نافع قال له أبو بيهس أو عبد الله بن الصفار: قاتلك الله لقد غلا نافع فكفر وقصرت فكفرت ثم قال: وأنا أقول: إن أعداءنا كأعداء رسول الله ﷺ تحل لنا الإقامة فيهم كما فعل المسلمون في إقامتهم بمكة وأحكام المشركين تجري فيها وأزعم أن مناكحتهم ومواريثهم تجوز لأنهم منافقون يظهرون

الإسلام وأن حكمهم عند الله حكم المشركين. فإن صح أن هذا القائل هو أبو بيهس كان ذلك ولا شك مؤيداً لمن يرى أن البيهسية فرقة مستقلة مع أن موقفهم من الإبراهيمية (لا يساعد على صحة هذا الإسناد).

خلاصة مذهب الإباضية:

[١] ـ يعتبرون دار مخالفيهم من أهل القبلة دار توحيد إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي عندهم.

[٢] ـ وقد اختلفوا في النفاق على ثلاثة أقوال ـ فقالت طائفة منهم هو براءة من الشرك والإيمان جميعاً لقول الله تعالى: ﴿مُّذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَٰلِكَ لَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ وَلَآ إِلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ [النساء: ١٤٣].

وقالت طائفة منهم: إن النفاق قاصر على من سماهم الله عز وجل به عند نزول القرآن فلا نزيل اسم النفاق من موضعه ولا نسمي به غير من سمى الله عز وجل.

وقالت طائفة منهم: المنافقون أهل توحيد ولكنهم أصحاب كبائر لا يدخلون في الشرك وإن سميناهم كفاراً.

[٣] ـ ومن مذهبهم أن من زنا أو سرق أقيم عليه الحد ثم استتيب فإن تاب وإلا قتل.

[٤] ـ لم يستبيحوا قتل النساء والأطفال.

[٥] ـ أباحوا قتل المشبهة وأتباع مدبرهم وسبي نسائهم وذراريهم بناء على أنهم مرتدون وأن أبا بكر رضي الله عنه فعل هذا بالمرتدين.





الشيعة

الشيعة

الشيعة في اللسان العربي: الأتباع. والأنصار. يقال هؤلاء شيعة فلان أي أتباعه وأنصاره ويقع على الواحد والمثنى والجمع والمذكر والمؤنث. ومن ذلك المعنى قول الله تعالى: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبْرَٰهِيمَ ۝٨٣﴾ [الصافات: ٨٣].

أما في الاصطلاح: فقد اختلف فيه. فقيل هو علم بالغلبة على كل من يتولى علياً وأهل بيته. وهذا التعريف غير سديد فإن أهل السنة يتولون علياً رضي الله عنه وأهل بيته وهم ضد الشيعة.

وقيل بل الشيعة: هم الذين نصروا علياً واعتقدوا إمامته نصاً. وأن خلافة من قبله كانت ظلماً له. وهذا فاسد أيضاً فإن بعض الشيعة يرى صحة إمامة أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ويتوقفون في خلافة عثمان رضي الله عنه. وقيل: بل الشيعة هم الذين فضلوا علياً على عثمان رضي الله عنهما حتى يقال: فلان عثماني وفلان شيعة لعلي. وهذا فاسد أيضاً إذ أنه غير جامع لجميع أفراد الشيعة فإنه لا يشمل مثل كثير عزة إذ يقول:

برئت إلى الإله من ابن أروى ... ومن دين الخوارج أجمعينا

ومن عمر برئت ومن عتيق ... غداة دعي أمير المؤمنينا

والمختار: أن الشيعة اسم لكل من فضل علياً على الخلفاء الراشدين قبله رضي الله عنهم ورأى أن أهل البيت أحق بالخلافة.

وبعض أهل العلم يطلق على هؤلاء جميعاً اسم الرافضة وليس بسديد

فإن هذا الاسم إنما أخذ من قول زيد بن علي لبعض الشيعة: رفضتموني فسموا رافضة وقد كان زيد بن علي في عهد هشام بن عبد الملك بعد تمام القرن الأول من الهجرة.

وبعض الناس يطلق عليهم اسم الزيدية وليس بسديد فإن السبئية والكيسانية كانتا قبل الزيدية بزمن بعيد.

هذا وقد انقسمت الشيعة إلى أربع فرق رئيسية وهي:

[١] ـ السبئية.

[٢] ـ الكيسانية.

[٣] ـ الزيدية.

[٤] ـ الرافضة.

السبئية

هم أتباع عدو الله عبد الله بن سبأ الحميري اليهودي كان من أهل صنعاء وأمه أمة سوداء ولذلك كان يقال له : ابن السوداء .

وقد كان عبد الله بن سبأ هذا من هؤلاء الذين غلت مراجل قلوبهم ببغض الإسلام وأهله وعجزوا عن محاربته ظاهراً بعد أن بسط الإسلام رواقه على أنحاء الجزيرة العربية والعراق والشام ومصر فلم يجد عبد الله فرصة لحرب هذا الدين إلا أن يعلن إسلامه وأن يبطن في قلبه جيوش الحقد والدس والكيد للإسلام والمسلمين وقد اغتنم عبد الله بن سبأ لهذا الغرض الخبيث فرصة سماحة عثمان ذي النورين ﷺ ولين جانبه وإنكار بعض الناس عليه أموراً منها ما زعموا أنه سمح للحكم بن أبي العاص بالعودة إلى المدينة المنورة وقد كان نفاه رسول الله ﷺ عنها .

وأظهر عبد الله بن سبأ إسلامه ولبس مسوح الورع والغيرة على الدين والتفاني في الدفاع عنه وأخذ ينتقل في بلاد المسلمين يؤجج نار الفتنة ضد عثمان ﷺ ويحاول تضليل المسلمين وتشتيت أمرهم ، فبدأ بالمدينة المنورة وكان يتصيد بعض الموالي من الفرس الذين كانوا بالمدينة المنورة من أمثال أبي لؤلؤة المجوسي وكذلك بعض صغار أبناء الصحابة، ولـمّا تفطن له بعض الصحابة هرب إلى العراق ونزل عند حكيم بن جبلة وكان حكيم هذا من قطاع الطريق يسكن بين بلاد الفرس وبلاد العرب في العراق وينتهب من هؤلاء وهؤلاء وكان عبد الله بن عامر بن كريز ابن خال عثمان بن عفان رضي الله عنهما قائد المسلمين في البصرة، فوقف على ابن سبأ وقال له : من أنت؟ قال: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه ثم آمن بمحمد ،فقال له عبد الله بن كريز : ما هذا الكلام الذي يبلغني عنك ،فقال له ابن سبأ : يكذبون عليّ ،فقال له : ارحل من هذه البلاد ، فذهب ابن سبأ إلى الشام وكان فيها معاوية فلم يستقر بها خوفا من معاوية ثم ذهب إلى مصر ونزل بقرية يقال لها النحارية في منتصف الطريق بين الاسكندرية والفسطاط بعيدا عن جيوش المسلمين وأخذ ينشر سمومه حيث وجد فيها الأرض الخصبة الملائمة لبذوره السامة المميتة. ولم يزل بها حتى أوجد جماعة يتمكن بهم من تنفيذ ما يريد .

وكان يوعز إلى أتباعه أن عثمان ﷺ قد اغتصب حق الخلافة من علي ﷺ وأنه لا يجوز الصبر دون نصرة هذا الولي المهضوم . وكان يوصي هؤلاء الأغرار فيقول لهم : انهضوا في هذا الأمر فحركوه وأبدوه بالطعن على أمرائكم وأظهروا الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر لتستميلوا الناس .

وقد أثرت دعوة عدو الله عبد الله بن سبأ هذا في نفوس بعض الناس الذين لم تخالط بشاشة الإيمان قلوبهم فدعوا في السر إلى ما عليه رأيهم وجعلوا يكتبون إلى الأمصار الإسلامية كتباً يملئونها بالطعن في ولاتهم ورميهم بكثير من أنواع الفساد، قال ابن جرير رحمه الله: وهم يريدون غير ما يظهرون ويسرون غير ما يبدون. ولما رأى ابن سبأ أن الفرصة قد سنحت لتنفيذ مخططاته الإجرامية كاتَب الذين هم على شاكلته من أهل العراق وتواعدوا أن يلتقوا هم والمصريون في المدينة المنورة لقتل الخليفة الراشد عثمان بن عفان ﷺ. فتواعدوا في موسم الحج حتى لا يشك فيهم الناس، وادعوا أن عثمان ﷺ ارتكب جرائم منها أخذ الولاية من علي وصي رسول الله وأنه حمى الحمى وآوى الطريد ورفع المنبر عن ما كان عليه في عهد رسول الله حيث جعله خمس درجات بدل ثلاث، وقد رد عليهم عثمان بن عفان ﷺ شبههم حيث صعد على المنبر وقال: ألم يقل رسول الله ﷺ من احتفر بئر رومه فله الجنة، وقد احتفرته بمالي لصالح المسلمين وقد جهزت جيش العسرة، وقال رسول الله ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم، وأما المنبر فقد رفعته ليتمكن الخطيب من إسماع المصلين، وأما الحمى فقد اشتريته من مالي من بني غني لإبل الصدقة، وأما إيواء الطريد فإن الحكم أبا مروان حاول أن ينظر من ثقب بالباب لعورة النبي فنفاه النبي إلى الطائف، وإنما رددته لكبر سنه وتوبته، ولما أحس عثمان ﷺ أنهم عازمون على قتله أرسل إلى على رسالة قال فيها لقد بلغ السيل الزبى وجاوز الحزام الطبين وطمع في من لا يدفع عن نفسه :

فإن كنت مأكولا فكن خير آكل وإلا فأدركني ولما أمزق

وقد تم لهم ما أرادوا واستشهد عثمان ﷺ وتحقق فيه ما أشار إليه رسول الله ﷺ إذ بشره بالجنة على بلوى تصيبه، كما جاء في صحيح البخاري، حدثنا يوسف بن موسى حدثنا

أبو أسامة قال حدثني عثمان بن غياث حدثنا أبو عثمان النهدي عن أبي موسى ﷺ قال: (كنت مع النبي ﷺ في حائط من حيطان المدينة فجاء أبو بكر فقلت له حتى أستأذن رسول الله فقال النبي ﷺ افتح له وبشره بالجنة ففتحت له ثم جاء عمر فقلت له حتى أستأذن رسول الله فقال النبي ﷺ افتح له وبشره بالجنة ففتحت له ثم استفتح عثمان فقلت له حتى أستأذن رسول الله فقال لي افتح له وبشره بالجنة على بلوى تصيبه فأخبرته بما قال رسول الله ﷺ فحمد الله ثم قال الله المستعان).

وقد كانت عائشة ﷺ في الحج ومعها ابن أختها عبد الله ابن الزبير وأبوه وطلحة، وقد علموا أن القتلة توجهوا إلى العراق فأشاروا عليها بالخروج ومحاولة إدراكهم قبل أن يصلوا إلى العراق، فلما علم علي ﷺ خرج ليرد عائشة ومن معها خشية إصابتها بمكروه ولكنه عندما وصل إلى ملتقى طريق القادم من مكة مع طريق القادم من المدينة وجدها قد سبقته ونزلت بالبصرة فاتصل بها علي ﷺ وأخبرها أنه الآن ولي أمر المسلمين وهو المطالب بعقوبة قتلة عثمان، فعزمت عائشة على الرجوع، ففكر عبد الله بن سبأ بحيلة يخرب بها هذا الصلح فأمر بعض أتباعه أنه إذا جاء الليل وحل الظلام يبدأ بعضهم برمي مخيم عائشة ﷺ وبعضهم برمي مخيم علي ﷺ، فيظن أصحاب عائشة أن عليا نقض العهد وكذلك من في مخيم علي أن عائشة نقضت العهد وصارت هناك موقعة الجمل، وقد اختار الناس بعد عثمان ﷺ علي بن أبي طالب ﷺ خليفة للمسلمين وأميراً للمؤمنين وأظهر ابن سبأ سروره بمبايعته وأخذ يسر إلى أصحابه عقائد جديدة فزعم أولاً أن محمداً ﷺ سيرجع إلى الدنيا. وكان يقول: العجب ممن يزعم أن عيسى يرجع، ويكذب بأن محمداً يرجع وقد قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] ومحمد أحق بالرجعة من عيسى. ثم زعم ابن سبأ بعد ذلك: أنه رأى في التوراة أن لكل نبي وصياً وأن علياً رضي الله ﷺ وصي محمد ﷺ. وكما أن محمداً خير الأنبياء فإن علياً ﷺ هو خير الأوصياء؛ ثم يغلو ابن سبأ في علي ﷺ فيزعم أنه نبي ثم يتجاوز ذلك فيزعم أن علياً ﷺ فيه جزء إله أو هو الإله. وقد تبعه على ضلالته هذه بعض غواة الكوفة.

وقد تقدم بعضهم إلى علي ﷺ وقالو له أنت هو. قال علي ﷺ: ومن هو؟ قالوا: أنت الله. فلم يجد علي ﷺ أجدى في عقوبتهم من تأجيج نار وإلقائهم فيها. فإنه حينما سمع ذلك منهم أمر مولاه قنبراً فحفر حفرتين وملأهما ناراً وجيء بمن تحقق لعلي ﷺ أنه على هذا المذهب الخبيث فطرح في هاتين الحفرتين وفي ذلك يقول الشاعر:

لترمي بي الحوادث حيث شاءت إذا لم ترم بي في الحفرتين

وقد أثر عن علي ﷺ أنه قال في ذلك:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أججت ناري ودعوت قنبراً

هذا وقد نقل أن بعضهم لما طرح في النار قال لعلي الآن أيقنا أنك الإله فإنه لا يعذب بالنار إلا الله . وكانت الإشاعات تشيع أن ابن سبأ هو محور هذه الضلالات وقد عزم علي ﷺ على طرحه في النار مع هؤلاء لكن ابن عباس رضي الله عنهما أشار على أمير المؤمنين علي ﷺ أن لا يقتل ابن سبأ مخافة حدوث فتنة أخطر وحتى لا يشمت به أهل الشام فنفاه علي ﷺ إلى ساباط المدائن، ولما قتل علي ﷺ بيد عبد الرحمن بن ملجم المرادي الخارجي زعم ابن سبأ أن علياً لم يقتل، وأن الذي قتله عبد الرحمن بن ملجم شيطان تصور في صورة علي ﷺ . وقال: كما كذبت اليهود والنصارى في دعواهم قتل عيسى كذلك كذب القائلون بقتل علي وإنما رأت اليهود والنصارى شخصاً مصلوباً شبه لهم أنه عيسى كذلك القائلون بقتل علي رأوا قتيلاً يشبه علياً فظنوا أنه علي مع أن علياً صعد إلى السماء وأنه يمشي في السحاب وأن البرق سوطه وأن الرعد صوته . وأنه يرجع إلى الأرض فيملؤها عدلاً . كما ملئت جوراً وتخضع له مشارق الأرض ومغاربها وقد روي عن الشعبي أنه قال: قيل لابن سبأ أن علياً قد قتل فقال: إن جئتمونا بدماغه في صرة لا نصدق بموته، إنه لا يموت حتى ينزل من السماء ويملك الأرض بحذافيرها .

خلاصة مذهب السبئية :

[١]- إحداث القول برجعة محمد ﷺ . [٢]- إحداث القول بأن علياً وصي محمد ﷺ .

[٣]- القول بالحلول . [٤]- قرروا نبوة علي ﷺ . [٥]- قالوا بألوهية علي ﷺ .

الكيسانية

هم أتباع كيسان الذي دعا إلى إمامة محمد بن الحنفية رحمه الله.

وقد اختلف في كيسان هذا. فزعم بعض أهل العلم أنه كان مولى لعلي بن أبي طالب وقيل بل كان تلميذاً لمحمد بن الحنفية وقيل بل هو المختار بن أبي عبيد الثقفي الكذاب وقد كان يلقب بكيسان وهذا هو الأقرب.

إذ المختار هذا هو أول من دعا إلى إمامة محمد بن الحنفية وهو حري بلقب كيسان، فإن كيسان في اللغة العربية اسم للغدر، أما محمد بن الحنفية الذي اختصت الكيسانية بالدعوة إلى إمامته فهو محمد بن علي بن أبي طالب وأمه خولة قيل بنت إياس الحنفية وقيل بنت جعفر بن قيس بن سلمة من بني حنيفة، وقد كانت من سبي اليمامة في حروب الردة وصارت إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه وقيل بل هي أمة سندية سوداء كانت لبني حنيفة فنسبت إليهم وقد ولد محمد بن الحنفية سنة ١٦ من الهجرة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وقد كان عالماً فاضلاً شجاعاً حمل راية أبيه يوم الجمل وعمره إذ ذاك إحدى وعشرون سنة وقد روي أن أباه حينما دفع إليه الراية قال له:

اطعنهموا طعن أبيك تحمد   لا خير في الحرب إذا لم تزيد
بالمشرفي والقنا المسرد

وقد رجع بعد قتل أبيه رضي الله عنهما إلى المدينة المنورة وأقام بها ثم انتقل إلى مكة ثم إلى منى في عهد عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما ثم

إلى الطائف ثم قصد عبد الملك بن مروان بالشام وقد توفي بالمدينة المنورة سنة إحدى وثمانين وصلى عليه أبان بن عثمان بن عفان رضي الله عنه بإذن من ابنه أبي هاشم وقيل بل مات بالطائف وقيل بل مات بأيله من فلسطين.

وبعض الكيسانية يزعم أنه لم يمت وأنه لا يزال حياً بجبل رضوى. عنده عينان نضاختان إحداهما تفيض بالعسل، والأخرى تفيض بالماء وعن يمينه أسد وعن يساره نمر يحرسانه وأن الملائكة تراجعه الكلام وأنه المهدي المنتظر وأنه لا يزال محبوساً بجبل رضوى حتى يؤذن له بالخروج فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

وقد اختلف هؤلاء في سبب حبسه فمنهم من قال هذا سر لله لا يعلمه إلا هو ومنهم من قال بل عاقبه الله تعالى بالحبس لخروجه بعد قتل الحسين رضي الله عنه إلى يزيد بن معاوية وطلبه الأمان منه وأخذه عطاءه ثم الخروج من مكة قاصداً عبد الملك بن مروان هارباً من ابن الزبير وقال هؤلاء: كان يجب عليه أن يقاتل ابن الزبير ولا يهرب منه كما أنه ما كان له أن يقصد عبد الملك بن مروان فلما فعل ذلك عوقب بالحبس.

هذا وقد صارت الكيسانية فرقاً. أهمها ما يلي:

[١] ـ المختارية.

[٢] ـ الكربية.

[٣] ـ الهاشمية.

[٤] ـ البيانية.

[٥] ـ الحربية.

المختارية

وهم أتباع المختار بن أبي مسعود بن عمرو الثقفي الكذاب.

كان في صدر شبابه مع عمه سعد بن مسعود الثقفي الذي كان أميراً على المدائن.

ولما بويع للحسن رضي الله عنه بالخلافة وخرج حتى نزل المقصورة البيضاء بالمدائن قال المختار لعمه سعد بن مسعود: يا عم هل لك في الغنى والشرف؟ قال: وما ذاك؟ قال: توثق الحسن وتستأمن به إلى معاوية. فقال له سعد: عليك لعنة الله، أثب على ابن بنت رسول الله ﷺ فأوثقه بئس الرجل أنت.

بيد أن المختار لم يكن ذا منهج مستقيم ينتهجه ولذلك نراه يندس في صفوف الدعاة للحسين رضي الله عنه حينما مات معاوية وأرسل أهل الكوفة إلى الحسين رضي الله عنه يلحون عليه في الخروج إليهم ليكون خليفة للمسلمين. ولما بعث الحسين رضي الله عنه ابن عمه مسلم بن عقيل إلى الكوفة وقال له: سر إلى أهل الكوفة فإن كان حقاً ما كتبوا به عرفني حتى ألحق بك. وخرج مسلم حتى قدم الكوفة وعليها النعمان بن بشير الأنصاري رضي الله عنهما فاختفى مسلم عند رجل يقال له عوسجة وأخذ يستكشف الأمر ويدعو إلى الحسين سراً حتى بايعه أكثر من اثني عشر ألفاً فكتب مسلم إلى الحسين وسأله القدوم إليه، فلما هم الحسين بالخروج نصحه الناصحون ألا يخرج إلى العراق لما عرف عن أهلها من الغدر بأبيه وأخيه، ولكن الحسين رضي الله عنه أصر على الخروج إلى الكوفة فلما علم يزيد بن

معاوية بخبر خروج الحسين أسند ولاية الكوفة إلى عبيد الله بن زياد والي البصرة، ولما استقر الأمر لابن زياد وقتل مسلم بن عقيل وانتهى به الأمر إلى قتل سبط رسول الله ﷺ الحسين بن علي رضي الله عنه، علم ابن زياد أن المختار ابن أبي عُبيد كان ممن ساهم في الدعوة للحسين مع مسلم بن عقيل وأنه لا يزال مختفياً قرب الكوفة، فأمر ابن زياد بإحضاره فلما دخل عليه رماه بعمود كان في يده فشتر عينه وحبسه حتى شفع فيه أحد أصهاره فأخرجه ابن زياد من الحبس وقال له: أجَلتُك ثلاثة أيام فإن خرجت فيها من الكوفة وإلا ضربت عنقك. فخرج المختار هارباً إلى مكة وبايع عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما وأراد أن يكون وزيراً له، بيد أن ابن الزبير لم يطمئن له ولم يركن إليه لما علمه من تقلبه وطمعه وغروره.

ولما أحس المختار بالجفوة من ابن الزبير هرب إلى الكوفة وقد كانت دخلت في ولاية ابن الزبير بعد موت معاوية بن يزيد بن معاوية فلما دخل المختار الكوفة أخذ يبث الدعاة في شيعة الكوفة، ونواحيها يعدهم بأن يخرج طالباً بثأر الحسين رضي الله عنه، فمالت إليه الشيعة واغتروا به فلما قويت شوكته سار إلى قصر الإمارة بالكوفة وأخرج منه عبد الله بن مطيع العدوي عامل ابن الزبير. وقتل المختار يومئذٍ كل من كان بالكوفة من الذين قاتلوا الحسين بن علي رضي الله عنهما بكربلاء.

وغلب المختار على الكوفة وابتنى لنفسه داراً واتخذ بستاناً أنفق عليه أموالاً عظيمة أخرجها من بيت المال وفرق أموالاً عظيمة على الناس ليكتسب ودهم، وأراد أن يسالم ابن الزبير فكتب إليه يعلمه أنه إنما أخرج ابن مطيع من الكوفة لعجزه عن القيام بها وطلب من ابن الزبير أن يحتسب له ما أنفقه من بيت المال، ولكن ابن الزبير رفض ذلك رفضاً باتاً فخلع المختار طاعته وكتب إلى علي بن الحسين رحمه الله يرغبه في أن يدعو الناس إلى بيعته وإعلان إمامته وبعث له مالاً جزيلاً. ولكن علي بن الحسين رحمه الله لم يقبل ذلك منه وحتى لم يجبه على كتابه وسبه على رؤوس الملأ في مسجد النبي ﷺ وأظهر كذبه وفجوره في دعواه الميل إلى أهل البيت.

فلما يئس المختار منه كتب إلى عمه محمد بن الحنفية رحمه الله يريده على مثل ذلك فأشار عليه علي بن الحسين رحمه الله ألا يجيبه إلى شيء من ذلك، وبيّن لعمه أن الذي يحمل المختار على ذلك ليس حبه في أهل البيت، وإنما رغبته في اجتذاب قلوب العامة بدعوى ميله إلى أهل البيت، وباطنه مخالف لظاهره، إذ هو من أعدائهم لا من أوليائهم، وأشار علي بن الحسين رحمه الله على عمه أن يشهر أمره وأن يظهر كذبه على نحو ما فعل هو في مسجد رسول الله ﷺ، فاستشار ابن الحنفية رحمه الله بعض ذوي قرباه في ذلك فقال: لا تفعل. فإنك لا تدري ما أنت عليه من ابن الزبير فسكت عن عيب المختار. فأخذ المختار يدعو إلى إمامة محمد بن الحنفية مدعياً أنه المهدي الوصي. وكان يقول للشيعة: لقد بعثني المهدي الوصي. بعثني إليكم أميناً ووزيراً وأمرني بقتل الملحدين والدفع عن الضعفاء.

ولما استفحلت قوته بعث إبراهيم بن الأشتر مع ستة آلاف رجل لقتال عبيد الله بن زياد والأخذ بثأر الحسين، وكان عبيد الله بن زياد بالموصل في ثمانين ألفاً من جند الشام. وقد ولاه عليهم عبد الملك بن مروان فالتقى الجيشان على باب الموصل عند نهر الخازر فدارت الدائرة على ابن زياد وجيشه وقتل منهم سبعون ألفاً فيهم عبيد الله بن زياد والحصين بن نمير السكوني، وحملت رأس ابن زياد إلى المختار وتمت ولايته على العراقين والجزيرة إلى حدود أرمينية.

ولما تم له ذلك تكهن وصار يسجع كسجع الكهان ومن ذلك قوله: الحمد لله الذي جعلني بصيراً، ونوّر قلبي تنويراً، والله لأحرقن بالمصر دوراً، ولأنبشن بها قبوراً، ولأشفين منها صدوراً، وكفى بالله هادياً ونصيراً. ثم قال: برب الحرم والبيت المحرم، والركن المكرم، والمسجد المعظم، وحق ذي القلم ليرفعن لي علم من هنا إلى إضم، ثم إلى أكناف ذي سلم.

ثم ادعى النبوة وادعى أنه يوحى إليه.

وكان ابن الحنفية رحمه الله حينما علم بانحراف المختار وضلالاته وخاف أن يفتن الناس عن دين الله عزم على الخروج إلى العراق ليصير إليه الذين اعتقدوا إمامته. فلما سمع المختار بذلك خاف من قدومه العراق ذهاب رياسته فقال لجنده: أنا على بيعة المهدي ولكن للمهدي علامة، وعلامته أن يضرب بالسيف ضربة فإن لم يقطع السيف جلده فهو المهدي!.

فلما وصل خبر مقالته هذه إلى ابن الحنفية رحمه الله رجع عن عزمه خوفاً على نفسه من المختار وتبرأ منه.

ولما ظهر لأهل الكوفة انحراف المختار عن دين الإسلام وتبينت لهم ضلالته خرجوا عليه ولم يبق معه غير السبئية وعبيد أهل الكوفة الذين وعدهم أن يعطيهم أموال ساداتهم فقاتل بهم الخارجين عليه وكان السبئية يقولون له: أنت حجة هذا الزمان. وكان له كرسي قديم قد غشاه بالديباج وزينه بأنواع الزينة وقال: هذا من ذخائر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه وهو كتابوت بني إسرائيل.

فكان إذا حارب قدّم هذا الكرسي ويقول لأتباعه: قاتلوا ولكم الظفر والنصرة وهذا الكرسي محله فيكم محل التابوت في بني إسرائيل وفيه السكينة والبقية والملائكة من فوقكم ينزلون مدداً لكم، وقد قتل الكثير من أهل الكوفة الذين خرجوا عليه وأسر جماعة منهم. وقد كان من بين الأسرى رجل يقال له سراقة بن مرداس البارقي خاف أن يقتله المختار فقال لآسريه: ما أنتم أسرتمونا ولا أنتم هزمتمونا بعدتكم وإنما هزمنا الملائكة الذين رأيناهم على الخيل البلق فوق عسكركم.

فلما بلغ المختار قوله أعجب به وأطلقه فلحق بمصعب بن الزبير بالبصرة وكتب منها إلى المختار يقول:

ألا أبلغ أبا إسحاق أني ... رأيت البلق دهماً مصمتات

أرى عَينيّ ما لم تنظراه ... كلانا عالم بالترهات

كفرت بوحيكم وجعلت نذراً ... عليّ قتالكم حتى الممات

وكان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما قد ولى أخاه مصعباً العراق وقتال المختار فدخل البصرة وتأهب فيها للقضاء على المختار وخرج من البصرة في سبعة آلاف رجل سوى من انضم إليه من سادات أهل الكوفة، فلما انتهى خبرهم إلى المختار أخرج صاحبه أحمد بن شميط إلى قتال مصعب في ثلاثة آلاف رجل من نخبة عسكرهم وأخبرهم بأن الظفر يكون لهم. وزعم أن الوحي قد نزل عليه بذلك فالتقى الجيشان بالمدائن وانهزم أصحاب المختار وقتل أميرهم ابن شميط ورجع فلولهم إلى المختار وقالوا له: لماذا تعدنا بالنصر على عدونا؟ فقال: إن الله قد وعدني ذلك لكنه بدا له، ثم قرأ: (يمحو الله ما يشاء ويثبت).

ثم خرج المختار بنفسه لقتال مصعب بن الزبير بالمذار من ناحية الكوفة ودارت رحى الحرب ووقعت الهزيمة على المختار وأصحابه فانهزموا إلى دار الإمارة بالكوفة وتحصن فيها، فحاصره مصعب فيها أياماً حتى فنى طعامه فخرجوا مستقتلين فقتلوا ومعهم المختار وذلك في سنة سبع وستين هـ.

هذا وقد أشار رسول الله ﷺ إلى المختار فقال كما جاء عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما أنها قالت: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**سيكون في ثقيف كذاب ومبير**»، وقالت أسماء للحجاج: أما الكذاب فقد عرفناه (تعني المختار) وأما المبير فلا إخالك إلا إياه.

خلاصة مذهب المختارية:

[١] ـ دعواهم إمامة محمد بن الحنفية.

[٢] ـ زعمهم أنه الوصي.

[٣] ـ وأنه المهدي المنتظر.

[٤] ـ قولهم بجواز البداء على الله. تعالى عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

[٥] ـ ثم زعم المختار أن الوحي ينزل عليه وادعاؤه النبوة.

الكـربيـة

وهم أصحاب أبي كرب الضرير وقد ذهب هؤلاء (دون سائر الكيسانية) إلى أن محمد بن الحنفية رحمه الله لم يمت وأنه لا يزال حياً بجبل رضوى عن يمينه أسد وعن شماله نمر يحرسانه ويحفظانه، يأتيه رزقه بكرة وعشيا، وعنده عينان نضاختان واحدة تفيض ماء والأخرى تفيض عسلاً وحوله ملائكة يراجعونه الكلام.

وبعضهم يزعم أنه دخل معه إلى رضوي جماعة لم يخرجوا منه ولم يعلم لهم خبر.

ومن أشهر دعاة هذا المذهب كثير بن عبد الرحمٰن بن أبي جمعة الشاعر المشهور بكثير عزة وفي تقرير هذا المذهب الرديء يقول:

ألا إن الأئـمـة مـن قـريـش ... ولاة الـحـق أربـعـة سـواء

عـلـي والـثـلاثـة مـن بـنـيـه ... هـم الأسباط لـيـس بـهـم خـفـاء

فـسـبـط سـبـط إيـمـان وبـر ... وسـبـط غـيـبـتـه كـربـلاء

وسـبـط لا يـذوق الـمـوت حـتـى ... يـقـود الـخـيـل يـقـدمـهـا الـلـواء

تـغـيـب لا يـرى فـيـهـم زمـانـاً ... بـرضـوى عـنـده عـسـل ومـاء

ويقصد كثير بسبط إيمان وبر الحسن رضي الله عنه، ويقصد بالسبط الذي غيبته كربلاء الحسين رضي الله عنه، ويقصد بالسبط الذي لا يذوق الموت حتى يقود الخيل محمد بن الحنفية رحمه الله والواقع أن ابن الحنفية رحمه الله ليس سبطاً وأمه ليست بنت رسول الله ﷺ وإنما جعله كثير سبطاً مغالاة منه وترويجاً لمذهبه الرديء.

ومن أشهر دعاة الكربية أيضاً الشاعر المعروف بالسيد الحميري، وفي تقرير هذا المذهب الرديء يقول:

ألا قل للوصي فدتك نفسي أطلت بذلك الجبل المقاما

ثم يقول:

وما ذاق ابن خولة طعم موت ولا وارت له أرض عظاما

لقد أمسى بمجرى شعب رضوى تراجعه الملائكة الكلاما

وإن له لرزقاً كل يوم وأشربة يعل بها الطعاما

وقد نسب الشيخ عبد القاهر البغدادي هذه الأبيات لكثير عزة كذلك.

خلاصة مذهب الكربية:

[١] ـ اعتقاد وصاية محمد بن الحنفية رحمه الله.

[٢] ـ أنه المهدي المنتظر.

[٣] ـ وأنه حي مقيم بجبل رضوي إلى أن يؤذن له بالخروج ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

الهاشمية

هم المنسوبون لأبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية رحمه الله.

وقد قالوا إن الإمامة انتقلت بعد موت محمد بن الحنفية إلى ولده أبي هاشم رحمه الله وكان أبو هاشم رحمه الله ثقة فاضلاً عظيم القدر وقد زعمت الهاشمية أن النبي ﷺ استأثر علياً رضي الله عنه وأفضى إليه بأسرار العلوم الظاهرة والباطنة فصارت إليه علوم أسرار جميع الكائنات وأن علياً رضي الله عنه استأثر ولده محمد بن الحنفية فأفاض عليه هذه الأسرار ثم استأثر محمد بن الحنفية ولده أبا هاشم بهذه الأسرار فهو مستودعه وقد صارت إليه الإمامة لذلك وقد توجه أبو هاشم إلى الشام ونزوله بقرية الحميمة من أرض الشراة عند محمد بن علي بن عبد الله بن عباس رضي الله عنهم ومات عنده عام ٩٨ أو ٩٩ من الهجرة في عهد سليمان بن عبد الملك وقد زعم بعضهم أنه لما لم يكن له عقب عهد إلى محمد بن علي بن عبد الله بن عباس وصارت الإمامة بعده إليه وانتقلت إلى بني العباس.

خلاصة مذهب الهاشمية:

[١] ـ أن الإمام بعد ابن الحنفية هو أبو هاشم ولده.

[٢] ـ وأن جميع أسرار الكائنات صارت إلى أبي هاشم.

[٣] ـ وأنه استحق الإمامة لذلك.

البيانية

هم أتباع بيان بن سمعان النهدي اليمني.

وقد زعم أن الإمامة انتقلت من أبي هاشم إلى بيان بن سمعان بوصية من أبي هاشم وقد اضطرب هؤلاء البيانية في وصف زعيمهم بيان فمنهم من جعله نبياً. وزعم أنه نسخ بعض شريعة محمد عليه الصلاة والسلام ومنهم من زعم أنه كان إلٰهاً وقد ذكر هؤلاء أن بياناً قال لهم: إن روح الإلٰه تحل في الأنبياء والأئمة وادعى أن سجود الملائكة لآدم إنما كان لوجود ذلك الجزء الإلٰهي فيه وأن هذا الجزء الإلٰهي تناسخ حتى صار إلى علي بن أبي طالب واتحد بجسده فبسببه كان يعلم الغيب ويخبر عن الملاحم وينتصر على الكفار وبه قلع باب خيبر وقال بيان وربما يظهر علي في بعض الأزمان وفسر بذلك قوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِى ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ [البقرة: ٢١٠].

وأراد بيان قبحه الله أن علياً هو الذي يأتي في هذه الظلل وأن الرعد صوته والبرق تبسمه. ثم زعم بيان أن هذا الجزء الإلٰهي انتقل من علي إلى ابن الحنفية ثم إلى أبي هاشم ثم إليه هو وادعى لنفسه الربوبية وزعم أنه المذكور في القرآن ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [آل عمران: ١٣٨] فكان يقول أنا البيان وأنا الهدى والموعظة. وزعم بيان أن معبوده الأزلي رجل من نور يشبه الإنسان في جميع أعضائه وأنه يهلك كله إلا وجهه وتأول لزعمه ذلك قول الله تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾﴾ [القصص: ٨٨] وكذلك قوله: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٦ ـ ٢٧]. وقد كتب

بيان إلى محمد بن علي بن الحسين رحمه الله المعروف بالباقر، يدعوه إلى مذهبه الخبيث وجاء في كتابه له أسلم تسلم وترتق في سلم وتنج وتغنم فإنك لا تدري حيث يجعل الله النبوة فما كان من محمد الباقر رحمه الله إلا أن أمر رسول بيان واسمه عمر بن عفيف أن يأكل قرطاسه الذي فيه كتابه فأكله فمات في الحال. ومن مزاعم بيان أنه يعرف اسم الله الأعظم وأنه يدعو به الزهرة فتجيبه وقد أشاع مذهبه الخبيث هذا في أوائل القرن الثاني الهجري بالعراق في ولاية خالد بن عبد الله القسري فلما بلغ خالداً خبره احتال عليه حتى ظفر به فلما أخذه قال له: إن كنت تهزم الجيوش بالاسم الذي تعرفه فاهزم به أعواني عنك ثم قتله وصلبه وأراح الله الناس من شره.

خلاصة مذهب البيانية:

[١] ـ القول بإمامة أبي هاشم.

[٢] ـ القول بإمامة بيان بعده.

[٣] ـ القول بالحلول.

[٤] ـ القول بالتناسخ.

[٥] ـ ادعاء أُلوهية علي رضي الله عنه.

[٦] ـ ادعاء أُلوهية بيان ونبوته.

الحربية

هم أتباع عبد الله بن عمرو بن حرب الكندي كان من أتباع بيان بن سمعان ثم فارق البيانية وزعم أن أبا هاشم بن محمد بن الحنفية كان قد أوصى إليه وأن الإمامة قد خرجت من بني هاشم واستقرت في عبد الله بن عمرو بن حرب كما زعم أن روح الإله تناسخت في الأنبياء والأئمة إلى أن انتهت إلى أبي هاشم عبد الله بن محمد بن الحنفية ثم انتقلت إليه وقد اختلف فيه أصحابه كما اختلف البيانية في بيان بن سمعان فمنهم من زعم أن عبد الله بن عمرو بن حرب كان نبياً ومنهم من زعم أنه كان إلٰهاً ولكنهم لم يزالوا على موالاته حتى وقفوا منه على أكاذيب وخيانات وجهل فاضح. وفي كلام الشيخ أبي الحسن الأشعري والشهرستاني ما يدل على أنهم انفضوا لذلك من حوله وساروا إلى المدينة المنورة يلتمسون إماماً فاستقبلهم عبد الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب فدعاهم إلى أن يأتموا به فاستجابوا له ودانوا بإمامته وادعوا له الوصية وقد كان عبد الله هذا جريئاً وكان من مذهبه أن الأرواح تتناسخ من شخص إلى شخص وأن الثواب والعقاب إنما يكون فقط في هذه الدنيا بأن تحل الروح المثابة بالخير في شخص خال من الآلام وتحل الروح المثابة بالشر في شخص أو حيوان مبتلى بالأذى والآلام وكفر هو وأتباعه بالجنة والنار واستحلوا الخمر والزنا وسائر المحرمات وتأولوا قوله تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ [المائدة: ٩٣] الآية.

على أن من وصل منهم إلى الإمام وعرفه ارتفع عنه الحرج في جميع ما يطعم ووصل إلى الكمال ومذهب هذه الطائفة شبيه «بالخُرَّمِيَّة».

وبه تجددت دعوة المزدكية كما تأولوا العبادات على أنها كنايات عمن تجب طاعتهم وموالاتهم من أهل بيت علي وتأولوا المحرمات المذكورة في القرآن على أنها كنايات عن قوم يجب عليهم بغضهم كالصديق والفاروق وذي النورين رضي الله عنهم وقد زعم عبد الله هذا أن روح الإله حلت فيه وادعى الإلهية والنبوة جميعاً وعبدته شيعته من دون فاطر السموات والأرض وقد ظهر عبد الله في عهد مروان بن محمد وخرج إلى الكوفة فقاتله أميرها ثم طلب الأمان له ولمن معه فأمنهم الأمير فساروا إلى المدائن ثم غلب على حلوان وما يقاربها ثم استولى على همدان والري وأصبهان وبقي على ذلك حتى قويت شوكة أبي مسلم الخراساني فسار إليه وقتله وقضى الله على فتنته وأراح المسلمين من شره.

خلاصة مذهب الحربية:

[١] ـ خروج الإمامة عن بني هاشم.

[٢] ـ القول بإمامة عبد الله بن عمرو بن حرب.

[٣] ـ القول بالتناسخ.

[٤] ـ القول بالحلول.

[٥] ـ ادعاء بعضهم نبوة عبد الله بن عمر بن حرب.

[٦] ـ وادعاء بعضهم ألوهيته، قبحهم الله جميعاً.

الزيديـة

هم القائلون بإمامة زيد بن علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهم.

وكان زيد رحمه الله قد دخل على هشام بن عبد الملك بالرصافة من أرض الشام فلم يكرمه هشام بل قال له: أنت الذي تنازعك نفسك في الخلافة وأنت ابن أمة (وكانت أم زيد أمة أهداها المختار الثقفي الكذاب إلى علي زين العابدين رحمه الله وولدت له زيداً وعمر وعلياً وخديجة). وكان من جواب زيد أن قال له: إن الأمهات لا يقعدن بالرجال عن الغايات. وقد كانت أم إسماعيل أمة لأم إسحاق صلى الله عليهما وسلم فلم يمنعه ذلك أن بعثه الله نبياً وجعله للعرب أباً وأخرج من صلبه خير البشر محمداً ﷺ ثم تقول لي هذا وأنا ابن فاطمة وابن علي ثم خرج من عنده.

ولما صار إلى المدينة المنورة كاتبه أهل الكوفة ليبايعوه على الإمامة وألحوا عليه في الخروج إليهم فشاور أخاه أبا جعفر محمداً الباقر في ذلك فأشار عليه الباقر رحمه الله بأن لا يركن إلى شيعة الكوفة إذ كانوا أهل غدر ومكر وقال له: بها قتل جدك علي وبها طعن عمك الحسن وبها قتل أبوك الحسين وفيها وفي أعمالها شتمنا أهل البيت. ويقال: إن الذي أشار عليه بهذه النصيحة هو جعفر الصادق رضي الله عنه.

بيد أن زيداً رحمه الله لم يعمل بما أشار به وأصر على الخروج وأبى إلا ما عزم عليه من المطالبة بالحق.

ولما صار إلى الكوفة بايعه أكثر من خمسة عشر ألف رجل من أهلها وتهيئوا لقتال والي العراق يوسف بن عمر الثقفي. فلما قامت الحرب قالوا لزيد: إنا لننصرك على أعدائك بعد أن تخبرنا برأيك في أبي بكر وعمر

اللذين ظلما جدك علي بن أبي طالب فقال زيد: إني لا أقول فيهما إلا خيراً وما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيراً وقد كانا وزيري جدي. وإنما خرجت على بني أمية الذين قتلوا جدي الحسين وأغاروا على المدينة يوم الحرة ثم رموا بيت الله «الكعبة» بحجر المنجنيق والنار.

فلما سمعوا من زيد هذا الكلام تفرقوا عنه. فقال لهم زيد: رفضتموني. ولذلك سموا رافضة وقد تركوه في شرذمة قليلة من أصحابه لم يلبثوا أن انهزموا أمام يوسف بن عمر الثقفي وقد قاتل زيد أشد القتال حتى حال المساء بين الفريقين وراح زيد مثخناً بالجراح وقد أصابه سهم في جبهته فطلب أصحابه من ينزع النصل منه فأتى بحجام من بعض القرى واستكتموه أمره ولما استخرج النصل مات زيد لساعته فدفنوه في ساقية ماء وجعلوا على قبره التراب والحشيش وأجرى الماء على ذلك. وذلك عام ١٢١ أو ١٢٢هـ. وتفرق أصحابه. غير أن الحجام عرف الموضع الذي دُفن فيه زيد فلما أصبح ذهب إلى يوسف بن عمر الثقفي وأخبره بموضع جثة زيد رحمه الله فاستخرجه يوسف بن عمر وبعث برأسه إلى هشام وكتب إليه هشام أن يصلبه عرياناً فصلبه مدة من الزمان كذلك. ثم كتب هشام إلى يوسف بن عمر يأمره بإحراق جثة زيد وتذريته في الرياح على الفرات ولما قتل زيد مضى ابنه يحيى إلى خراسان وقام بإمامة الزيدية بعد أبيه وظهر بالجوزجان من أرض خراسان في عهد الوليد بن يزيد بن عبد الملك من آخر عام ١٢٥هـ. أو أول عام ١٢٦هـ منكراً للظلم وما عم الناس من الجور ولما خرج يحيى سيّر إليه نصر بن سيار أمير خراسان مسلم بن أحوز المازني صاحب شرطته فدارت بين الفريقين معارك انتهت بقتل يحيى بن زيد في قرية أرعونة بسهم أصابه في صدغه. وقد حملت رأسه إلى الوليد كما صلب جسده بالجوزجان ولم يزل مصلوباً حتى ظهر أبو مسلم الخراساني فقتل مسلم بن أحوز وأنزل جثة يحيى ودفنها هناك.

وفي قتل يحيى بن زيد وآل البيت يقول دعبل الخزاعي:

قبور بكوفان وأخرى بطيبة وأخرى بفخ نالها صلواتي
وأخرى بأرض الجوزجان محلها وأخرى بباخمري لدى الغربات

ويعني بالكوفان الكوفة وبها قتل سبط رسول الله ﷺ الحسين ومن قتل معه من أهل البيت، ويعني بطيبة مدينة النبي ﷺ وبها قتل محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب وبعض أهله، وفخ واد قرب مكة قتل به أبو عبد الله الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ومن كان معه، والذي بالجوزجان يحيى بن زيد، وباخمري مكان بين الكوفة وواسط وقد قتل به إبراهيم بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، قتله ياقوت التركي من رجال الدولة العباسية.

وقد أثر عن زيد رحمه الله وعفى عنه أنه كان يرى أن علياً رضي الله عنه أولى بالخلافة من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وقد خالف زيد في ذلك ما ثبت عن علي رضي الله عنه لما سأله ابنه محمد بن الحنفية عن أفضل هذه الأمة بعد نبيها فقال: أبو بكر. قال ابن الحنفية فقلت: ثم من؟ فقال: عمر.

غير أن زيداً مع ذلك كان يرى أن خلافة الصديق والفاروق كانت خلافة رشيدة فيها مصلحة عظمى للمسلمين وهو لذلك يجيز إمامة المفضول مع وجود الأفضل فيرجع إليه في الأحكام ويحكم بحكمه في القضايا. كما نسب إليه أنه كان يرى الخروج شرطاً في كون الإمام إماماً. وقد اعترض عليه أخوه أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين في ذلك حتى قال له يوماً: على قضية مذهبك أن يكون والدك ليس بإمام فإنه لم يخرج قط ولا تعرض للخروج. كما أنكر عليه أخوه محمد الباقر كذلك تلمذته لواصل بن عطاء الغزال رأس المعتزلة.

هذا وقد انقسمت الزيدية أقساماً. أهمها الجارودية والسليمانية أو الجريرية والبترية أو الصالحية واليعقوبية.

الجارودية

هم أتباع أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي الأعمى الكوفي الذي لقبه الباقر رحمه الله سرخوباً.

والسرخوب فُسّر: بأنه شيطان أعمى يسكن البحر. وقد كان أبو الجارود يعتبر نفسه من أهل الحديث وكان يضع الأحاديث في مثالب أصحاب رسول الله ﷺ كما يضع أخرى في فضائل أهل البيت وقد قال فيه يحيى بن معين رحمه الله: كذاب عدو الله ليس يسوي فلساً.

وقد زعم الجارودية أن النبي ﷺ نص على إمامة علي رضي الله عنه بالوصف لا بالإسم كما زعموا أن الصحابة كفروا بتركهم بيعة علي. وبهذا خالف الجارودية زيداً رحمه الله. ثم زعموا أن الحسن بن علي رضي الله عنهما كان هو الإمام بعد أبيه بنص من رسول الله ﷺ أو بوصية من أبيه علي رضي الله عنه ثم كان الحسين رضي الله عنه هو الإمام بعد أخيه الحسن بنص من رسول الله ﷺ أو بوصية من أخيه ثم صارت الإمامة بعد ذلك شورى في ولدي الحسن والحسين.

وقد اختلفت الجارودية في الإمام المنتظر فمنهم من لم يعين واحداً بخصوصه بل قالوا: كل من شهر سيفه ودعا إلى دينه من ولدي الحسن والحسين فهو الإمام المنتظر، ومنهم من ينتظر محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب الذي قتله عيسى بن موسى الهاشمي في عهد أبي جعفر المنصور بالمدينة المنورة. ولم يصدق بقتله ولا بموته ويزعم أنه هو المهدي المنتظر الذي يخرج فيملأ الأرض عدلاً بعد أن ملئت جوراً ومنهم من ينتظر محمد بن القاسم بن علي بن عمر بن علي بن

الحسين الخارج أيام المعتصم بالطالقان من أرض خراسان ويزعم أنه لا يزال حياً ولا يصدق بموته.

ومنهم من ينتظر يحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين المقتول أيام المستعين بالكوفة ويزعم أنه لا يزال حياً ولا يصدق بقتله.

وهؤلاء الجارودية هم أغرق الزيدية في الضلال وأبعدهم عن منهج أهل الحق والاعتدال.

خلاصة مذهب الجارودية:

[١] ـ يدعون أن النبي ﷺ نص على إمامة علي بالوصف لا بالإسم.

[٢] ـ نسبوا أصحاب رسول الله ﷺ إلى التقصير إذ لم يتعرفوا هذا الوصف ولم يبايعوا الموصوف بل اختاروا غيره حيث بايعوا الصديق رضي الله عنه.

[٣] ـ زعم بعضهم أن رسول الله ﷺ هو كذلك الذي نص على إمامة الحسن ثم الحسين.

[٤] ـ تكفيرهم أصحاب رسول الله ﷺ لمبايعتهم الصديق رضي الله عنه.

[٥] ـ يجعلون الخلافة شورى في ولدي الحسن والحسين رضي الله عنهما.

[٦] ـ انتظار بعضهم لمحمد بن عبد الله بن الحسن المعروف بالنفس الزكية ولا يصدقون بموته.

[٧] ـ انتظار بعضهم لمحمد بن القاسم صاحب الطالقان ولا يصدقون بموته.

[٨] ـ انتظار بعضهم ليحيى بن عمر بن يحيى بن الحسين بن زيد ولا يصدقون بموته.

[٩] ـ لا يجوزون إمامة المفضول (في نظرهم) مع وجود الأفضل.

السليمانية أو الجريرية

هم أتباع سليمان بن جرير الزيدي.

وقد كان يرى أن الإمامة شورى وليست قاصرة على آل البيت وأنها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأمة. وجوزوا إمامة المفضول في نظرهم مع وجود الأفضل وصححوا لذلك خلافة الصديق والفاروق رضي الله عنهما وإن كانوا قد زعموا أن الأمة قصرت في اختيارها غير علي مع وجوده رضي الله عنه. غير أنهم يرون أن خطأ الأمة في هذه المسألة الاجتهادية لم يبلغ كفراً ولا فسقاً.

وقد طعن سليمان بن جرير وأتباعه في عثمان رضي الله عنه وكفروه بما نسبوه إليه من الأحداث التي زعموها هم وغيرهم من ذوي القلوب المنحرفة والأغراض المارقة كما كفروا طلحة والزبير والصديقة بنت الصديق رضي الله عنهم بإقدامهم (فيما زعم هؤلاء الجريرية) على قتال علي رضي الله عنه. كما طعن سليمان بن جرير في الرافضة وقال: إن أئمة الرافضة قد وضعوا مقالتين لشيعتهم لا يظهر أحد قط عليهم.

يعني بذلك قول الرافضة: بالبداء وبالتقية. فإن قولهم بالبداء صار تكأة لهم إذ أخبروا بخبر أنه سيكون ثم لا يكون، قالوا: بدا لله، وكذلك قولهم بالتقية فإنهم إذا تكلموا بباطل فقيل لهم: هذا باطل قالوا إنما قلناه تقية.

خلاصة مذهب السليمانية أو الجريرية:

[١] ـ يرون الإمامة شورى في المسلمين.

[٢] ـ وأنها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأمة.

[٣] ـ جواز إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

[٤] ـ يكفرون ذا النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعض كبار الصحابة رضي الله عنهم.

[٥] ـ لا يجوزون القول بالتقية.

البترية أو الصالحية

هم أتباع رجل يقال له كثير النواء الملقب بالأبتر.

ومن أبرز زعماء هذه الطائفة (فيما يقال) أبو عبد الله الحسن بن صالح بن صالح بن حي الهمداني المولود سنة مائة من الهجرة والمتوفي سنة مائة وسبع وستين هـ، ولهذا نسبت هذه الفرقة إليه كما نسبت لكثير النواء الأبتر وقد كان الحسن بن صالح بن حي من أهل الحديث. أخرج له مسلم في صحيحه والبخاري في الأدب المفرد وأصحاب السنن. وقد وصفه ابن حجر في التقريب بأنه ثقة فقيه عابد ثم ذكر أنه رمي بالتشيع.

أما كثير النواء فقد كان معتزلياً وقد عده بعض أهل العلم في أصحاب الحديث بيد أنه صار من أتباع سليمان بن جرير الزيدي. وقد وافقه في جميع أصول مذهبه كقوله: إن الإمامة شورى وأنها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأمة وأنه يجوز إمامة المفضول مع وجود الأفضل وأثبت إمامة الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وإن كان يرى أن علياً رضي الله عنه كان أولى منهما بالإمامة وأن الأمة أخطأت إذ بايعت أبا بكر ثم عمر مع وجود علي. وإن كان يرى أن هذا الخطأ لم يبلغ بالأمة كفراً ولا فسقاً. غير أن كثير النواء فارق سليمان بن جرير في قوله في عثمان رضي الله عنه إذ توقف هو والحسن بن صالح بن حي وأتباعهما في عثمان رضي الله عنه فلم يقدموا على ذمه ولا على مدحه. وقالوا: إذا سمعنا الأخبار الواردة في حقه وكونه من العشرة المبشرين بالجنة قلنا يجب أن يحكم بصحة إسلامه وإيمانه وكونه من أهل الجنة. وإذا رأينا استهتاره بتربية بني أمية وبني مروان وأنه أتى أموراً لم يكن عليها نهج الصحابة قلنا يجب أن يحكم بكفره فتحيرنا في أمره

وتوقفنا في حاله ووكلناه إلى أحكم الحاكمين.

وهؤلاء البترية يقولون: من شهر سيفه من أولاد الحسن أو الحسين وكان عالماً زاهداً شجاعاً فهو الإمام. وجوزوا وجود إمامين في قطرين على أن ينفرد كل واحد منهما بقطره ويكون واجب الطاعة في قومه. حتى ولو أفتى كل واحد منهما بخلاف ما يفتي به الآخر لكان كل واحد منهما مصيباً مهما كان. ولو أفتى باستحلال دم الإمام الآخر.

وكانوا ينكرون رجعة الأموات في الدنيا، كما كانوا يكفرون من يكفر الصديق والفاروق رضي الله عنهما.

هذا وقد اتفقت الجارودية والجريرية والبترية على أن أصحاب الكبائر مخلدون في النار فصاروا في هذا كالخوارج.

خلاصة مذهب البترية:

[١] ـ يرون الإمامة شورى في المسلمين.

[٢] ـ وأنها تنعقد بعقد رجلين من خيار الأمة.

[٣] ـ وأنه يجوز إمامة المفضول مع وجود الأفضل.

[٤] ـ يتوقفون في عثمان رضي الله عنه.

[٥] ـ يكفرون من كفر الصديق والفاروق رضي الله عنهما.

[٦] ـ تجويزهم وجود إمامين في قطرين.

[٧] ـ قولهم بتصويب فتويين متعارضتين إذا صدرتا من إمامين.

[٨] ـ ينكرون رجعة الأموات في الدنيا.

[٩] ـ اتفقت الجارودية والجريرية والبترية على أن أصحاب الكبائر مخلدون في النار.

اليعقوبية

هم أتباع يعقوب بن علي الكوفي.

ومن مذهبهم: أنهم كانوا يتولون أبا بكر وعمر رضي الله عنهما ولا يكفرون من كفرهما كما كانوا ينكرون رجعة الأموات في الدنيا ويتبرؤون ممن يعتقدها.

هذا وأكثر الزيدية يوافقون الحنفية في الفروع كما أنهم يوافقون المعتزلة في الأصول وقد ذكر الشهرستاني: أنهم يعظمون أئمة الاعتزال أكثر من تعظيمهم أئمة أهل البيت.

الرافضة

سميت هذه الفرقة بالرافضة لأنهم رفضوا زيد بن علي بن الحسين رضي الله عنه. لما سألوه عن رأيه في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فأثنى عليهما خيراً، وقال: ما سمعت أبي يقول فيهما إلا خيراً، وقد كانا وزيري جدي. فلما انصرفوا عنه لذلك قال لهم: رفضتموني، فأطلق عليهم من ذلك الوقت اسم الرافضة.

وقد كانوا يعرفون قبل ذلك باسم الخشبية لأنهم يقاتلون بالخشب زعماً منهم أنه لا يجوز القتال بالسيف إلا تحت راية إمام معصوم. كما يطلق على هذه الطائفة اسم الإمامية لزعمهم أن النبي ﷺ نص على إمامة علي رضي الله عنه نصاً ظاهراً ويقيناً صادقاً ولم يكتف فيه بالوصف بل صرح فيه بالإسم. وقد قال هؤلاء: إنه ليس في دين الإسلام شيء أهم من الإمامة ولا يعقل أن يفارق رسول الله ﷺ الدنيا دون أن يعين الإمام إذ أن النبي ﷺ ما بعث إلا ليرفع الخلاف ويقرر الوفاق والائتلاف فكيف يفارق الدنيا ويترك الأمة هملاً يرى كل واحد منهم رأيه ويسلك كل إنسان منهم طريقاً لا يسلكه غيره. فمن الواجب إذاً أن يعين شخصاً هو المرجوع إليه في معرفة أحكام الشريعة، وأن ينص على ذلك الإمام نصاً لا يحتمل الشبه والأوهام. ثم زعموا أن النبي ﷺ عين علياً رضي الله عنه للإمامة تعريضاً في مواضع وتصريحاً في مواضع أخرى وزعموا أن: من تعريضاته أنه ﷺ عين أبا بكر على الحج ثم بعث علياً بعده ليقرأ على الناس في المشهد سورة براءة وليكون هو المبلغ عن رسول الله ﷺ إلى الناس قالوا: وهذا يدل على تقديمه علياً رضي الله عنه على أبي بكر رضي الله عنه.

وزعموا أن من تعريضاته بذلك أيضاً: أنه كان يؤمر على أبي بكر وعمر غيرهما من الصحابة في البعوث والسرايا وقد أمر عليهما مرة عمرو بن العاص ومرة أسامة بن زيد ولم يؤمر أحداً قط على علي رضي الله عنه.

وأما تصريح النبي ﷺ بإمامة علي رضي الله عنه فقد قالوا: إنه جاء في حديث غدير خم **«من كنت مولاه فعلي مولاه»** فزعموا أن ذلك نص صريح على أن علياً هو الإمام بعد رسول الله ﷺ ثم قالوا: إن النبي ﷺ قال: **«أقضاكم علي»**، وزعموا أن ذلك نص صريح في الإمامة فإن الإمامة لا معنى لها إلا أن يكون الإمام أقضى القضاة. قالوا ومن التصريح بذلك أيضاً أن النبي ﷺ قال لعلي: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»**.

هذا وليس فيما ذكره الرافضة من الأخبار ما يدل صراحة على ما زعموه فليست ولاية رسول الله ﷺ خاصة بعلي رضي الله عنه بل صالحوا المؤمنين كلهم أولياء لرسول الله ﷺ كما قال الله عز وجل: ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤] وكذلك نص الله عز وجل على أنه مولى المؤمنين إذ يقول: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [محمد: ١١] الآية. ولم يقل أحد من أهل العلم أن ذلك يقتضي أن يكونوا جميعاً أئمة معصومين.

كما أنه ليس في قول رسول الله ﷺ أقضاكم علي - لو صح الحديث - ما يدل على أنه الإمام بعده إذ لا يلزم من أفضلية شخص في القضاء أن يكون هو الإمام ولا تصح دعوى أن أخص صفات الإمام هو القضاء. فقد كان داود عليه السلام هو الإمام ومع ذلك قول الله عز وجل في قصة التحاكم في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم ﴿فَفَهَّمْنَٰهَا سُلَيْمَٰنَ﴾ [الأنبياء: ٧٩] كما أن قوله عليه السلام لعلي رضي الله عنه: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنه لا نبي بعدي»** ليس نصاً في كون علي رضي الله عنه هو الإمام

بعد رسول الله ﷺ إذ لم يكن هارون إماماً بعد موسى عليه الصلاة والسلام فإن هارون عليه السلام مات قبل موسى عليه الصلاة والسلام. وسبب الحديث يوضح مراد النبي ﷺ فإن النبي ﷺ لما خلف علياً رضي الله عنه في المدينة المنورة حينما أراد الذهاب إلى تبوك قال بعض المنافقين في المدينة: إنما خلف علياً لأنه يستثقله ولا يحبه. فلما علم علي بذلك أخذ سيفه ولحق برسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف وأخبره بقول المنافقين فقال له رسول الله ﷺ: **«أما ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى»** وكأن النبي ﷺ يبين لعلي رضي الله عنه أن استخلافه على المدينة كاستخلاف موسى لهارون حينما ذهب موسى لميقات ربه ولم يكن استخلاف موسى لهارون عن البغض أو الاستثقال له كما ذكر ذلك الشيخ ابن تيمية كما أن الحنان الذي يحس به موسى لهارون فيه معنى يوجد شبيهه بين رسول الله ﷺ وبين علي إذ أن فاطمة بنت رسول الله ﷺ كانت تحته، وحنو رسول الله ﷺ عليها وعلى زوجها وبنيها لا يحتاج إلى بيان. وقد كان بين موسى وهارون نحو ذلك من جهة الأم ولذلك يقول هارون لموسى «يا ابن أم أن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني». ويقول: «يا ابن أم لا تأخذ بلحيتي ولا برأسي» وكما أن موسى أخذ خيرة القوم لميقات ربه فكذلك رسول الله ﷺ قد أخذ خيرة القوم لغزوة تبوك. وكان فيمن أخذ أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

على أن الذي صار إماماً بعد موسى هو يوشع بن نون ولم يجعل موسى الإمامة في ولده ولا ولد أخيه هارون عليهما السلام.

هذا وقد بالغ هؤلاء الروافض فكفروا خيرة أصحاب رسول الله ﷺ ويلغ من مبالغتهم أن كرهوا كلمة العشرة بغضاً منهم للعشرة المبشرين بالجنة عدا علياً رضي الله عنه ومع أن الأعداد لا دخل لها في إحقاق الحق ولا إبطال الباطل (وقد جعل الله السموات سبعاً والأرضين سبعاً وجعل لجهنم سبعة أبواب) فإن هؤلاء لا يكادون ينطقون بلفظ العشرة لما وصفنا. وأبغض

الخلق لديهم وزراء رسول الله ﷺ وأصحاب شوراه ومن توفي ﷺ وهو راض عنهم.

وقد انقسم الرافضة أقساماً نقتصر منها على ما يلي:

المحمدية

وهم الذين يعتقدون أن محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي رضي الله عنه هو المهدي المنتظر وقد ولد محمد بن عبد الله هذا عام مائة من الهجرة وكان فاضلاً ثقة ذا عبادة وورع ولذلك عرف بالنفس الزكية وقد خرج بالمدينة عام ١٤٥هـ في عهد أبي جعفر المنصور فبعث إليه المنصور بعيسى بن موسى الهاشمي فحاربه حتى سقط محمد رحمه الله قتيلاً فبعث عيسى بن موسى برأسه إلى أبي جعفر المنصور.

وهؤلاء المحمدية لا يصدقون بقتله ولا بموته ويزعمون أنه حي بجبل حاجر من جبال نجد إلى أن يؤمر بالخروج ليملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وقد ذكر بعض أهل العلم أن المغيرة بن سعيد العجلي الممخرق الضال كان يدعو في بعض أحيانه إلى إمامة محمد بن عبد الله بن الحسن ويذكر أنه المهدي المنتظر كما ثبت عنه أنه في بعض أحيانه كذلك كان يقول بإمامة محمد الباقر رحمه الله. ويزعم كذلك أنه أوصى إليه ولم يزل المغيرة هذا على ضلالته وافتراءاته وتمسحه بالعلويين أحياناً حتى طلبه خالد بن عبد الله القسري البجلي فأخذه وقتله وصلبه.

وقد افترق أتباع المغيرة العجلي بعد قتل محمد بن عبد الله بن الحسن. ففرقة أقرت بموته وقتله وتبرأت من المغيرة وقالوا إنه كذب علينا في دعواه أن محمد بن عبد الله يملك الأرض فإنه قتل ولم يملك الأرض ولم يملأها عدلاً.

وفرقة ثبتت على موالاة المغيرة بن سعيد وقالوا: إن محمد بن عبد الله بن الحسن لم يقتل وإنما المقتول شيطان تصور للناس في صورة

محمد بن عبد الله بن الحسن وأن محمداً هذا لا يزال حياً بجبل حاجر من أرض نجد ولا بد أن يظهر فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً وأن البيعة ستعقد له في مكة بين الركن والمقام.

خلاصة مذهب هؤلاء المحمدية:

[١] ـ اعتقادهم أن محمد بن عبد الله بن الحسن هو المهدي المنتظر.

[٢] ـ وأنه حي بجبل حاجر حتى يظهر فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً.

[٣] ـ وكانوا يعتقدون برجعة الأموات إلى الدنيا قبل يوم القيامة.

الإثنا عشرية

ومن أشهر فرق الشيعة الإمامية الإثنا عشرية.

وإنما قيل لهم «الإثنا عشرية» لدعواهم أن الإمام المنتظر هو الثاني عشر في سلسلة الأئمة الذين يزعمون أن رسول الله ﷺ نص على إمامتهم من بعده وهذا الإمام هو محمد بن الحسن العسكري وقد أشرنا عند حديثنا عن النصيرية أن هؤلاء «الإثني عشرية» يزعمون أنه قد اختفى في سرداب دار أبيه وأنه لا يزال مختفياً إلى الآن وأنه سيعود فيملأ الأرض عدلاً كما ملئت جوراً. وأنه يوم اختفائه كانت سنه أربع سنين أو ثماني سنين. وقد أسلفنا نفي بعض أهل بيت الحسن العسكري أن يكون له ولد بهذا الاسم.

وهؤلاء الاثنا عشرية يزعمون أن الصحابة ارتدوا عن الإسلام بعد النبي ﷺ إذ وافقوا على بيعة الصديق وظلموا علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهو المستحق للخلافة نصاً في نظرهم ثم زعموا أن الصحابة قد كتموا سوراً من القرآن ولا سيما سورة يسميها «الاثنا عشرية» سورة الولاية. وهم غير بعيدين عن الإسماعيلية وإن كانوا يكفرونهم. وأبغض الناس عندهم خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ أبو بكر وعمر وعثمان وهم يقولون كذلك بالباطن والظاهر كالباطنية. ولا يزالون منتشرين في العراق وإيران وباكستان والهند.



أهل السّنة والجماعة





أهل السّنة والجماعة

وهم الذين يعتقدون بقلوبهم ويشهدون بألسنتهم أنه لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله ويقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة ويصومون رمضان ويحج المستطيع منهم بيت الله الحرام وهم يؤمنون بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره لا يؤولون شيئاً من ذلك ولا يجعلونه رمزاً على غير ما ظهر منه، وهم كذلك يثبتون لله تعالى ما أثبته لنفسه أو أثبته له رسول الله ﷺ من الأسماء الحسنى والصفات العلى إثباتاً من غير تعطيل ولا تأويل ولا تشبيه ولا تكييف ولا تمثيل ويقررون أن الله إلٰه واحد لا إلٰه غيره ولا شبيه له ولا نظير ولا والد له ولا ولد ولا صاحبة ولا شريك، ليس لأوليته ابتداء وليس لآخريته انقضاء ولا يبلغ كنه صفته الواصفون ولا يحيط بأمره المتفكرون على حد قوله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ ۚ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفْظُهُمَا ۚ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾﴾ [البقرة: ٢٥٥] وهو العليم الخبير والرب القدير ليس كمثله شيء وهو السميع البصير.

ويؤمنون بأن الله فوق عرشه المجيد ولا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء خلق الإنسان ويعلم ما توسوس به نفسه وهو أقرب إليه من حبل الوريد. وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين. على العرش استوى وعلى الملك احتوى لم يزل بجميع صفاته وأسمائه. تعالى أن تكون صفاته مخلوقة أو أسماؤه محدثة كلم موسى بكلامه وكلامه من صفاته لا خلق من خلقه وتجلى للجبل فصار دكاً من جلاله والقرآن كلام الله ليس بمخلوق ولا صفة لمخلوق وإنه لو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعد

سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله.

ويؤمنون أن الله قدر كل شيء ومقادير الأمور بيده ومصدرها عن قضائه علم كل شيء قبل كونه فجرى على قدره ولا يكون من عباده قول ولا عمل إلا وقد قضاه. وسبق علمه به ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾﴾ [الملك: ١٤].

يضل من يشاء فيخذله بعدله ويهدي من يشاء فيوفقه بفضله فكل ميسر بتيسيره إلى ما سبق من علمه وقدره من شقي أو سعيد ولا يكون في ملكه إلا ما يريد وهو رب العباد الذي خلقهم وخلق أعمالهم وهو المقدر لحركاتهم وآجالهم الباعث الرسل إليهم، لإقامة الحجة عليهم.

وقد ختم الرسالة والنبوة بمحمد ﷺ فلا نبي بعده وقد أنزل عليه كتابه الحكيم وشرح به دينه القويم وهدى به الصراط المستقيم ويقر أهل السنة والجماعة أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله يبعث من يموت ﴿كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأعراف: ٢٩] وأن الله تبارك وتعالى ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات وغفر لهم الصغائر باجتناب الكبائر وجعل من لم يتب من الكبائر إلى مشيئته على حد قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٨] فمن عاقبه منهم بناره أخرجه منها بإيمانه فأدخله جنته ويخرج من النار كذلك من يشفع فيهم رسول الله ﷺ من أهل المعاصي من أمته ويقرر أهل السنة والجماعة أن الله سبحانه وتعالى قد خلق الجنة وأعدها دار خلود لأوليائه وأكرمهم فيها بالنظر إلى وجهه الكريم ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢ - ٢٣] وهذه الجنة هي التي أهبط الله منها آدم نبيه وخليفته إلى أرضه.

وخلق الله النار فأعدها دار خلود لمن كفر به وألحد في آياته وكتبه ورسله وجعلهم محجوبين عن رؤيته.

ويقرر أهل السنة والجماعة:

أن الله تبارك وتعالى يجيء يوم القيامة والملك صفاً صفاً لعرض الأمم وحسابها وعقوبتها وثوابهم وأن الموازين القسط توضع لوزن أعمال العباد فمن ثقلت موازينه فأولئك هم المفلحون، ومن خفت موازينه فأولئك هم الخاسرون.

وأن الناس إذا بعثوا من قبورهم يؤتون صحائف أعمالهم فمن أوتي كتابه بيمينه فسوف يحاسب حساباً يسيراً وينقلب إلى أهله مسروراً وأما من أوتي كتابه وراء ظهره فأولئك يصلون سعيرا. وإنه يدخل من أمة محمد ﷺ الجنة سبعون ألفاً بغير حساب، ولا عقاب وهم الذين لا يتطيرون ولا يكتوون ولا يسترقون وعلى ربهم يتوكلون ومنهم عكاشة بن محصن.

ويعتقد أهل السنة والجماعة: أن الصراط يجوزه العباد بقدر أعمالهم فناجون مسلمون: متفاوتون في سرعة النجاة عليه. وقوم أوبقتهم أعمالهم فسقطوا في جهنم. ويعتقد أهل السنة والجماعة: أن حوض رسول الله ﷺ حق ترده أمته لا يظمأ من شرب منه ويذاد عنه من بدل وغيّر.

ويعتقدون كذلك أن الإيمان نطق باللسان وإخلاص بالقلب وعمل بالجوارح وأنه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي. وأن الله لا يقبل من أحد عملاً إلا بشرطين الأول أن يكون خالصاً لله والثاني أن يكون صواباً على منهج رسول الله ﷺ ولا يكفر أهل السنة والجماعة إلا من حكم الله عليهم بالكفر أو حكم عليهم رسول الله ﷺ به كذلك، وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون وأرواح أهل السعادة باقية ناعمة إلى يوم يبعثون وأرواح أهل الشقاوة معذبة إلى يوم القيامة وأن المؤمنين يسألون في قبورهم ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧].

ويقر أهل السنة: أن على العباد حفظة يكتبون أعمالهم ولا يخفى شيء من ذلك عن علم ربهم. وأن ملك الموت يقبض الأرواح بإذن الله.

ويعتقد أهل السنة والجماعة: أن خير القرون القرن الذين رأوا رسول الله ﷺ وآمنوا به ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم. وأفضل الصحابة والأمة الخلفاء الراشدون المهديون أبو بكر ثم عمر ثم عثمان ثم علي رضي الله عنهم أجمعين. ولا يجوز أن يذكر أحد من صحابة رسول الله ﷺ إلا بأحسن ذكر ويجب الإمساك عما شجر بينهم فإنهم أحق الناس أن يلتمس لهم أحسن المخارج ويظن بهم أحسن المذاهب.

ويعتقد أهل السنة والجماعة: أن الجهاد في سبيل الله حق مع البر والفاجر من أئمة المسلمين كما أنه يصلي خلف البر والفاجر من هؤلاء الأئمة وأن طاعة ولاة أمور المسلمين وعلمائهم واجبة إلا في معصية الله تعالى ويجب اتباع السلف الصالح واقتفاء آثارهم والاستغفار لهم وترك المراء والجدل في الدين والابتعاد عن كل ما أحدثه المحدثون وابتدعه المبتدعون إذ كل خير من اتباع من سلف وكل شر في ابتداع من خلف فإن رسولنا ﷺ تركنا على المحجة البيضاء إذ ترك فينا كتاب الله وسنته ﷺ وصدق الله العظيم إذ يقول: ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣].

وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

المدينة المنورة
عصر الجمعة الموافق ٢٣
من ربيع الأول ١٣٨٧هـ
عبد القادر شيبة الحمد
أستاذ الأديان بالجامعة
الإسلامية بالمدينة المنورة

المراجع

(١) ـ كتاب الله عز وجل.

(٢) ـ صحيح البخاري.

(٣) ـ صحيح مسلم.

(٤) ـ فتح الباري للحافظ ابن حجر.

(٥) ـ شرح النووي على مسلم.

(٦) ـ مقالات الإسلاميين لأبي الحسن الأشعري طبع مصر سنة (١٣٦٩هـ).

(٧) ـ التنبيه والرد على أهل الأهواء والبدع لأبي حسين المالطي المطبوع بمصر سنة (١٩٤٩م).

(٨) ـ الفرق بين الفرق لأبي منصور عبد القاهر البغدادي طبع بمطبعة المدني بمصر.

(٩) ـ الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم طبع مصر سنة (١٣٤٧هـ).

(١٠) ـ التبصير لأبي المظفر الأسفرائني طبع مصر سنة (١٣٧٤هـ).

(١١) ـ الملل والنحل للشهرستاني طبع مصر سنة (١٣٤٧هـ).

(١٢) ـ اعتقاد فرق المسلمين والمشركين للفخر الرازي.

(١٣) ـ تاريخ الطبري طبع مصر سنة (١٣٥٧هـ).

(١٤) ـ مروج الذهب للمسعودي طبع مكتبة المثنى ببغداد سنة (١٣٥٧هـ).

(١٥) ـ الكامل في التاريخ لابن الأثير طبع مصر سنة (١٢٩٠هـ).

(١٦) ـ البداية والنهاية لابن كثير طبع مصر سنة (١٣٥١هـ).

(١٧) ـ المواعظ والاعتبار للمقريزي طبع مصر سنة (١٣٢٤هـ).

(١٨) ـ دائرة معارف البستاني طبع بيروت سنة (١٨٧٦هـ).

(١٩) ـ دائرة معارف القرن العشرين لفريد وجدي طبع مصر سنة (١٣٤١هـ).

(٢٠) ـ دائرة المعارف الإسلامية لجماعة من المستشرقين طبع مصر سنة (١٩٣٣م).

(٢١) ـ كشف الأسرار في الرد على الباطنية للقاضي أبي بكر الباقلاني.

(٢٢) ـ فضائح الباطنية للغزالي طبع مصر سنة (١٣٨٣هـ).

(٢٣) ـ كشف أسرار الباطنية لابن مالك الحمادي اليماني طبع مصر سنة (١٣٧٥هـ).

(٢٤) ـ السيرة النبوية لابن هشام طبع مصر سنة (١٣٧٥هـ).

(٢٥) ـ فرق الشيعة للتوبختي طبع النجف سنة (١٣٧٩هـ).

(٢٦) ـ رجال الكشي.

(٢٧) ـ فهرست الطوسي.

(٢٨) ـ منتهى المقال لأبي علي الرجالي الكربلائي طبع طهران سنة (١٣٨٢هـ).

(٢٩) ـ نقد الرجال لمصطفى التقريشي طبع طهران.

(٣٠) ـ منهج المقال لمحمد أمين الأشرباذي طبع طهران سنة (١٣٠٧هـ).

(٣١) ـ خلاصة الأقوال للحلى طبع طهران سنة (١٣١١هـ).

(٣٢) ـ أمل الآمل لمحمد بن الحسن العاملي المطبوع بطهران ذيلاً لمنهج المقال سنة (١٣٠٧هـ).

(٣٣) ـ عيون الأبناء لابن أبي أصيبعة طبع مصر سنة (١٢٩٩هـ).

(٣٤) ـ الشيعة وفنون الإسلام لحسن بن الهادي العاملي طبع صيدا سنة (١٣٣١هـ).

(٣٥) ـ نهج البلاغة لابن أبي الحديد.

(٣٦) ـ المعارف لابن قتيبة طبع دار المعارف بمصر.

(٣٧) ـ تاريخ الأدب العربي لبروكلمان طبع دار المعارف بمصر.

(٣٨) ـ الخطوط العريضة لمحب الدين الخطيب طبع مصر سنة (١٣٨٨هـ).

(٣٩) ـ تاريخ الدولة الفاطمية لحسن إبراهيم حسن طبع مصر سنة (١٩٦٤م).

(٤٠) ـ تاريخ المذاهب الإسلامية لأبي زهرة طبع دار الفكر العربي بمصر.

(٤١) ـ محاضرات في النصرانية لأبي زهرة.

(٤٢) ـ مقارنات بين الأديان للدكتور أحمد شلبي.

(٤٣) ـ مجموعة كتب العهد القديم والعهد الجديد طبع جمعية الكتاب المقدس المتحدة سنة (١٩٦٥م).

(٤٤) ـ البيان في مباحث الإخوان لأبي منصور اليماني.



الفهرس